الجامعة الاميركية في بيروت

الموضــوع

دراسات في تاريخي ابي الفرج الملطي
المعروف بابن العبرى ـ تاريخ الازمنة السريانــي
ومختصر تاريخ الدول العربي

تأليــف

يوســف متــي اسحــاق

اللغة العربية ولغات الشرق الادنى

رسالة قدمت الى دائرة الادب العربي ولغات الشرق الاوسط في الجامعة الاميركية في بيروت لاستكمال متطلبات درجة استاذ في الدراسات الساميّــة.

قدمت الرسالة في شباط ١٩٧٣

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

A Comparative Study on the two Histories of

ABU AL-FARAJ AL MALATI

Mukhtasar Tarikh ad-Duwal

and

The Chronicon Syriacum

By

YUSUF M. ISHAQ

Approved:

Prof. Mahmud A. Ghul M-A-Ghul

Advisor

Rev. Prof. Edmond Gemayel

Member of Committee

Prof. Mahmud Zayid

Member of Committee

Date of Thesis Presentation: February, 1973

الجامعة الاميركية في بيروت

الموضـــوع

دراسات في تاريخي ابي الفرج الملطي
المعروف بابن العبري ـ تاريخ الازمنة السريانـي
ومختصر تاريخ الدول العربي

تأليـــف

يوســـف متـي اسحـاق

اللغة العربية ولغات الشرق الادنى

رسالة قدمت الى دائرة الادب العربي ولغات الشرق الاوسط في الجامعة الاميركية في بيروت لاستكمال متطلبات درجة استاذ في الدراسات الساميّـة.

قدمت الرسالة في شباط ١٩٧٣

الاهـــــــداء

الى زوجتي العزيزة التي الهمتني بمحبتها ،واحتملت بصبر متاعب دراستي ،أقدم هذه الرسالة ٠

يـوســـــف٠

" THESIS RELEASE FORM"

American University of Beirut

I, ______________________________ :

☐ authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals upon request.

☑ do not authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals.

Yusuf Ishaq

Signature

Feb 26 / 1973

Date

محتويات الرسالة

المقدمـــــــــة

هذه الرسالة دراسة مقارنة بين تاريخي ابي الفرج الملطي ، المعروف بابن العبرى ـ تاريخ الازمنة المصنف بالسريانية ، ومختصر تاريخ الدول المؤلف بالعربية •

وتناولت في هذه المقدمة سيرة حياة المؤلف بصورة موجزة ، مع ذكر مؤلفاته المختلفة •

اما الفصل الاول ، فقد افردته للبحث في مراجع ابي الفرج في تاريخيه ، مع تحليل مستقل لكل مرجع ، ذاكرا الحقبة الزمنية التي يشملها ، وسنة التأليف ان كان ذلك ممكنا ، بالاضافة الى معلومات مفيدة تزيد في فهم هذه الاصول فهما وافيا • فوقعت هذه المراجع في اربع فئات هي اليونانية ، والسريانية ، والعربية ، والفارسية • ثم المعت الى تأثير هذه المراجع في طريقة ابي الفرج لدى تصنيفه مجموعته التاريخية •

وعرضت في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، أهم ميزات تاريخ مختصر الدول • واثبتها كما وردت في الكتاب ، تحت عناوين خاصة لتشكل وحدة متماسكة لغرض دراستها ومقابلتها مع خصائص تاريخ الازمنة • كما اجملت

في الفصل الثالث ميزات تاريخ الازمنة ايضا ،ونقلتها عن السريانية كما جاءت في قرينة الكتاب كله ،وذلك للكشف عن ميول الكاتب حين صنف الكتاب بالسريانية ،واثبت فيه ما اسقطه بالعربية .

اما الفصل الرابع من هذه الرسالة ،فقد جعلته لتحليل مميزات التاريخين ومقارنتها مع بعضها الاخر لرؤية ما اذا كان مختصر تاريخ الدول كتابا مترجما عن الاصل السرياني وحاويا الاخبار والروايات ذاتها وبنفس الصراحة التي ينتهجها المؤرخ في تاريخ الازمنة . او انه مصنف مغاير في الاسلوب والعرض والغاية والمادة التاريخية ،ثم لرصد اسباب التباين ان كان هناك تباين ظاهر بين الكتابين .

ملاحظة اولى

تدور هذه الدراسة في الدرجة الاولى حول محتويات الدولة التاسعة دولة العرب المسلمين ،في مختصر تاريخ الدول ،والدولة العاشرة والحادية عشرة من تاريخ الازمنة السرياني ،حيث يتناول المؤرخ تاريخ العرب والمونيين في فصلين متداخلين من ناحية ،ولان هاتين الدولتين تضمان معظم مواد الكتابين ،وتسجلان اختلافات بارزة في الرواية .

ملاحظة ثانية

لن نقوم في هذه الدراسة ،باجراء اية مقارنات خارجية مع تواريخ اخرى لاثبات صحة بعض الاحداث او عدم صحتها ،ذلك لأن بحثنا ينحصر في المقارنة بين هذين التاريخين ،بغية الكشف عن مواطن التباين والاتفاق فقط ،مع تعليل هذين الامرين.

ملاحظة ثالثـة

استعملت علامة + وراء السنوات في التراجم لتدل على سنة الوفاة.

ابو الفرج الملطي ـ سيرته

هو ابو الفرج ،جمال الدين ،بن الشماس تاج الدين هرون بن توما المكنى بابن العبرى.[١] ولد عام (١٢٢٦م) في مدينة ملطية حاضرة ارمينية الصغرى. وكان ابوه طبيبا ماهرا ،ووجيها من وجهاء المدينة.[٢]

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،التاريخ الكنسي ٢ ،٤٣٦.
"اعتمدت في ترجمة سيرة حياة ابي الفرج الملطي على ما جاء مدونا عنه في ذيل تاريخه الكنسي الذى علقه اخوه الصفي بعد وفاته."
(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٢٥٢.

وانكب ابو الفرج منذ نعومة اظفاره على الدراسة والمطالعة ، فأتقن السريانية ، وشدا طرفا من العربية واليونانية ، ثم تناول العلوم الفلسفية والفقهية ، وتخرج بالطب على ابيه هرون ، وغيره من اطباء العصر[١].

وعلى اثر سقوط ملطية بيد المغول (١٢٤٣م) ، رحل مع ذويه الى انطاكية ، وهي يومئذ في حوزة الفرنجة ، وجعل يقرأ على من يصادفه من العلماء والاطباء ، ما تيسر له من العلوم والاداب .[٢]

ومال ابو الفرج الى حياة الزهد والتقشف منذ عهد باكر . واعتزل في كهف مجاور لانطاكية ، الا ان خبر علمه وفضيلته ، انتشر في كل الارجاء فافتقده في عزلته تلك ، بطريرك الكنيسة السريانية ، اغناطيوس الثالث (١٢٢٢–١٢٥٢م) واقنعه بالانصراف عن التزهد والاختلاء في الجبال ، والانصراف كليا الى الدراسات الدينية والادبية والعلمية ، طالما حباه الله مقدرة فذة في استيعابها واتقانها — للانخراط في خدمة الكنيسة ، وخدمة اخوته ابناء الانسانية . فامتثل ابو الفرج امر البطريرك ، وخرج يقصد طرابلس (الشام) حيث تفرغ لدراسة الطب والمنطق على احد علماء النساطرة المعروفين يومذاك ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .

وكان يدعى يعقوب المنطيق. وامضى هناك فترة تقرب السنتين.(١)

وذاع صيته وهو في العشرين ، فاستدعاه البطريرك اغناطيوس المذكور ، الى مدينة انطاكية ، واقامه في الرابع عشر من ايلول عام (١٢٤٦م) اسقفا على مدينة "جوباس"(٢) ، واسماه غريغوريوس(٣) . ولم يمض في جوباس الا سنة او بعضها ، حتى نقله البطريرك الى ابرشية "لقبين" في المنطقة ذاتها ، فصرف في رعاية شؤونها قرابة الخمس سنوات.(٤)

ولما توفي البطريرك اغناطيوس في اواخر عام (١٢٥١م) ، وخلفه البطريرك ديونيسيوس عنجور (١٢٥٢–١٢٦١م) اقام غريغوريوس بن العبرى ، اسقفا على مدينة حلب ، بيد انه لم يستطع تسلم مهام ابرشيته يومئذ بسبب النزاع الشديد الذى احتدم بين المفريان* يوحنا بن المعدني (١٢٥٣–١٢٦٣م) والبطريرك ديونيسيوس عنجور على اثر انتخاب الاخير بطريركا على الكرسي الانطاكي ، لانه كان لابن المعدني حزب كبير في حلب لا يعترف الا

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، التاريخ الكنسي ، ٢ : ٦٦٧ .

(٢) "جوباس مدينة صغيرة تقع بالقرب من ملطية عاصمة ارمينية الصغرى"

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، التاريخ الكنسي ، ٢: ٦٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢: ٦٨٥ .

* مفريان: لفظة سريانية معناها "المثمر". وهو اسم لصاحب رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية ، مرادفة للجاثليق ، فهو دون البطريرك ، وفوق الاسقف. وكان كرسيه في تكريت ثم نقل الى دير مارمتى فالموصل – جمعها مفارنة . (اللؤلؤ المنثور)

به خلفا شرعيا للبطريرك اغناطيوس الثالث سابا[١] . وكان ابن المعدني ، قد سبق فعين باسيل صليبا ، مطران عكا ، اسقفا على حلب ، بعد فشل هذا من الدخول الى مدينة عكا وهي في حصار.[٢] فاقام باسيل في حلب مديدة ثم قلده ابن المعدني البطريرك الثاني ، مفريانية المشرق عام (١٢٥٣م)، وعين خلفا له على كرسي حلب ، الاسقف متى الجوجي .[٣] فبعث البطريرك ديونيسيوس عنجور منافس البطريرك ابن المعدني ابا الفرج الى حلب ليزاحم متى ، فصار على كرسي حلب اسقفان ، وتجدد النزاع .[٤] فقدم في تلك الاثناء المفريان (صليبا) الى حلب وطفق يعاكس ابا الفرج وخاصة بعد ان حصل لمتى الجوجي اسقفها ، براءة من الملك الناصر.[٥] فاضطر المترجم له حينئذ الى الانقطاع في بيت ابيه ، وكان ابوه الطبيب هرون قد انتقل في تلك الفترة الى مدينة حلب.[٦] ولما أدرك الا سبيل الى تسلم كرسيه في حلب ، رحل الى

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، التاريخ الكنسي ٢، ٧٠٧ ، ٧٠٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ : ٦٦٧ـ٦٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢: ٧١١ .

(٤) المصدر نفسه ٢، ٧٢١ .

(٥) المصدر نفسه ٢، ٧٢١

(٦) المصدر نفسه ، ٢: ٧٢١ .

نواحي ملطية مسقط راسه ، واقام في دير مار برصوم * مع البطريرك ديونيسيوس ، نحو سنتين .[١] ثم قدم دمشق ، وحظي بمقابلة الملك الناصر ، فاكرمه ورفع من شأنه ، واعاده مظفرا الى كرسي ابرشيته في حلب.[٢]

ولما سقطت بغداد سنة (١٢٥٨م) وانقرضت الدولة العباسية على ايدى المغول ، خرج ابو الفرج من حلب ليذهب الى خدمة هولاكو ملك الملوك ، ليستعطفه ، ويطلب الرأفة بالشعب والمدينة ، الا انه قبض عليه في الطريق مع رهط من اصحابه ، وزج في احدى القلاع ، قبل ان يدرك هولاكو . فدخل المغول مدينة حلب واخذت المدينة بحد السيف ، فأربى عدد القتلى فيها على عدد القتلى في مدينة بغداد .[٣]

وفي عام (١٢٦٤م) ، في التاسع عشر من شهر كانون الثاني ، رقي ابو الفرج الى رتبة مفريانية المشرق ، في حفلة رائعة جرت في مدينة سيس

---

(١) المصدر نفسه ، ٢ : ٧٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢ : ٧١٩ — ٧٢١ .

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٥١٠ .

* "كان ديرا للسريان على راس جبل بالقرب من مدينة ملطية . وصار كرسيا بطريركيا في القرن الحادى عشر حتى اواخر القرن الثالث عشر . وظل عامرا حتى اواسط القرن الرابع عشر" .

(مدينة بأرمينية الصغرى) ،حضرها الملك هيتوم الارمني ،ورهط من عظماء بلاطه ،مع اساقفة من السريان والارمن . وتسنم ابو الفرج منبر الخطابة ، والقى على الجماهير المحتشدة في الكنيسة عظة نفيسة ،تحدث فيها عن رئاسة الكهنوت ،معتمدا الآية الخامسة من المزمور المئة والثامن والثلاثين: "انت يا رب قد احطت بي ،وجعلت علي يديك". وضمت سلطته اثناء مفريانيته : بلاد ما بين النهرين ،والعراق العجمي ،ومنطقة آثور.(١) وافتتح نشاطه الرعوي بزيارة هولاكو ، فحظي بمحبته وتقديره ،وحصل منه على ثلاث براءآت : واحدة له ،واخرى لبطريرك طائفته ،والثالثة لاسقف قيسارية قبادوقية السرياني.(٢) وطفق بعدها يتفقد احوال رعيته ،فأسس الكنائس، وشيد الاديرة وانتخب اثني عشر اسقفا ممن اتصفوا بالتقوى والعلم والفضيلة ، ورأسهم على الكراسي الشاغرة الواقعة ضمن سلطان مفريانيته . فنال اعجاب الكثيرين ،وصار له مريدون من كافة الطوائف والمذاهب لمكان علمه ،وفضله. فأكرمه امراء العرب ،وملوك المغول. غير ان حياته لم تطل الى ما بعد الستين، فأدركته الوفاة في الثلاثين من تموز عام (١٢٨٦م) في مدينة مراغة بأذربيجان. وصادف ان كان جاثليق النساطرة يبالاها الثالث(١٢٨٣_١٣٣٢) حاضرا

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،التاريخ الكنسي ،٢: ٧٤٩_٧٥١ .

(٢) المصدر نفسه ،٢: ٧٥٣_٧٥٥ .

مراغة ،فارتأى ان تقام لابي الفرج جنازة فخمة يشترك فيها الارمن والنساطرة والسريان ،ذلك لما كان للمترجم له من مآثر في تلك البلدان . ثم نقل جثمانه فيما بعد الى الموصل ،ودفن في دير مار متى[١] حيث لا يزال ضريحه مكرما ، تحج اليه الناس.

تصانيفـــــه

وكان ابو الفرج الى جانب ما اتصف به من التقوى والفضيلة عالما من علماء عصره فلم يترك فرعا من فروع المعرفة الا كتب او الف فيه . وقال السمعاني : "ان ابن العبرى منذ العشرين من عمره وحتى نهاية حياته لم يكّف عن القراءة والكتابة ".[٢] وتصانيفه خير شاهد على علمه الشامل وقدمه الثابتة في التأليف والترجمة وقد جاء اخوه برصوم الصفي(١٣٠٧ +) على ذكر ثبت تصانيفه التي بلغت واحدا وثلاثين مؤلفا ،في ذيل التاريخ الكنسي الذى اوصل احداثه بعد موت ابي الفرج الى سنة (١٢٨٨ م) . وتقسم هذه التصانيف الى مجاميع اشهرها :

---

(١) " دير كبير ،في شرقي الموصل ،تمّ بناؤه في اواخر القرن الرابع المسيحي . وصار كرسيا اسقفيا . تخرج فيه رهط من علماء الكنيسة واساقفتها ".

(٢) السمعاني ،المجموعة الشرقية ، ٢: ٢٦٧ .

١ـ المجموعة التفسيرية

تسمى هذه المجموعة بالسريانية: "مخزن الاسرار" • وهي جملة شروح على الكتاب المقدس بعهديه، القديم والجديد • عوّل المؤلف في تصنيفها على من تقدمه من كتاب السريان وشراحهم الاوائل، والمتأخرين من امثال يعقوب السروجي (٥٢١+) ويشوعداد المروزى (٨٤٠ـ ٨٥٣) اسقف الحديثة النسطورى، وديونيسيوس ابن الصليبي الملطي (١١٧١ +) وغيرهم •

٢ـ المجموعة الفقهية وتقسم الى ثلاث فئات:

أـ اللاهوت النظرى:

وخصص له كتابا كبيرا اسماه "منارة الاقداس"[١] تناول بالبحث فيه مجمل عقائد الكنيسة السريانية، لا سيما ما يتعلق بسر التجسد والفداء • واردف هذا الكتاب بمصنف مختصر، دعاه "الاشعة" لخص فيه العقائد المسيحية، ورد على الكتاب المعروف "هيروثاوس" للعلامة ابن صوديلي الفيلسوف (٥١٠ م)[٢] مفندا الكثير من آرائه •

---

(١) نشر باكوش جزأ من منارة الاقداس مع ترجمة لها الى الفرنسية في ليدن سنة ١٩٤٨ •

(٢) للتوسع في آراء ابن صوديلي، اقرأ سيرته في اللؤلؤ المنثور، ص ٢٦٩ •

ب - اللاهوت الاخلاقـــي :

وهب ابو الفرج الفلسفة الادبية ، قسطا وافرا من عنايته ، والف فيها كتابه المشهور "الاثيقون" اى (تهذيب الاخلاق) ، جمع فيه الى جانب آراء الفلاسفة القدماء ، نخبة من ابرز آراء الفلاسفة المسلمين من امثال ابن سينا والغزالي ، في تهذيب الجسد ، وقمع الشهوات وتحديد الاصوام ، الخ . وينقسم الكتاب الى اربعة اجزاء رأسية ، اولها ، تنظيم الحركات التي تساهم في تهذيب الجسد . ثانيها ، اعمال الجسد (كالاكل والشرب والنكاح والطهارة الجسدية) . ثالثها ، الاهواء المنحرفة ، ووسائل التخلص منها . رابعها ، الفضائل ، وكيفية اكتسابها .(١)

ج - اللاهوت النسكـي :

وصنف ابو الفرج كتابا في اللاهوت النسكي سماه ، "الحمامة" . ويقع هذا المصنف في اربعة اقسام رئيسية ، الاول ، يحتوى على التمارين الجسدية الواجب القيام بها في الدير . والثاني ، العمل الروحي

---

(١) نشر الكتاب بالسريانية الاب بولس بيجان في باريس عام ١٩١٨ ، ونقله الى العربية ، المطران بولس بهنام عام ١٩٦٣ . كما نقلت فصول منه في مجلة المشرق الصادرة في الموصل ، السنة الاولى ، ١٩٤٦ ، ص ٤٢-٤٥ ، ٩١-٩٢ ، ١٣٥-١٣٦ ، ١٧٣-١٧٤ .

في الكرح (القلاية ـ او غرفة الراهب) . والثالث ، الراحة الروحية التي تغمر الحمامة (النفس) . والرابع ، اختبارات المؤلف الشخصية .[1]

٣ـ المجموعة القانونيـــة

وضع ابو الفرج كتابا ضخما في العلوم الشرعية ، اسماه "كتاب الهدايات"[2] . تناول فيه الدعاوى الكنسية ، والمدنية ، المتداولة بين المسيحيين . فضم اربعين فصلا اساسيا ، تتحدث عن احوال الكنيسة وتدبيرها ، واوقـــات الاصوام ، ومواقيت الاعياد وحدود الوصايا والارث والبيع والشراء ، والتسليف ، والرهن ، والكفالة ، والتجارة ، والاراضي التي تسقى ، والارض البعل ، وعتق العبيد ، والقسم ، والنذور ، الى ما هنالك من مواضيع الشرع .

٤ـ المجموعـة النحويـــة

ولابي الفرج في الصرف والنحو السرياني كتب متعددة ، اهمها

---

(١) نشرة قرداحي سنة ١٨٩٩ ، والراهب يوحنا دولباني ، عام ١٩١٦ ، والاب بولس بيجان سنة ١٩١٨ . كما نقله حبيقة الى العربية ، ونشره في المشرق سنة ١٩٥٦ ، ص١٧ـ٦٩ .

(٢) حققه ونشره الاب بيجان في باريس سنة ١٨٩٨ ، ونشر "ماي" ترجمته اللاتينية في الجزء الاول من "السلسلة الجديدة للكتبة الاقدمين ص٣ : ٢٦٨ .

كتاب "الاضواء". وهو اشمل كتاب في النحو عند السريان، "بل اوسع ما يعرف في هذا الباب".[1] وضعه على مذهبي المشارقة والمغاربة، جامعا فيه الضوابط اللغوية التي اقترحها علماء اللغة من المشتغلين بهذه العلوم على كلا المذهبين المذكورين، معددا الفوارق المميزة بين صيغ الاسماء والافعال. كما ادخل اليه ابوابا مبتكرة، اقتبسها عن النحو العربي وصرفه. اما كتابه الثاني في هذا الفن، فهو الغراماطيق، ويسمى "المدخل الى معرفة النحو"، وهو ارجوزة مقفاة، على البحر السباعي، مع هوامش وشروح بالسريانية والعربية، زيادة في التبسيط، وتعميما للفائدة[2]. كما باشر مصنفا ثالثا جامعا ابواب صرف اللغة السريانية ونحوها، وسمه ب "كتاب الشرارة" ولم يتح له ان يكمله.

٥ـ المجموعة الفلسفية والمنطقية

ومن كتب هذه المجموعة (الاحداق). وهو مصنف يضم مقدمة مطولة في ذكر فوائد المنطق بالقياس الى العلوم الفلسفية وغيرها. ثم تليها

---

(١) البستاني، فؤاد، دائرة المعارف، طبعة ١٩٦٠، ٣: ٣٥٤.

(٢) نقل هذين الكتابين الى الفرنسية الاب مارتن عام ١٨٧٣ في باريس. وقدم ماركس دراسة تحليلية عن كتاب الاضواء في مؤلفه "تاريخ الفن النحوى عند السريان ص ٢٢٩. ونقل فيلبس الى الانجليزية الفصل المتعلق بالحركات في الاضواء.

سبعة فصول في شرح ايساغوجي برفيروس، وفصول حول تحليل اورغانون . وله الى جانب الاحداق، كتاب آخر يدعى "حديث الحكمة" ويقع في اربعة ابواب[1] . ودبج ابو الفرج بالعربية رسالتين في النفس البشرية تقع الاولى في ٦٢ فصلا،[2] والثانية في ٢٦ فصلا[3] .

ونقل الى جانب تصنيفه بالسريانية، كتبا عن العربية تتناول المواضيع الفلسفية والمنطقية وما وراء الطبيعة . ومنها كتاب "الاشارات والتنبيهات" للفيلسوف ابن سينا . اتى على ذكره في تاريخ الازمنة (ص٢٢٠) ولم يشر اليه احد من مؤرخي الفلسفة العربية . وكتاب زبدة الاسرار في الفلسفة لاثير الدين الابهرى (+ ١٢٦٤) . ذكرت هذه الترجمة في ثبت نقوله، ولكنها فقدت .

٦ـ المجموعة الرياضية والفلكيــة

الف في السريانية كتابا دعاه (الصعود العقلي) شرح فيه شكل الرقيع، والارض، آتيا على ذكر العلوم الفلكية باسلوب علمي صرف ضابطا تعاريفه

---

(١) نشره هرمن جانس عن مخطوطة كتبت عام (١٢٩٩ م) . ونشر البطريرك افرام برصوم ترجمة الكتاب بالعربية عن مخطوطة كتبت سنة (١٦٠٨م) .
(٢) نشر الرسالة الاب بولس شيخو سنة ١٨٩٨ .
(٣) حققها ونشرها القس بولس سباط ١٩٢٨ . واعاد نشرها عن نسخة مضبوطة في القرن الثالث عشر، البطريرك افرام برصوم عام ١٩٣٨ .

بنماذج واشكال هندسية في غاية الاتقان • وهو قسمان : الاول ، يقع في ثمانية ابواب ، والثاني في سبعة[١] • كما انه فسر كتاب اقليدس في المساحة وانجزه عام ١٢٧٢ ، وذكره في تاريخه[٢] • وألمح في المصدر نفسه الى انه قام بشرح كتاب المجسطي لبطليموس القلوذى في علم النجوم وحركات الافلاك وفرغ منه في مراغة عام ١٢٧٣ [٣] • وله ايضا كتاب "الزيج الكبير" الفه لاجل ضبط التقويم الكنسي ومعرفة مواعيد الاعياد المتنقلة •

٧_ المجموعة الطبيـــــة

وتشمل هذه المجموعة مصنفات بالسريانية ، ونقولا من العربية • فنقل من العربية انتخاب ديوسقوريدس اليوناني في المفردات الطبية ، وقوتها واتقانها • وجمع في كتاب واحد كبير ، كل الاراء الطبية • ونقل من العربية اربعة فصول من كتاب "القانون" للشيخ الرئيس ابن سينا ، وحالت المنية دون انجازه • ولخص كتاب "جامع المفردات" لابي جعفر الغافقي الاندلسي (٥٦٠ هـ)

---

(١) حققه على نسخ اكسفورد وباريس وكمبرج فرنسوا نو ، ونقله الى الفرنسية سنة ١٨٩٥ •

(٢) الملطي ، ابو الفرج ، التاريخ الكنسي ، ٢: ٤٤٣ •

(٣) خليفة ، حاجي ، كشف الظنون ص ٣٨٠_٣٨١ •

وسماه " المنتخب".(١) وصنف بالعربية كتابا وسمه بـ " منافع اعضاء الجسد" جمع فيه بتفصيل واف اراء الاطباء بأسرها في المواد الطبية • وكتيبا آخر ، شرح فيه فصول بقراط• وله في العربية تحرير مسائل حنين بن اسحق ، بلغ فيه الى باب الترياق ولم ينجزه •

٨ـ المجموعة الادبيـــة

وكما تفوق ابو الفرج بتصانيفه الفلسفية واللاهوتية والعلمية ، تفوق كذلك بتصانيفه الادبية • فقد ترك الى جانب تراثه الضخم ، ديوانا شعريا يحتوى على ثلاثين قصيدة مطولة ، بالاضافة الى ما ينوف على المائة مقطوعة تترواح بين البيتين والعشرة • اتى فيها على معظم ابواب الشعر المعروفة من وصف وحكم ومدح وهجاء ، اكثرها جاء على الوزن الثاني عشر.(٢) وله في النثر ، كتاب " الاحاديث المطربة" • يقع في عشرين فصلا ، اورد فيه احاديث لبعض الحكماء والملوك والزهاد والاطباء والفلاسفة والاغنياء ، والبخلاء• مع حكايات على السنة الحيوانات.(٣)

---

(١) نشر الدكتور جورجي صبحي ، ومايرهوف ، حرف الالف من هذا المنتخب ونقلاه الى الانجليزية سنة ١٩٣٢•

(٢) حقق هذا الديوان ونشره بالسريانية اوغسطين الراهب الماروني سنة ١٨٧٧ • واعاد طبعه وضبطه الراهب يوحنا دولباني سنة ١٩٢٩ •

(٣) نشر الاب شيخو ترجمة عربية له في المشرق سنة ١٩٢٢، ص ٧٠٩ـ٧٦٧ •

٩ـ المجموعة التاريخيـــة

وتعتبر تواريخ ابي الفرج المدونة بالسريانية ،مجموعة واحدة شاملة التواريخ الكنسية ،والتواريخ العامة ٠ اما مختصر تاريخ الدول الذى صنفه بالعربية ،فيعد كتابا فريدا مفارقا لما دون اصلا بالسريانية ،وان احتوى بعض موادها ٠ وهذه المجموعة بالذات ،هي موضوع دراسة هذه الرسالة٠

تنقسم المجموعة السريانية الى قسمين كبيرين " التاريخ الكنسي " وهو اكبرها ،واوسعها ،" وتاريخ الازمنة " وهو كتاب موجز بالقياس الى مجموعة التواريخ الكنسية ٠ وقد فصل محققو هذه التواريخ ،وناشروها ،في الحقبـــة الاخيرة ،بين التاريخين ـ الكنسي ،والعام ـ وطبعوا كل قسم بصورة مستقلـــة٠ فاطلقوا على القسم الاول (CHRONICON ECCLEIASTICUM) وعلى القسم الثاني ، (CHRONICON SYRIACUM) ٠

أـ التاريخ الكنسي

يقع هذا الكتاب في قسمين كبيرين٠ يتطرق المؤلف في القسم الاول منه الى احداث الكنيسة في المشرق٠ فيبتدئ بذكر احبار العهد القديم، من زمن هرون اخي موسى النبي ،الى حنان رئيس كهنة اليهود في ايام السيد

المسيح • ثم تنتقل سلسلة الكهنوت في العهد المسيحي الى الرسول بطرس ويتسلمها بطاركة الكنيسة السريانية في انطاكية • وتستمر هذه السير الى زمن وفاة المؤرخ (١٢٨٦+) •

ويتناول ابو الفرج في الجزء الثاني من هذا التاريخ ،احداث الكنيسة الشرقية • فيذكر جثالقة المدائن ، ومفارنة الكرسي الانطاكي ،من عهد الرسول توما وخلفه مار مارى ،الى ايام مفرنته حيث يختتم هذا القسم بترجمة مفصلة لحياته وخدماته الدينية • (دون سيرته المفصلة اخوه برصوم الصفي) •

لا تنتهي احداث هذا التاريخ في النسخ والطبعات التي بين ايدينا بنهاية حياة المؤلف سنة ١٢٨٦ ، بل تستمر الاخبار الى العصور المتأخرة • فقد اكمل برصوم الصفي (١٣٠٧ +) وهو اخو المؤلف وخليفته على كرسي مفريانية المشرق ـ احداث هذا التاريخ واوصلها الى عام(١٢٨٨م) • واضاف كاتب سرياني مغمور الى هذه المجموعة ذيلا بلغ به الى عام ١٤٩٦م • وأتم لامي (وهو ناشر هذا الكتاب) جداول التاريخ الكنسي الى القرن التاسع عشر ،مضيفا اليها لائحة بطاركة النساطرة الذين تتابعوا على كرسي جثلقة المشرق بعد زمان ابي الفرج ، وختمها بملخص تاريخ بطاركة الكنيسة الكلدانية في الحقب المتأخرة •

لهذه المجموعة نسختان مخطوطتان : الاولى ، في خزائن الفاتيكان تحت الرقم ١٦٦ ، والثانية في مكتبة اكسفورد تحت الرقم (Hunt 1) ، انجزت عام ١٤٩٨ بخط الراهب دنحا الصلحي .(١)

ب ـ تاريخ الازمنة السرياني

هذا الكتاب هو موضوع هذه الدراسات المقارنة . يضم اخبار العالم ودوله . ابتدأه المؤرخ كسائر كتب الحوليات ، بدولة الاباء من آدم ملك الارض ، فدولة قضاة بني اسرائيل فدولة ملوكهم حتى سقوط المملكتين الشمالية والجنوبية ، فدولة الملوك الكلدانيين ، فدولة الملوك الماديين ، فالفرس ، فدولة ملوك اليونان الوثنيين ، فدولة الرومان ، فدولة اليونان المتنصرين ، فدولة العرب المسلمين ، فدولة الهونيين .

وهذا الكتاب موجز العبارة بالقياس الى "تاريخ الكنيسة" . رشيق الاسلوب ، مختصر السرد فيما يختص بالحقب القديمة . يتسع مجال اخباره ، وتكثر فوائده التاريخية ، في حقبة الدولة العربية وما قبلها بقليل . ويحد نطاقه الجغرافي بحدود الشرق ، والشرق السرياني بخاصة .

---

(١) برصوم ، افرام ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ، ص ٥٢٧ .

ويعتبر " تاريخ الازمنة السرياني " من التواريخ المهمة في اللغة السريانية لكونه يتناول احداث الشرق باسلوب قلما نقف على نظيره في تواريخ سريانية مشابهة ، بعرض واضح وترتيب حسن لكل ما يتصل باخبار عصر المؤلف، واخبار كنيسته السريانية . وكان ابو الفرج دقيق السرد ، لانه عاش احداث زمانه ، واتصل بمن ارخ لهم مسهما في مشاريع عمرانية وثقافية ، وسياسية ، باعتباره مسؤولا دينيا ، واسع السلطان ، كثير النفوذ . ونشرت هذه المجموعة السريانية لاول مرة في اوروبا سنة (١٧٨٩ م) واشرف على ضبط متونها وطبعها بالسريانية في جزئين كبيرين ، العلامة برنس(BRUNS) ، ثم نقلها الى اللاتينية بمعاونة المستشرق (KIRSCH) . غير ان الاب بيجان عاد فنقحها، وحقق متونها من جديد ، وطبعها في باريس في حدود سنة ١٨٩٠ .

ج — مختصر تاريخ الدول

وضعه ابو الفرج على غرار "تاريخ الازمنة السرياني" في ترتيب فصوله واقتصره على عشر دول كالتي سبق والمعنا اليها في وصف تاريخ الازمنة، لكن بصورة مختصرة ومن وجهة نظر معينة . معتمدا مصادر سريانية وعربية وفارسية، اشار اليها في متن الكتاب ، وفي مقدمته[1] .

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١ ، ٩٣ .

لهذا الكتاب طبعتان جيدتان اشرف على تحقيق الاولى بوكوك وانجز طبعها في اكسفورد مع ترجمة لاتينية سنة ١٦٦٣ ،ثم نقل الترجمة الى الالمانية باور (BAUER) • اما الثانية ،فقد ضبط متونها ونشرها بطبعة انيقة في بيروت سنة ١٨٩٠ ،الاب صالحاني • وذيل الطبعة بحواش تاريخية مفيدة ،والحق بها فهارس عامة لشرح اسماء الامكنة ، والبلدان ،والاعلام ،مع جداول كاملة للمقابلة بين التقويم الهجرى والمسيحي • وأعيد طبع " مختصر تاريخ الدول " في المطبعة الكاثوليكية في بيروت عام ١٩٥٨، وعليها عولت في هذه الدراسة •

الفصـل الاول

مراجع ابي الفرج التاريخية واثرها في طرائقه

أولا ، المراجـــع التاريخيـــة

يتناول هذا الفصل دراسة المراجع التاريخية التي عوّل عليها ابو الفرج في تأليف تاريخيه _ تاريخ الازمنة ، ومختصر تاريخ الدول • مع تحليل لمحتوياتها ليتسنى لنا تحديد طرائق المؤرخ في ترتيب اخباره ، وتتبع مناهج تفكيره في انتقاء الخبر الملائم ، والرواية المناسبة • وان ما يسهل الامر على الباحث في هذه المصادر ، هو ان المؤرخ يشير بين الحين والاخر ، الى مراجعه ، تارة يذكر اسم الكتاب ، وطورا بالاشارة الى اسم الكاتب ، لقبه ، او كنيته(١) • وثبت بعد احصاء الاسماء والعناوين المتناثرة في تضاعيف كتابيه ، انه اعتمد حوالي ثلاثين مصدرا ، بين تاريخ معروف ، وتاريخ مفقود ، وكتب لاهوتية ، وتفسيرية ، وفلسفية ، وطبية • ولما كان نطاق بحثنا في هذه الرسالة ينحصر في مصادره التاريخية وحسب ، وجدت من الضرورة بمكان ، ان اتفرغ لتحديد المراجع التاريخية ، دون الالتفات الى المراجع الاخرى • وفيما يلي ، ثبت مراجعه التاريخية ، مع دراسة تحليلية لها_ :

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ١٠، ٣٢، ٩٦، ٤٩، ١٧، ٢١، ٩٦، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٥٥٦، ٥٥ •

١- مراجع تاريخ الازمنة السرياني

يأتي ابو الفرج في تاريخه على ذكر اسماء المؤرخين الذين نقل عنهم جل اخباره. وبين هؤلاء من كتب باليونانية والسريانية والعربية والفارسية . لذا قسمنا هذه المصادر الى ثلاثة اقسام :-

(أ) مراجعه في اللغة اليونانية

اعتمد ابو الفرج الملطي مؤلفات يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، خاصة في الفقرات التي يناقش فيها مواضيع التاريخ الديني ،وعلوم الكتاب المقدس، من الخليقة الى خراب بيت المقدس عام (٧٠ م) (١) . من هذه المؤلفات اولا:

١- الحروب اليهودية

وهي مؤلف ضخم ،صنفه المؤرخ على الارجح بالآرامية ، وترجمه فيما بعد الى اليونانية ما بين سنة ٧٧-٧٨ م (٢) .

تبتدئ هذه المجموعة بمقدمة مسهبة ،تتناول الاحداث التاريخية من فترة حكم انطيوخوس ابيفانوس(١٧٥-١٦٣ ق م) ،والى زمن نشوب الحرب اليهودية

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٠، ٥٠، ٣٢، ٥١ .

(٢) F.L. Cross, The Oxford Dic. of the Cristian Church p. 746 .

في فلسطين . اما الجزء الاخير من هذه المجموعة ،فيعتبر مشاهدات عيانية شخصية ،لاحداث زمانه ،بالاضافة الى اعتماده كتّابا آخرين[١] .

ولا تخلو مجموعة يوسيفوس من بعض التحيز. فمع انه يتعهد بحياد تام في مقدمة تاريخه ،يبقى مصنفه مدونا من زاوية معينة ،ومن وجهة نظر رجل يهودى ،يؤرخ احداث قومه . لذا تراه يحذف كليا ،او يقلل من اهمية بعض الاحداث التي من شأنها ان تثير حفيظة الرومان ـ كحركة المقاومة التي اثارها حزب المتعصبين (Zealots) والدعوة الى تجديد الامال بمجيء المسيح .[٢]

ولا يقتصر ابو الفرج في اقتباساته على الحروب اليهودية ،بل يعتمد على كتاب آخر لنفس المؤلف هو :

٢ـ اخبار اليهود القديمة

انتهى المؤلف من كتابته عام (٩٤ م) ،بعشرين جزءا[٣] فيأتي على ذكر تاريخ الامة اليهودية منذ بداية الخليقة ،والى نهاية الحرب اليهودية

---

(١) Josephus, The Jewish War, p. 3.

(٢) Ibid, XX.3-11 p. 5.

(٣) Josephus, Jewish Antiquities, XX. 267.

الرومانية واندحار اليهود .[١] ويتكيء يوسيفوس في تدوين احداثه الدينية من القرن الرابع قبل الميلاد ،في اكثر الاحيان على ما جاء في الكتب المقدسة . اما للفترة التي تعقب القرن الرابع ما قبل الميلاد ،فيعتمد كليا على حوليات ديونيسيوس هاليكرناسوس Dionysius Halicarnasus (٧قم) المعروفة بـ "الاخبار الرومانية" [٢] .

٢_ تاريخ اوسابيوس القيصرى

يأتي تاريخ اوسابيوس القيصرى في راس قائمة مصادر ابي الفرج الملطي في كتابه السرياني . فهو ينقل عنه الكثير من الاحداث ،خاصة التي يغلب عليها الطابع الديني ،او التي لها علاقة قريبة بتاريخ الكنيسة المسيحية الاولى .[٣]

يعد تاريخ اوسابيوس (٢٦٤_٣٤٠م) من اهم الوثائق التاريخية التي وصلتنا عن العصر الرسولي ،والى زمان المؤرخ[٤] . اما اسلوب الكتاب،

---

(١) Ibid, 3-11.

(٢) Josephus, The Jewish War, p. ix.

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص١٥،١٧،٣٧ .

(٤) القيصرى ،اوسابيوس،تاريخ الكنيسة ،ص ١٩ .

فلا يختلف كثيرا عن بقية كتابات اوسابيوس[١] لكن بالرغم من ضعف عباراته ، وعدم سلاسة طريقته ،يحوى مادة ذات اهمية بالغة ،خصوصاً ما نقله عن قدامى المؤرخين الذين ضاعت اكثر مؤلفاتهم[٢] .

ويكشف اوسابيوس عن غايته من وضع هذا التاريخ بقوله : "ان غايتي هي كتابة وصف لتاريخ الرسل القديسين والحقبات التي مضت من ايام مخلصنا الى ايامنا هذه ،وسرد الحوادث الكثيرة الهامة التي حدثت في تاريخ الكنيسة، وذكر اولئك الذين تولوا ادارة ورئاسة الكنيسة في اهم الابروشيات".[٣] .

يقع تاريخ اوسابيوس في عشرة كتب. ثلاثة منها تضم احداث زمان المؤلف وقد اسهب في ذكرها كثيرا . اما البقية ،فتنتهي في حدود سنة(٣٠٣م) بنهاية الكتاب السابع[٤] . وضع تاريخه باللغة اليونانية ، لكنه ترجم الى اللاتينية والسريانية والارمنية بعد زمن المؤلف لشهرته الواسعة . واخيرا نقل الى العربية[٥] .

---

(١) F.L. Cross, The Oxford Dic. of the Christian Church p. 746.

(٢) القيصرى ،اوسابيوس،تاريخ الكنيسة ،ص ٢١ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٠

(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٠

(٥) دى طرازى ،فيليب ،عصر السريان الذهبي ،ص ٨٤ .

ولاوسابيوس الى جانب مجموعته هذه ،كتب تاريخية اخرى نذكر منها — "تاريخ شهداء فلسطين" ، "تقارير عن الاضطهاد الذى اثاره ديوقلطيانوس" (٣٠٣ — ٣١٠) ،"الخرونيقون" ،"سيرة الامبراطور قسطنطين". وقد اعتمد ابو الفرج قسما من هذه التواريخ ايضا ،لا سيما كتاب "الخرونيقون" الذي صار دستورا لكتّاب السريان فيما بعد.

٣— بناريون ابيفانيوس

ويرد في ثبت مراجع ابي الفرج ،تاريخ ابيفانيوس(٣١٥—٤٠٣م) الذى اطلق عليه اليونان ، اسم " Panarion " (بناريون) ،وعرف فيما بعد بـ"تفنيد الهرطقات".[١]

في هذا الكتاب ،يقدم المؤرخ ،وصفا دقيقا لكافة الهرطقات التي عرفت منذ ابتداء الكنيسة المسيحية والى ايامه. ويشرع في القسم الاخير بتفنيد هذه الهرطقات واحدة واحدة ،ببراهين كثيرة يستمدها من الكتاب المقدس،

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ١٩.

أو الفلسفة ،او المنطق ،او التاريخ . ويحتوى ،الى جانب الحقائق التاريخية على الكثير من الاساطير والاخبار ،اوردها لدعم وجهات نظره في هذه الدفاعات[١] .

٤ـ تاريخ افريقيانوس

ومن بين المصادر التي يستعملها ابن العبرى في تاريخ الازمنة، تاريخ افريقيانوس الذائع الصيت[٢] .

اشتهر هذا المؤرخ بكتبه المسماة "سيستي"[٣] ومن اطرف رسائله الموجودة اليوم ،رسالته التاريخية التي انفذها الى اوريجانوس الاسكندرى(٢٥٤ م) بيّن فيها شكوكه في رواية سوسنة الواردة في احد الكتب المقدسة غير القانونية ، ويعتبرها رواية ملفقة ،لا تمّت الى دانيال النبي بأية صلة[٤] .

---

(١) F.L. Cross, The Oxford Dic. of the Christian Church p. 457.

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ٢٧، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٥ .

(٣) القيصرى ،اوسابيوس، تاريخ الكنيسة ،ص ٢٨٨ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٢٨٨ .

وصلت الينا من مؤلفات افريقيانوس خمسة كتب في التاريخ - وهي التي اعتمدها ابو الفرج - في منتهى الدقة والضبط والترتيب. ورسالة بعث بها الى ارستيد يرّد بها على التناقض المزعوم بين روايتي انجيل متى ولوقا في جدول سلاسل انساب المسيح . وفيها بين بوضوح ،مدى الاتفاق التام بين الانجيلين ،معتمدا وثيقة قديمة كانت في حوزته .(١)

٥- تاريخ ثاودوريطس القرسي

الى جانب تاريخ افريقيانوس، يقتبس ابو الفرج معلومات وفيرة من تاريخ ثاودوريطس معتبرا اياه مكملا لتاريخ اوسابيوس القيصرى الى نهاية عام (٤٢٨ م) (٢) .

لهذا التاريخ قيمة كبيرة لاشتماله على عدد من الوثائق التاريخية الاصيلة من جهة ،ولتناوله الهرطقات الباكرة في صدر المسيحية من الجهة الاخرى. ويعدّ هذا التاريخ بحق ،من المصادر الاولية النادرة التي يعتمد عليها في معرفة أصول البدعة الاريوسية والنسطورية والاوطاخية .

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٢٨٨- ٢٨٩ .

(٢) الملطي ،ابو الفرج تاريخ الازمنة ص ٤١

ب - مراجعة في اللغة السريانية

٦- تاريخ زكريا الفصيح

ينسب هذا المؤلف الى مؤرخ سرياني مغمور . وقد اشتمل على جزء كبير من مجموعة التواريخ الكنسية التي الفها زكريا الفصيح (٥٣٦+) اسقف جزيرة مدللي[١] . ضاع اصل هذا التاريخ باللغة اليونانية ، وبقيت ترجمته السريانية فقط .[٢]

تنقسم هذه المجموعة النفيسة الى اثني عشر بابا ، او كتابا . حوت معلومات مهمة ، ووثائق نادرة ، وقصصا مختلفة ، كقصة اهل الكهف ، وخبر مقتل الشهداء الحميريين في اليمن ، ووصف ابنية مدينة روما وزخارفها ، الى جانب تاريخ موجز لكنيستي مصر وسورية في القرنين الخامس والسادس.

وتشغل مادة هذا الكتاب في مجموعة ميخائيل السرياني ، كل الحقبة الممتدة من الباب الثالث حتى السادس ، حسب النقل السرياني لهذا الكتاب

---

(١) ويقال لها لسبوس.
(٢) انظر تاريخ زكريا الفصيح المطبوع بالسريانية وقد ترجمه برج الى الانجليزية .

اى من سنة (٤٥٠_٤٩١م) • وعندما يتحدث ميخائيل عن احداث المجمع الرابع المنعقد في مدينة خلقيدونيا عام (٤٥١م) ،ينقل حرفيا ما جاء في تاريخ زكريا في الباب الثالث ،ويعتبر زكريا ادق من كتب عن تفاصيل ما وقع في المجمع المذكور ،لنقله عن مصدر يوناني ،دونه كاتب مشهور ،كان يقوم على خدمة الامبراطور مرقيانوس الذى أمر بعقد المجمع ،واشرف على جلساته[1] •

٧_ تاريخ يوحنا الاسيوى

وثيقة ذات اهمية كبرى ،رغم ما يشوبها من ركاكة في التركيب ، واسهاب غير مصقول ،بل هي اقدم تاريخ سرياني في عرف من كتب عن الادب السرياني[2] •

يقع هذا المصنف في ثلاثة مجلدات • الاول والثاني من ايام يوليوس قيصر الى سنة (٥٧٢م) ،والثالث حتى سنة (٥٨٥م) • الاول مفقود وبقي من الثاني نبذة مهمة نشرت ،والثالث موجود في نسخة مخطوطة في القرن السابع ،ينقصها صفحات ،نشرها كورتن[3] • وارتأى مؤلف ادب اللغة الارامية

(١) ميخائيل السرياني ،التاريخ العام ،ص ١٨٥

(٢) برصوم ،افرام ،اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ص ١٥٩ •

(٣) المصدر نفسه ،ص ١٥٩ •

الجزء الثاني من هذه المجموعة جاء منقولا في التاريخ المنسوب الى الراهب الزوقنيني [١] .

وللمؤلف كتاب " سير النساك الشرقيين " وهو يضاهي في اهميته كتاب تاريخه ، جمع معظم سيره في الحقبة الواقعة ما بين عامي (٥٦٦ـ٥٦٨م) . وضمّنه ثمانية وخمسين سيرة حياة رجال اتقياء ،واساقفة ،ورهبان ، ورواهب ، كانوا على الاغلب من معاصريه [٢] . ودبجت هذه التراجم على غرار ما جاء في تاريخ بلاديوس وتاودوريطس القرسى ،وهي على الاكثر لا تتسم بطابع نقدى، لكنها مليئة بتفاصيل دقيقة عن اعمال النسك ، وممارسة الفضائل وذكر العادات المتبعة في مختلف الاديرة في تلك الحقبة من الزمن . واعتمد ابو الفرج الملطي تواريخ يوحنا الاسيوى في تقرير الكثير من حوادثه [٣]

٨ـ خرونيقون يعقوب الرهاوى

كان المؤرخ الرياضي يعقوب الرهاوى بعد تصحيحه تاريخ اوسابيوس القيصرى المعروف "بالخرونيقون" قد نقله الى السريانية ،ونسج على منواله تاريخا

---

(١) ابونا ،البير ،تاريخ ادب اللغة الارامية ، ٢٥٠ .
(٢) انظر سير النساك الشرقيين طبعة بيجان .
(٣) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ٨٠ .

مختصرا للسنين ،ابتدأه بالسنة العشرين للامبراطور قسطنطين الكبير حتى عام ٦٩٢م[١] . ثم ذيل كاتب مجهول هذا الكتاب بخاتمة تمتد الى سنة(٧١٠م) اى الى ما بعد وفاة المؤرخ نفسه(٧٠٨م)[٢] . بقى من الكتاب ٦٧ صفحة، نشرها المستشرق بروكس بالسريانية .

وفي دراسة دقيقة في مصادر تاريخ ميخائيل السرياني ،تبين انه استمد معظم مواده للاحداث الممتدة من سنة (٥٨٢ ـ ٧٢٦م) من خرونيقون يعقوب الرهاوى . اما ابو الفرج الملطي ،فقد اختلف في اقتباساته عن ميخائيل ،اذ انه يقتبس عندما يجد الحاجة الى اثبات حادث ما ،او نظرة مختلفة عن غيره من المؤرخين الاخرين .[٣]

٩ـ تاريخ يوحنا الاثاربي

الف يوحنا (٧٣٧م) تاريخا مختصرا سماه "تاريخ السنين" بالسريانية ،فقد جانب كبير منه خلا ما ادمجه ميخائيل السرياني في مجموعته

---

(١) برصوم ،افرام ،اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية ص١٦٠ـ١٦١

(٢) ابونا البير ،تاريخ ادب اللغة الارامية ،ص ٣٧٢

(٣) الملطي ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ٣٧ .

التاريخية،[١] وما اقتبسه ابو الفرج الملطي في تاريخ الازمنة السرياني .

١٠ـ تاريخ ديونيسيوس التلمحرى

صنف ديونيسيوس التلمحرى البطريرك (٨٤٥) تاريخا يعد من ابرز مصنفاته . ارخ به لاحداث مئتين وستين سنة ،أى من بداية حكم الامبراطور موريقي والى موت ثاوفيلس الروماني ،والخليفة المعتصم ،اى من سنة(٥٨٣ـ٨٤٣) .

يتألف الكتاب من ستة عشر بابا،منقسما الى جزئين كبيرين ، يحتوى كل جزء ثمانية ابواب ،تتوزع بدورها على فصول . صنفه نزولا عند رغبة العلامة اياونيس مطران دارا .[٢]

ونقل ابو الفرج الملطي الكثير من اخباره في تاريخ الازمنة عن تاريخ ديونيسيوس وخاصة عن حقبة الحكم الاموى وطرف من الحكم العباسي[٣] .

ونال تاريخ ديونيسيوس البطريرك اعجاب مؤرخي السريان قاطبة ، وعدوه من ادق التواريخ السريانية في المئة التاسعة ،وأغزرها مادة ، واكثرها

---

(١) ميخائيل السرياني ،التاريخ العام ،ص ٤٦١

(٢) ميخائيل السرياني ،التاريخ العام ،ص ٥٥٤

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص١٦ .

اعتمادا على المراجع الاصيلة القديمة . وقد نقل ميخائيل السرياني صفحة كاملة عن تاريخ ديونيسيوس التلمحرى فيها سجل بجميع مراجعه . وتعد هذه الصفحة اطول "ببليوغرافيا" وصلت الينا بهذا التنظيم في المصادر التاريخية لدى السريان . فيذكر من مراجعه اوسابيوس القيصرى ، واندرونيقوس، وافريقيانوس، وجورجي الركتي ، ويوحنا الانطاكي ، للتاريخ العام . وسقراطيس، وزوزيموس، وتاودوريطس القرسي ، وزكريا الفصيح ، ويوحنا الاسيوى ، وقورا البطناني ، ويعقوب الرهاوى ، ويوحنا اليثربي ، ودانيال الطورعبديني ، ويوحنا ابن شموئيل ، وثيوفيلا الرهاوى ، وتوادوسيوس مطران الرها ، للتاريخ الكنسي[1] .

١١ـ تاريخ ثاوفيلوس الرهاوى

يذكر ابو الفرج ان ثاوفيلوس الرهاوى (٧٧٩م) كان على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى[2] . اشتهر بعلم الفلك ، ونال حظوة لدى الخليفة المهدى . ويرى انه الف وترجم كتبا كثيرة ، في الفلك والادب والتاريخ ، ضاع معظمها كالالياذة والاوديسا[3] اللتين فقدتا الا مقاطع وردت في مؤلف لسويريوس

---

(١) ميخائيل السرياني ، التاريخ العام ، ص٣٨٧

(٢) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص١٢٧

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢٧ .

ابن شككو [١] . ولم يفضل من تاريخه ايضا ،الا ما نقله ديونيسيوس التلمحرى في تاريخ الازمنة ، [٢] ومختصر تاريخ الدول [٣] .

١٢ـ تاريخ جرجس اسقف العرب

من جملة التواريخ التي رجع اليها ابن العبرى في تاريخ الازمنة ، مؤلف لجرجس اسقف العرب (٧٢٤ م) . [٤] بحث جرجس في هذا المؤلف معظم مسائل التاريخ الديني ،مع شرح لبعض اسفار الكتاب المقدس ،جاء على ذكرها ديونيسيوس ابن الصليبي (١١٧١ م) في سلسلة الراهب سويرا ،وابو الفرج الملطي (١٢٢٦ م) في كتابه "مخزن الاسرار" [٥] .

ولقد انجز جرجس ،كتاب الايام الستة (هكساميرون) الذى الفه يعقوب الرهاوى (٧٠٨ م) وحالت المنية دون انجازه ،فنال عليه شهرة واسعة .

---

(١) مركس،تاريخ الفن النحوى لدى السريان ،ص ٢١١

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ص ١٢٧ .

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٥٩

(٤) المصدر نفسه ،ص ٣٧ والملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ص ٣٧

(٥) السمعاني ،المجموعة الشرقية ص ٤٩٤

الى جانب تواريخه ،حرر جرجس عددا من الرسائل ،عالج فيها قضايا تاريخية ، وفلكية ،انفذها الى بعض اشهر معاصريه . كالرسالتين الموجهتين الى يوحنا العمودى ،والرسالة المعنونة الى يشوع الحبيس، ومارى رئيس دير تلعدا .

١٣ـ تاريخ باسيليوس الرهاوى المعروف بابي الفرج ابن شومنة

الف ابو الفرج ابن شومنه تاريخا مسهبا لمدينة الرها ،ابتدأ من الازمنة القديمة ،وحتى عام ١١٦٩م . وله الى جانب هذا التاريخ الشامل للرها ،نبذة تاريخية اخرى عن غزوات ملك الروم ،ايواني كومنين للشعوب القومانية ،في الفترة الواقعة بين سنة (١١١٨ـ١١٤٤م) [١] .

ادخل ميخائيل السرياني جل ما ورد عن تاريخ مدينة الرها في مجموعته السريانية ،كما استفاد مما كتبه ابو الفرج ابن شومنه عن ملك الروم ، وغزواته ،واعماله . [٢] وما ان جاء ابو الفرج الملطي في القرن الثالث عشر ، حتى عاد فادخل الى تاريخ الازمنة ،فصلا طويلا عن سقوط مدينة الرها ، منقولا عن ابن شومنه ،وميخائيل السرياني [٣] .

---

(١) ميخائيل السرياني ،التاريخ العام ،ص ٥٤٤ .
(٢) ميخائيل السرياني ،التاريخ العام ،ص ٦٣٣ .
(٣) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ٣٠٥ .

١٤ـ تاريخ ديونيسيوس ابن الصليبي

صنف ديونيسيوس (١١٧١م) بالاضافة الى مجاميعه اللاهوتية ، والفلسفية ، والتفسيرية ، والجدلية ، تاريخا موجزا ، اتى على ذكر احداث زمانه الدينية ، والمدنية معا . مبتدئا بترجمة ابي الفرج ابن شومنة الآنف الذكر ، مطران الرها ، وساردا الاحداث السياسية منذ وفاة ايواني الثاني كومنين ، ملك الروم ، وتولى مانوئيل الاول كومنين سنة (١١٤٤م) ، حتى اواخر ايامه .

ضاع اصل هذا التاريخ الثمين ، في اضطرابات القرن الثاني عشر ، وهجوم الهونيين على مناطق ملطية ، وما والاها من بلدان اسيا الصغرى ، وبقي منه ما ادخله ميخائيل في تاريخه ، ليغطي احداث الفترة الواقعة ما بين سنة (١١٤٣ـ١١٧١م) (١) .

وينقل ابو الفرج الملطي عن تاريخ ديونيسيوس الكثير من اخبار المكارة التي نزلت بمدينة الرها ابان محاصرتها وفتحها من قبل عماد الدين زنكي ، وينقل مرثاة الفها المؤرخ المذكور في رثاء المدينة العريقة ، وبقية المدن

---

(١) ميخائيل السرياني ، التاريخ العام ، ص ٦٣٣ .

المجاورة التي صارت طعاما للنيران ، مشيرا الى المجازر الاليمة التي تعرض لها ابناء طائفته السريان (١) .

١٥ـ تاريخ ميخائيل السرياني

ما اولى ميخائيل السرياني (١١٩٩ م) شهرة عريضة ، بين مؤرخي السريان قاطبة ، هو تاريخه الشامل ، الذى حشد فيه معلومات غزيرة عن الكثير من العلوم ، والفنون ، والاداب ، الى جانب الاحداث التاريخية • عثر على النص السرياني لهذا التاريخ ، البطريرك رحماني في مدينة الرها سنة ١٨٨٧ ، في مخطوطة ترجع الى عام ١٥٩٨ (٢) وفي عام ١٨٩٤ ، اقرت الجمعية الاسيوية في باريس مشروع المساهمة في نشر هذا الاثر الجليل ، وانتدبت العلامة شابو لهذه المهمة ، فانجز طبعها سنة ١٨٩٩ ، وجاءت في ٧٧٧ صفحة من القطع الكبير ، وبمجلد واحد ضخم • ثم ترجم الكتاب بكامله الى الفرنسية ، فجاء في ثلاثة مجلدات ايضا ، وفرغ منه ما بين عامي (١٨٩٩ ـ ١٩١٠) • وفي عام ١٩٣٤ ، أضيف الى الاصل مقدمة طويلة ، وفهرست عام •

وما يزيد في اهمية هذا التاريخ هو ان مؤلفه استعان بتواريخ ،

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٣٠٨ ، ٣٢٤ •

(٢) ابونا ، البير ، تاريخ ادب اللغة الارامية ، ص ٤٨٥ •

ومصنفات كثيرة ، سابقة ، نقلها مجزأة ، او كاملة ، ضاع معظمها او بقي منها نتف لا تفي بالغرض. وتنتهي احداث هذا التاريخ قبل وفاة المؤرخ ، اى عام (١١٩٥) .

تتكون هذه المجموعة التاريخية من واحد وعشرين بابا ، اوكتابا وينقسم كل باب الى فصول ، في حقب زمنية متلاحقة . وما تجدر اليه الاشارة في هذا الحديث ، هو ان المؤلف ابتدع طريقة جديدة في ترتيب احداث مجموعته . فرتب صفحات كتابه في ثلاثة اعمدة في الصفحة الواحدة. اوقف احداث العمود الاول من اليمين للاخبار الكهنوتية ، وتسلسلها التاريخي ، والثاني وهو العمود الوسط حصر فيه تعاقب الدول والممالك الزمنية واحوالها السياسية ، اما العمود الثالث ، فقد خصصه للاحداث الطارئة ، الداخلة في باب العجائب او الخوارق او حوادث الشدة في كل حقبة من حقب تاريخه . فجاءت مادته موجزة ، او مسهبة ، نظرا لارتباط الاحداث القريبة والبعيدة ، بحياة طائفته السريانية ، واهمية ذلك الحادث ، بالقياس الى الامور الدينية ، وحسب المصادر المتوفرة بين يديه [١] .

كانت مخطوطة الرها النسخة الفريدة التي وصلتنا بالسريانية . نقلت عام ١٥٩٨ عن مخطوطة اخرى بخط الكاتب موسى الماريني الذى ارسله

---

(١) ميخائيل السرياني ، التاريخ العام ، ص٧، ٢٨٨، ٦٣٣ ، وابونا ، البير ، تاريخ ادب اللغة الارامية ص٤٨٦ .

البطريرك اغناطيوس الى البابا بولس الثالث سنة ١٥٤٨ في مهمة خاصة . ويبدو ان موسى هذا ،نقل نسخته عن مخطوطة جاءت بخط يد المؤلف نفسه ،فعبث بها الدهر ،كما عبث بمعظم التواريخ التي دونت في هذه الحقبة من الزمن فخرم جزء من اولها ،وسقط بعض من فصولها . ويرى مؤلف كتاب "ادب اللغة الارمية" ان النسخة الاصيلة من هذا التاريخ كان قد اخذها البطريرك اغناطيوس داود معه يوم التجأ الى جاثليق الارمن في "حروم كلي" [1] واعيدت هذه النسخة بعد موت البطريرك داود سنة١٢٥٢ الى دير مار برصوم حيث راجعها العلامة ابو الفرج الملطي وضبط متونها عام (١٢٥٥) [2] ابان اقامته في الدير المذكور (انظر سيرته) . وقد تكون النسخة الارمنية لهذا التاريخ ،منقولة عن السريانية خلال وجود البطريرك السرياني لدى الجاثليق الارمني" . [3]

ويذكر ابو الفرج بان الكثير من احداث تاريخ الازمنة نقلها او لخصها عن مجموعة ميخائيل السرياني التي لم تترك بابا من ابواب التاريخ الا وطرقته. [4] بل يعدّه المصدر الاساسي لكافة التواريخ السريانية التي

---

(١) ابونا ،البير ،تاريخ ادب اللغة الارامية ،ص٤٨٦

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،التاريخ الكنسي ، ١٣٦٩ ،٣٢٨

(٣) ابونا ،البير ،تاريخ ادب اللغة الارامية ،ص ٤٨٧

(٤) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص٢٤٩ ،٢٨٢ ،٢٨٦ ،٣١٣ ،٣٣٩ ،٣٤١ .

جاءت بعده.(١)

ج ـ مراجعه في اللغة العربية

تأتي المراجع العربية والفارسية بالدرجة الثانية بعد مراجع ابي الفرج السريانية واليونانية في تاريخ الازمنة . ولا تظهر الاشارات اليها مباشرة الا في "الدولة التاسعة ، المنتقلة من ملوك اليونانيين المتنصرين الى ملوك العرب المسلمين"، ثم الدولة العاشرة حيث انتقلت فيها السيادة الى المغول . مع ان المؤرخ يشير الى مراجع عربية اعتمدها في نقل اخباره ،او تحقيق مصادره ،فهو في الغالب لا يأتي على ذكر اسمائها بالتفصيل ،او ذكر مؤلفيها ،بل يكتفي عادة بالقول "اعتمدنا في نقل هذا الخبر على مصاحف عربية ،او تواريخ فارسية".(٢) وفي مقارنات كثيرة بين "مختصر تاريخ الدول" والتاريخ السرياني مع بعض المراجع العربية ،يمكن القول ، انه اعتمد الطبرى ،وابن الاثير ،في تاريخه السرياني ،إما بطريقة الاقتباسات المباشرة عن تواريخهم ،او عن طريق اقتباس الاقتباس عن تواريخ مؤرخي السريان المتأخرين الذين اخذوا عن العربية ،كباسيليوس مطران الرها ،وديونيسيوس مطران آمد ، واياونيس الكيشومي وغيرهم كثير.

اما مراجعة الفارسية ،فقد ذكر بعضها ،واغفل البعض الاخر ،ويرى انه

---

(١) المصدر نفسه ،ص٢

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ٢٤٩ .

اعتمد كتابا بالفارسية كان مشهورا في ايامه يدعى "ملوك نامة"[(١)] وهو اليوم في عداد الكتب المفقودة". ثم يأتي على ذكر تاريخ علاء الدين الجويني صاحب الديوان، ويذهب الى انه من الكتب المهمة لا سيما فيما يختص باحوال السلاجقة، وامتداد دولة المغول في بلاد فارس، وما بين النهرين[(٢)] .

١٦- تاريخ الطبرى

يعد تاريخ الطبرى المعروف ب "تاريخ الرسل والملوك" او "التاريخ العام" من اهم الكتب التاريخية . وصل الطبرى في تسجيل احداثه الى عام (٢٩٨هـ) ، وفرغ من تدوينه وضبط متونه ،في ربيع الآخرة ،سنة (٣٠٣ هـ) .

وعن الطبرى نقل ابو الفرج احداثا كثيرة عن العرب منذ الهجرة والى نهاية سنة (٢٩٨هـ) حيث تنتهي احداث هذا التاريخ . ونقله عن الطبرى يختلف عن نقله عن المؤرخين السريان اختلافا ملحوظا . فعن الطبرى يتصرف ويختصر الاخبار، وعن السريان ينقل بدقة واسهاب[(٣)] . بل يختلف في هذا ،لدى نقله عن المصادر العربية في مختصر تاريخ الدول ،اذ ينقل فصولا كاملة عن ابن جلجل ،وعن "تاريخ الحكماء" للقفطي ،و "طبقات الامم للقاضي صاعد الاندلسي .[(٤)]

---

(١) المصدر نفسه ص٢١٧
(٢) المصدر نفسه ص٥٥٥
(٣) المصدر نفسه ص٣٠٨ ،٣٢٤
(٤) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ص١٣٥،٩٣ ،٢٤٣ .

١٧- تاريخ ابن الاثير

من اجل آثار ابن الاثير (١١٦٠-١٢٣٤م) في التاريخ كتابه (الكامل). وقد اعتمد تاريخ الطبري في نقل جانب كبير من رواياته، مضيفا اليها ما استفاده من تواريخ اخرى وصلته في فترات متأخرة. اما فيما يختص بحقبة حكم المغول، فقد استند ابن الاثير على تواريخهم. حيث يجمل امورهم باسلوب يغني عن الكثير الممل الذي دون عنهم بدون دقة، وترتيب. نقل ابو الفرج عن ابن الاثير جانبا من اخبار الحقبة المتأخرة، وزاد عليها ووسع في ترتيب احداثها بالاعتماد على التواريخ الفارسية والمغولية التي كانت بين يديه (١).

وارى ان ابا الفرج اعتمد في تاريخه السرياني، وخاصة في ما دونه عن كورة نينوى وضواحيها في فترة حكم الاتابكة، على "تاريخ اتابكة الموصل" لابن الاثير ايضا. وكان هذا التاريخ يعتبر من المراجع المهمة في عصر ابي الفرج لمعرفة اخبار دولة الاتابكة، وتسلسل امرائها، وما يتعلق بحروبها، واصلاحاتها. فقد ارخ ابن الاثير لامرائها، واظهر محاسنهم، واشار الى ما اسدوه من خدمات جلّى لجميع المناطق الواقعة ضمن نفوذهم. وكان قد صنفه في ايام الملك القاهر مسعود بن نور الدين معتمدا في ترتيب احداثه على العماد، الكاتب الاصفهاني، وعلى تاريخه " الكامل "، وتاريخ حلب لابن العديم. (٢)

---

(١) الملطي، ابو الفرج، تاريخ الازمنة، ص ٢٤٩، ٢١٧، ٢٤٦،٥٥٥.

(٢) العزاوي، عباس، التعريف بالمؤرخين، ص ٤٤.

طبع " تاريخ اتابكة الموصل " في باريس عام ١٨٧٦ ، ويعرف ايضا بالكتاب الباهر "[1] .

١٨ـ تاريخ علاء الدين الجويني

كان علاء الدين متصلا بالمغول اتصالا مباشرا • فزاول الادارة ، وعرف خوافي الامور في داخل الدولة المغولية وخارجها • فجاء تاريخه علمي النزعة ، صادق الاحداث ، شديد التقيد بالازمنة • كتب تاريخ قوم لم يألفهم المشرق ، والمشرق العربي بخاصة ، شارحا طرق سياستهم ، واساليب عيشهم ، وتتابع سلطانهم ، واتصال تقاليدهم وعددهم ، وعدتهم • فسار في تدوين هذه الاحداث منذ بداية ملكهم في بداوتهم ، والى حدود سنة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) • ولما شغلته الوزارة عن تتابع الكتابة ، عهد باتمام ما ابتدأ الى علي بن انجب المعروف بابن الساعي • وبعد وفاته اودعها ابن الفوطي الذى راعى الرسمية فيه[2] .

يوضع علاء الدين صاحب الديوان في مصاف المؤرخين البارزين في حقبة حكم المغول • عليه اعتمد المؤرخون العرب وغيرهم من الامم في تحديد ابعاد الحكم المغولي ، في فترة هي من اصعب الفترات التاريخية تداخلا واضطرابا في

---

(١) المصدر نفسه ص٤٣ •

(٢) المصدر نفسه ص١٠٣ •

ما بين النهرين ، وبلاد فارس. فاستقى بعضهم منه مباشرة ، واخذ آخرون عن طريق الترجمة. وكان ابو الفرج الملطي ممن احكموا الفارسية وعرف الادب الفارسي في كل الوانه. فاقتبس من تاريخ علاء الدين بدون جهد ، كل ما له قيمة من اخبار المغول ، فضبط اسماء ملوكهم ، وامرائهم ، وقادة جيوشهم ، ضبطا محكما ، حتى صار فيما بعد مرجعا وثيقا لمن جاء بعده من المؤرخين. ولم يكتفي بهذا ، بل افرد فقرة في تاريخه لعلاء الدين الجويني ، يطنب في مديحه ، ويأتي على ذكر جميل فعاله وبعض مصنفاته هذه ترجمته: "كان علاء الدين حاذقا في العلوم ، مجيدا ، صنف تاريخا جزيل الفائدة ، كبير القيمة ، بالفارسية ، آتيا على تاريخ السلاجقة ، والخوارزميين ، والاسماعليين ، والمغول. عليه اعتمدنا في تاريخنا ، ومنه اقتبسنا اخبار ما اثبتناه من احداث هذه الفترة. (١)

١٩ـ تاريخ ملوك نامه

يذكر ابو الفرج في تاريخه السرياني ، انه اعتمد كتابا بالفارسية يقال له (ملوك نامه) (٢) لتدوين احداث المملكة السلجوقية. وقال بالحرف الواحد "اما انا الضعيف ، فقد وجدت في كتاب يدعى "ملوك نامة" يقول كاتبه سمعت ابنانغ بغا الشيخ يقول عندما كان بيغو يملك على الخزر ، قام على خدمته رجل محارب اسمه توقاق او تيموريالغ الذى يعني "ذو القوس الحديدية". ولد لهذا الرجل ابن ، ودعي اسمه سلجوق.

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٥٥٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٨

وبعد فترة من الزمن مات الامير توقاق ،فأخذ الخاقان سلجوق الى بلاطه واحبه كثيرا "(١) . وقد فقد هذا التاريخ مع ما فقد من التواريخ الكثيرة بسبب الحروب، وتقلبات الدهر الخؤون .

ب- مراجع مختصر تاريخ الدول

يستعمل ابو الفرج الملطي في تاريخه " مختصر الدول " وخاصة في الاقسام الثمانية الاولى ،معظم المصادر التي اعتمدها في تاريخه السرياني . الا انه ينفرد في مختصر تاريخ الدول باستخدامه الكتاب المقدس بكثرة حيث يورد الروايات والقصص الكتابية بحذافيرها ،بينما يثير في التاريخ السرياني ،القضايا التفسيرية ،معتمدا تفاسير قدامى اللاهوتين من الاباء الارثوذكس.

اما ما يختص بالدولة التاسعة ،والعاشرة ،دولة العرب المسلمين ، ودولة المغول ،فيركز اهتمامه على المراجع العربية ،والفارسية ،مستعينا بالمراجع السريانية التي تطرقت الى هذه التواريخ ،او التي اعطت وجهة نظر تختلف عن الوجهة العربية او الفارسية . ومع انه يتوكأ على حوادث الطبرى ،وابن الاثير للفترة العربية ،نراه يقتبس بكثرة ،على خلاف عادته ،من الكتاب المغاربة ،واهل

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٢١٨ .

الاندلس، كأبي الصلت امية المغربي [١] . وابن جلجل الاندلس [٢] ،والقاضي صاعد ابن احمد القرطبي [٣] الى جانب جمال الدين القفطي [٤] .وفيما يلي من هذا الفصل نعدد ما تبقى من مصادر ابي الفرج الملطي ،والتي استخدمها في كتابه " مختصر تاريخ الدول " ولم يذكرها في كتابه " تاريخ الازمنة" السرياني .

٢٠ـ تاريخ صاعد بن احمد القرطبي الاندلسي

ألف صاعد (١٠٦٩م ـ ٤٦٠هـ) عددا من الكتب التاريخية منها "جوامع اخبار الامم من العرب والعجم و "صوان الحكمة في طبقات الحكماء" و "طبقات الامم" . ويعدّ كتاب طبقات الامم ،من الكتب النادرة في التاريخ ،لانه يأتي على وصف العلوم بين الامم التي سبقت العرب ،وكان لها فيها قدم ثابتة .

ويتحدث في مطلع كتابه عن الامم القديمة ،التي اهتمت بالعلوم ونقلتها في اجيالها ،فيعد منها سبع أمم ثم يتبسط في شرح مواقع بلادها ،وأصل اقوامها ،

---

(١) الملطي ،ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول ،ص٢٠٠

(٢) المصدر نفسه ،ص ١١١

(٣) المصدر نفسه ،ص٩٣ ،١٣٥

(٤) المصدر نفسه ،ص٢٤٣

وطرق عبادتها ،وفروع علومها ،ومصدر لغتها · والامة الاولى في ترتيبه هي الفرس : مسكنهم في وسط المعمور ،ملكهم واحد ،ولسانهم واحد ،والامة الثانية الكلدانيون · وهم اهل سواد العراق ،والجزيرة ،اى ما بين النهرين ،دجلة والفرات ،ولسانهم سرياني ،والثالثة ،اليونان وهم في الربح الغربي والشمال من معمور الارض· والرابعة، القبط وهم اهل مصر ،واهل الجنوب ،ومن اتصل بهم الى المحيط· والخامسة ،اجناس الترك· والسادسة ،الهند والسند ومن اتصل بهم· والسابعة ،الصين ومن اتصل بهم من سكان بلاد عامور بن يافث · ثم يعود في نهاية هذا التفصيل فيتحدث عن العلوم وفروعها ،ويعدد اسماء العلماء والكتاب في كل امة ،مع الاشارة الى اسماء مؤلفاتهم، والتعليق على بعض آرائهم· فيخص اليونان والعرب باكبر قسط من هذا الكتاب ، فيأتي على تراجم اطبائهم ،ويذكر البارزين من فلاسفتهم · كما يخص القسم الاخير من كتابه " جوامع اخبار الامم من العرب والعجم " بعلماء الاندلس وفلاسفته واطبائه فيعدّهم واحدا واحدا الى النهاية ·

وعرف هذا الكتاب في الشرق العربي ،كما عرف في الاندلس· فاقتبس منه القفطي في " تاريخ الحكماء " واتكأ عليه ابو الفرج في الكثير من اخباره ، خاصة ما يتعلق بتراجم العلماء والفلاسفة العرب واليونانيين الواردة في " مختصر تاريخ الدول " (١).

---

(١) الملطي ،أبو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٩٣ ،١٣٥ ·

لهذا الكتاب نسختان كاملتان في خزائن الكتب الشرقية في لندن. كتبت الاولى منها في عام ٩٨٢ هـ – ١٥٧٤ م ،والثانية ،سنة (١٢٦٧ هـ – ١٨٦٢م) (١) اما النسخة المطبوعة ،فهي الوحيدة التي وجدت في المشرق العربي ،وعثر عليها الاب لويس شيخو اليسوعي عند بعض الوراقين في دمشق ،فاشتراها ،وأشرف على تحقيقها وطبعها عام ١٩١٢ .

٢١ – تاريخ الحكماء للقفطي

" تاريخ الحكماء " من اشهر المراجع التي اعتمدها ابو الفرج ونقل منها نصوصا كثيرة عن تراجم الفلاسفة والاطباء والحكماء في كافة الامم التي ذكرها في " مختصر دوله " . وقد وجدت ان الملطي ينقل السير كما هي بدون تحوير او اختصار ،ويثبتها في نهايات الفصول ،مراعيا بذلك امتداد الحقب التي يؤرخ لها (٢) .

ويرى القفطي ان ما دعاه الى تأليف هذا الكتاب الجامع للسير والتراجم المختلفة ،هو " اختلاف علماء الامم في اول من تكلم في الحكمة واركانها من الرياضة والمنطق والطبيعي والالهي وكل فرقة ذكرت الاول عندها وليس ذلك

---

(١) الاندلسي ،صاعد ،طبقات الامم ،ص ٣

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٧ ،١٢٧ ،١٩٥٦

هو الاول على الحقيقة . وقد عزمت بتأييد الله على ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيل وامة قديمها وحديثها الى زماني وما حفظ عنه من قول انفرد به او كتاب صنفه او حكمة عليّة ابتدعها ونسبت اليه فاني رأيت ذلك من الامور التي جهلت والتواريخ التي هجرت" (١).

وأشرف على تحقيق كتاب تاريخ الحكماء الدكتور يوليوس بيرت ،استاذ الدراسات السامية في برلين ح . وطبع في ليبزيك عام ١٩٠٣ .

٢٢- طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل

يعتبر كتاب طبقات الاطباء والحكماء ،"من الوثائق الهامة في تاريخ العلوم الانسانية ،وتطور حركة الترجمة والتأليف في القرن الرابع الهجرى" . ولعل ميزة هذا الكتاب الاولى التي جعلت له قيمة علمية خاصة،ونصا قديما له خطره في تاريخ العلم ،ان مؤلفه يعتمد فيما رجع اليه من مصادر ،على تراجم عربية لاصول لاتينية تاريخية" . (٢)

وفي الوقت الذى يعد ابن جلجل اول اندلسي يكتب في هذا الموضوع،نرى ان المؤلفين في الشرق الاسلامي قد سبقوه الى تأليف من هذا النوع.

---

(١) القفطي ،تاريخ الحكماء ،ص١

(٢) الاندلسي ،ابن جلجل ،طبقات الاطباء والحكماء ،المقدمة ،صافر

فان اقدم مصدر يتعرض لتراجم الاطباء هو الفهرست لابن النديم ، الفه في القرن الرابع الهجرى اى عام (٣٧٧ هـ) • ولا يحسب ابن النديم اول من صنف في هذا الموضوع ،لانه استقى معلومات وفيرة عن تراجم الاطباء قبل الاسلام ولا سيما ،من كتاب " تاريخ الاطباء والحكماء " الذى الفه اسحاق ابن حنين المتوفي عام (٢٩٨ هـ) •

وميزة الكتاب الثانية ،هي ان مؤلف هذا الكتاب يأتي على ذكر الاحوال والمراجع التي استند اليها في جمع مادة كتابه ويحصرها في فئتين : التواريخ ،والروايات المختلفة • اما التواريخ ،فقد وردت في تضاعيف كتابه ،وهي " كتاب الالوف لأبي معشر ، " هيروشيس القصاص " و " القروانقة " لايرونيم ،وكتاب ايسدورس الاشبيلي • وهذه التواريخ والكتب كما لا يخفى دونت باللاتينية ،ونقلت الى العربية ،لذا فهي تختلف عن تواريخ المشرق الاسلامي التي ترجم جلها عن اليونانية والسريانية والفارسية •

اما الروايات ،فقد اعتمد في معظمها على علماء زمانه ،وخاصة اولئك الذين رحلوا الى بلاد المشرق ، وعادوا الى الاندلس بالاخبار والروايات والعلوم ، وأشهر هولاء الرواة : الحراني • وكان هذا الراوية قد رحل الى الشرق عام (٣٣٠هـ) ثم عاد الى الاندلس سنة (٣٥١ هـ) • والعائدى وهو من اهل طرطوشة ،ولد عام (٣٠٠ هـ) وغادر الى الشرق عام (٣٤٧ هـ) ،فدخل بغداد والبصرة والاهواز ،

ورجع بروايات كثيرة . ثم العدوى الطبيب. ذكره ابن جلجل (ص١١٥) وقال انه شد الرحال الى الشرق ايضا ،حوالي سنة (٣٢٧ هـ) ،ودخل البصرة والفسطاط، ومارس الطب ،ثم قفل راجعا الى الاندلس سنة (٣٦٠ هـ) .

اما مخطوطة هذا الكتاب ،فقد كتبت بخط مغربي ،تقع في ٧٥ صفحة. نسخها محمد بن الطريف التونسي ،وانجزها عام (٩٩٣هـ) (١) . واشرف على تحقيق نصوص المخطوطة ،وعلق حواشيها ،الاستاذ فؤاد السيد ،وطبعت في مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة ،عام ١٩٥٥ .

اعتمد ابو الفرج طبقات الاطباء والحكماء في نقل بعض رواياته عن تحقيق هوية الطبيب ماسرجويه ،وتعيين سنة وفاته (٢) .

ثانيا — أثر هذه المراجع في اسلوب ابي الفرج التاريخي

لا غرو ان استخدام ابي الفرج للمصادر اليونانية والعربية والفارسية الى جانب المراجع السريانية ،جعله يتأثر بانماط كتابها ،ويقتدي طرائقهم في ترتيب ابواب كتابه ،وتنسيق موادها ،ولاجل هذا ،ارتأينا ان نرصد هذه الاثار اثرا اثرا ،ليصير في الميسور تحديد طريقته في التدوين ،وجلاء ابعادها الرئيسية.

---

(١) الاندلسي ،ابن جلجل ،طبقات الاطباء والحكماء ،المقدمة ،مز

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ١١١ .

وابرز هذه الآثار :

١- اثر الانماط البيزنطية

تأثر ابو الفرج كما يبدو من مراجعه بانماط الحوليات اليونانية وبخصاصة تلك التي اولت النواحي الدينية الى جانب النواحي الاجتماعية والعلمية والسياسية اهتماما كبيرا . فاقتبس اجزاء غير قليلة منها لتغطية احداث تاريخه الكنسي ،واجزاء من تاريخ الازمنة ،ومختصرتاريخ الدول . وبما اننا ذكرنا اثر الحوليات البيزنطية في معرض حديثنا ،فلا يسعنا الا ان نقول كلمة موجزة في تحديدها لان الاشارة اليها ستتكرر في احاديثنا المقبلة.

ميزة الحوليات البيزنطية

قلد البيزنطيون في اوائل عهدهم بالتدوين التاريخي ،نماذج اليونان في الحقب الكلاسيكية. لكن مع مرور الزمن ،تسربت الى هذه الانماط ، لا سيما في الفترات المتأخرة ،الوان متضاربة ،هي خليط من العادات الرومانية ، والمسيحية . فاعطتها شكلا مستقلا ،مفارقا لما عرف في التواريخ اليونانية الاصيلة. وانعكست هذه الاشكال الجديدة ،بصورة مباشرة ،في التواريخ الكنسية ،وتواريخ الازمنة .

وظهرت تواريخ الكنيسة على وجه التحديد ،في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع والسادس للميلاد . ولاقت قبولا حارا في الاوساط الدينية والاجتماعية. وظلت الانموذج الاعلى في محتوياتها لكافة المؤرخين في العصور المتأخرة . وقد اعترف المؤرخ نقفور كريكوراس (القرن الرابع عشر) بفشله ،وفشل الكثير غيره من مؤرخي تلك الفترة ،في بلوغ مستوى تواريخ الحقب الاولى . (١)

اما الشكل الاكثر انتشارا من هذه الحوليات ،فقد كان " التواريخ " الموضوعة في اطار احداث الكتاب المقدس ،نظير كتب اوسابيوس القيصري . ومع ان اوسابيوس ،ابتدأ بتأريخ احداثه من فترة ولادة ابراهيم ،ظل المؤرخون البيزنطيون يؤرخون حولياتهم من بداية الخليقة. (٢)

اما ثيوفانس وهو من مؤرخي القرن التاسع للميلاد ،والذى اضحى تاريخه اساسا للتواريخ المتأخرة ،استخدم التقويم الاسكندراني في ترتيب قوائم اخباره. وجعل سنة ميلاد السيد المسيح تصادف سنة ٥٤٩٢ بعد الخليقة. (٣)

وما يلفت النظر في هذه الحوليات ،هو انها نظمت في مجاميع تاريخية ،دون التقيد بمنهج " العلة والمعلول ". فترى المؤرخ يسرد احداثه ابتداء

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ،المجلد العاشر ص ٥٣٢ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية ،المجلد العاشر ،ص ٥٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٥٣٢ .

من الخليقة الى ان يصل في تسلسلها الى العصور المتأخرة . فيحصي العهود الملكية عهدا عهدا ، ويتطرق الى ذكر احكام الفرس والعرب ، ويسرد اخبار البابوات وعلاقتهم ببطاركة الشرق . وما هنالك من احداث (١)

واكثر هذه الحوليات صنف في الاصل من قبل رهبان او رجال علمانيين ذوى ثقافات محدودة ، لغرض التداول في الدوائر الشعبية ، أو الحلقات الرهبانية . ولاجل هذا ، تميزت جل هذه التواريخ بميزات عاطفية ، مقترنة بالميول الطائفية ، والاغراض القومية ، مع تشديد ظاهر على المظاهر غير العادية ، وذكر شخصيات تتمتع بمواهب ومقدرات مذهلة .

وكانت الاحداث السابقة لحقبة حياة المؤرخ ، تنقل عادة عن حوليات قديمة اخرى ، ومهما كانت اصولها ، وبدون تحقيق علمي . وكان يختم الكاتب تاريخه بتقديم اضافات لاحداث زمانه تعتمد على الرصد الشخصي للاحداث ، او ما كتبه مؤرخون معاصرون .

وكانت لغة هذه الحوليات تقليدا واعيا لما يسمى باليونانية الاتيكية (   ) ؛ الا انها كانت على الاكثر مرتبطة ارتباطا وثيقا ، باليونانية الكلاسيكية ، بالاضافة الى استعمال التعابير اليومية الشائعة . وفي احوال نادرة ، دونت الحوليات

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد العاشر ، ص ٥٣٢ .

شعرا . (١)

ولهذه الحوليات كما لا يخفى ،قيمة غير ضئيلة ،ذلك لانها تجهز المؤرخ المعاصر باصول غنية ،احتفظت بها ،وهي غير متوفرة في اكثر الوثائق الموجودة بين ايدينا . غير انها تتصف باختفاء القيم الجمالية فيها ، وجفاف اساليبها غير المصقولة.(٢)

٢– اثر الاساليب العربية

وتأثر ابو الفرج بالاضافة الى تأثيره بالانماط اليونانية ،بالطرائق والاساليب العربية في تصنيف تواريخه ذلك لكثرة تداوله هذه التواريخ واعجابه بترتيبها ،وشمول احداثها . ويرى في مقدمة تاريخ الازمنة ان هذه المراجع بالذات اغنت تاريخه ،وزودته باخبار تستأهل ان تحفظ في بطون الكتب ، وتخلد على الدهر(٣) .

ولقد اختلفت الطريقة العربية في تدوين التاريخ اختلافا ملحوظا عن الطريقة البيزنطية والسريانية . ومع ان المؤرخين العرب وقفوا على مناهج القدماء من اليونان والفرس والسريان ،الا انهم كونوا لانفسهم اسلوبا مغايرا . (٤) فيحد التاريخ

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ،المجلد العاشر ،ص ٥٣٢– ٥٣٣ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣٣ .
(٣) انظر مقدمة تاريخ الازمنة ص ٢ .
(٤) ماركوليوث ،دراسات عن المؤرخين العرب ،ص ٢٣ .

عند العرب " بانه علم معرفة احوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع اشخاصهم وانسابهم ووفياتهم الى غير ذلك ". [١] وعلى هذا الاساس قال المسعودى بعد ان جمع مواد تاريخه : " لم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الاثار ، الا اوردناه في هذا الكتاب مفصلا ، او ذكرناه مجملا ، او أشرنا اليه بضرب من الاشارة ، او لوحنا اليه بفحوى العبارة " [٢].
ويرى ابن خلدون : " ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل ، فاما ذكر الاحوال العامة للافاق والاجيال والاعصار ، فهو اس للمؤرخ تنبني عليه اكثر مقاصده وتتبين به اخباره ". [٣]

ويرى مركوليوث ان التاريخ في نظر العرب " سجل للحوادث وان تلك الحوادث هي غالبا ، وان لم يكن دائما ، اقوال الناس وافعالهم [٤] وهذه الحوادث تقع ـ بدون شك ـ في الزمان والمكان . وهذا السبب بالذات ، دفع الطبرى ليستهل تاريخه ، بتعريف شامل للزمان والمكان ، مقدما نظرية عن عمر الانسان وعمر الدنيا ، جامعا اطراف التاريخ في سجل من الحوادث حتى يصل بها الى حقبة ظهور الاسلام . ثم يضيّق من دائرة تاريخه فيقتصر على بعض الاجزاء التي

---

(١) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ص ٢٧١ .
(٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ومعادن الجوهر ، ص ٨
(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٢
(٤) مركوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ص ١٧ .

احتلتها الجيوش الاسلامية ،من العالم . (١)

اما الغرض من تدوين التواريخ عند العرب ،فهو : " الوقوف على الاحوال الماضية . وفائدته العبرة بتلك الاحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز عن امثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع. وهذا العلم كما قيل عمر آخر للناظرين والانتفاع في مصدره بمنافع تحصل للمسافرين" (٢) .

ونتج عن هذا التصنيف تواريخ عامة مطولة كتاريخ الطبرى ،وتاريخ ابن الاثير وغيرهما من المطولات . وكرس مؤرخون آخرون اعمالهم لاجزاء معينة من البلدان الاسلامية ،في حقبة معينة . فظهرت تواريخ للاقطار كالعراق والاندلس وفلسطين . او تواريخ مدن متفرقة كتاريخ حلب لابن العديم (٦٩٠ هـ) وتاريخ بغداد للبغدادى (١٠٧١ م) وتاريخ نيسابور للكعبي ،وتاريخ مكة للازرقي (٨٥٨م) . ولما كانت الاحداث في التواريخ العربية مرتبطة بالاشخاص ارتباطا وثيقا ،نشأت عن ذلك سير الملوك ،وتراجم الوزراء ،وغيرها من التراجم المتداولة. وعرف في العربية نوع آخر من التواريخ ،الا وهي كتب التراجم المتجانسة . فيفرد المؤرخ كتابا بكامله للشعراء او الاطباء او الفقهاء او المحدثين . او يعالج فيه فئة

---

(١) انظر مقدمة الطبرى.

(٢) حاجي خليفة ،كشف الظنون ،ص ٢٧١ .

من الناس عرفت بالبخل او التطفل او الغناء .

وترجع فرادة انماط التواريخ العربية الى طريقة ترتيب موادها ، وفق مناهج فريدة . وقد بحث المستشرق مركوليوث في كتابه " دراسات عن المؤرخين العرب" في الاساليب التي ميزت التواريخ العربية ،عن بقية التواريخ المعروفة ،واحصى اربعة مناهج مختلفة (١) وهي :

١- المنهج التحكمي

ويمثل هذا المنهج كتاب الاغاني الذى اعتمد الاصفهاني في ترتيبه على مجموعة من مئة قصيدة ملحنة ،فساق هذا الترتيب الى تكديس الروايات المتصلة بالشعر والشعراء والموسيقيين .

٢- المنهج الجغرافي

يتخذ فيه الجامع اساس تنظيمه ،الاقطار التي ينسب اليها الاشخاص الذين يتناولهم بالبحث كيتيمة الدهر للثعالبي .

---

(١) مركوليوث ،دراسات عن المؤرخين العرب ،ص ٢١ .

٣– المنهج الحولي

ويطلق هذا الاسلوب على المصنفات التي من فئة " الطبقات" حيث تعالج فيها المواضيع طبقا لترتيب الاجيال • كطبقات الحفاظ للذهبي •

٤– المنهج الالفبائي

وشاع هذا الاسلوب في التواريخ العربية ، واعتمده ياقوت في ترتيب مواد معجمه •

ويبدو ان ابرز ما ابتكره العرب لضبط تواريخهم وضمان الصحة والدقة في تسجيل الاحداث ، امران – اولا ، التأريخ بالسنة والشهر واليوم ، وثانيا ، طريقة الاسناد • وطريقة الاسناد هذه طريقة فذة ، بواسطتها يمكن للكاتب تتبع آثار الرواية الى شاهد العيان الذى نقل الخبر• ويظهر هذان المنهجان مدى ما اثر الفقه الاسلامي في ضبط انماط التواريخ العامة ، والسير وغيرها من الكتابات التاريخية •

٣– أثر الانماط الفارسية

لا يختلف النمط الفارسي في الاساس عن الانماط العربية • فأساس علم التاريخ في بلاد الفرس يعود الى سنة (٩٦٣م) ، ابان ترجمة تاريخ الطبرى

الى الفارسية. وتضخم الانتاج الفارسي فيما بعد ،عن طريق اضافة اخبار الهند وغيرها الى التواريخ الفارسية الاصيلة ،في زمن متأخر ،متبعين الاساليب العربية في تدوين الاحداث التاريخية . واشهر كتاب يعكس هذه النظرة ،هو " تاريخ جنكزخان والفتوحات المغولية " الذى صنفه علاء الدين الجويني المعروف بصاحب الديوان (١٢٨٤م) . (١)

طريقة ابي الفرج الملطي

بعد دراسة انماط الحوليات البيزنطية ،وتأثيرها في اساليب التواريخ السريانية ،ثم معرفة كافة ابعاد التواريخ العربية ،نرجح ان ابا الفرج الملطي جمع بين هذه الاساليب بمنهجية واعية ،مكونا بذلك طريقة خاصة اتبعها في تصنيف كتبه التاريخية الثلاثة .

ففي تاريخ الازمنة ،ومختصر تاريخ الدول ،يمزج بين التاريخ الديني كما ورد في الكتاب المقدس، والحوليات البيزنطية . فيبتدئ اخباره من الخليقة ويستمر في سرد الروايات الى عصره (٢) ،تماما مثلما يفعل مدونو الحوليات ،وكتبة التواريخ العامة . وليس هذا وحسب ،بل نجده يتقيد بالتقويم الاسكندرى بالاضافة

---

(١) دائرة المعارف البريطانية المجلد العاشر — وص٥٣٨ — ودائرة المعارف الاسلامية الجزء الثالث.

(٢) الملطي ،ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ،ص ١

الى اعتماده التقويم الميلادى والهجرى في دوله الاخيرة . وبتأثير النمط البيزنطي ايضا ،يربط ابو الفرج احداثه الاولى بسلاسل اعتباطية منذ الخليقة حتى ايامه، دون الالتفات الى نظام العلة والمعلول . فيصف حادثة الخلق ،وينتقل من آدم الى العائلة البشرية ،فحقبة الاباء فقضاة بني اسرائيل فملوكهم ،فملوك الكلدان ، فالفرس، فاليونانيين الوثنيين ،فالرومان ،فاليونان المتنصرين ، فالعرب ،فالمغول (١) .

ويغلب نمط الحوليات على تواريخه في تسلط الجوانب العاطفية ، وبروز الميول القومية والطائفية ،والتركيز على الخوارق ،وذكر شخصيات تمتاز بمواهب وطاقات مذهلة (٢) واعتبار حوليات الحقب السابقة وثائق تاريخية لا يرقى اليها الشك فيعتمدها دون نقد وينقل عنها بطمأنينة متناهية . فكان هذا التسليم المسبق بصحة احداث مصادره سببا في الجمع بين غث الاخبار وسمينها . اما بالنسبة الى احداث عصره ،فقد جمع ما استطاع جمعه بنفسه عن طريق السماع والمشاهدة المباشرة ،او اخذا عن مؤرخين معاصرين (٣) .

ومع أن ابا الفرج اقتفى الكثير من انماط الحوليات البيزنطية ،نراه يعدل عن الاخذ بالاساليب الانشائية الجافة في هذه التواريخ ،مرتكزا على سلاسة

---

(١) المصدر نفسه ص٢ تاريخ الازمنة ص ٢

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ص ١٥٥ ، ١٦٤ ، ٣٤٨ .

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ص ٢ .

المعنى ،ورشاقة التعبير ،فجاءت تواريخه على جانب من الفصاحة والاختصار والتهذيب.

اما فيما يختص بأثر الاساليب العربية ،وهذا ظاهر على الاكثر في مختصر تاريخ الدول ،فقد وجدنا انه يجعل الغاية وراء تصنيفه لتواريخه ،مشابهة للغاية التي توخاها العرب في تأليف مطولاتهم . ففي مقدمة مختصر تاريخ الدول يلخص غايته من وضع الكتاب على النحو التالي : " قصدت في اختصاره على ما أوتي في ذكره اقتصاص احدى فائدتي الترغيب والترهيب من امور الحكام والحكماء خيرها وشرها." (١) ومن التواريخ العربية نقل معظم اخباره لفترة السيطرة العربية وحكم المغول في المشرق. فاغنى بذلك تواريخه ،وفاق من تقدمه من مؤرخي السريان. (٢)

واقتبس من الطرائق العربية اسلوب ترتيب مواد تواريخه ،وحصرها ضمن سنوات محددة ،محصورة في فترة حكم ملك ،او خليفة او سلطان ،مع الاشارة الى اليوم والشهر والسنة (٣) ؛ الا انه خالف الاسلوب العربي في طريقة الاسناد ، واستعاض عنه بالاستشهاد بآباء الكنيسة وعلمائها ومؤرخيها (٤) فجاء اسلوبه وسطا

---

(١) المصدر نفسه ،ص٢ وكشف الظنون ص ٤٧١ .

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ص ٢

(٣) المصدر نفسه ،ص٩٣–٢٩٩ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٣٧،٣٥،٦٣ ،٤٩٦ .

بين العرب والبيزنطيين •

اما تأثيره بالانماط الفارسية فلا يخرج عن نطاق تأثيره بالمناهج العربية ،ذلك لان اساليب الفرس شابهت اساليب المؤرخين العرب لا سيما بعد نقل مجموعة الطبرى الى اللغة الفارسية في القرن التاسع الميلادى •

الفصل الثاني

ميزات مختصر تاريخ الدول العربي

كرسنا هذا الفصل من الرسالة ،للنظر في اهم ميزات مختصر تاريخ الدول وخصائصه الرئيسية • وقد حاولنا حصرها في مجاميع ،وتحت رؤوس متباينة ليتسنى لنا تحليل محتويات الكتاب بجملته ،بغية استخلاص آراء الكاتب ،واهدافه وراء تصنيفه هذا التاريخ من جهة ، ومناقشتها مع خصائص تاريخ الازمنة السرياني من الجهة الاخرى• وفيما يلي ،بعض هذه الميزات حسب ورودها في الكتاب:

١- الميزة الاولى :

إثباته توطئة مختصرة في صدر كل دولة ،لتحديد ملامح الأمة التي يتحدث عنها •

ففي مطلع الدولة الاولى ،دولة الاولياء ،يفرد ابو الفرج موجزا محكما لتعيين اصول الامم المعروفة ،وتفرع شعوبها ،وتطور اديانها ،وتفرقتها في الارض• ويرى ان اصول الامم في سالف من الدهر سبعة: الفرس والكلدانيون واليونانيون والقبط والترك والهند والصين • ثم تفرع كل واحدة من هذه الامم الى امم ، وتشعبت اللغات وتباينت الاديان• (١) ويقدم عرضا شاملا لهذه الامم ،امة امة ، مستعينا "بطبقات الامم" لصاعد بن احمد الاندلسي •

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ مختصر الدول ،ص ٣
والاندلسي ،صاعد ،طبقات الامم ،ص ٥ •

الصين :

" اما الصين فاكثر الامم عددا ،وافخمهم مملكة ،واوسعهم ديارا ، ومساكنهم محيطة باقصى مشارق المعمور ،ما بين خط الاستواء الى اقصى الاقاليم السبعة في الشمال ،وحظهم من المعرفة التي بزّوا فيها سائر الامم ، اتقان الصنائع العملية ، واحكام المهن التصويرية. " (١)

الترك :

واما الترك عنده ، " فأمة كثيرة العدد ايضا ،فخمة المملكة ،وفضيلتهم التي برعوا فيها معاناة الحرب ومعالجة آلاتها. وهم احذق الناس بالفروسية، وابصرهم بالطعن والضرب والرماية. " (٢) وينتقل الى الحديث عن الامم التي لم تعن بالعلم ،مقدما اسبابا لهذا الاهمال : " واما سائر الطبقة التي لم تعن بالعلم ،فهم اشبه بالبهائم منهم بالناس،لأن من كان موغلا في الشمال فانفراط بعد الشمس عن مسامتة رؤوسهم برّد افرجتهم وفجج اخلاقهم فعظمت ابدانهم وابيضت الوانهم واستدلت شعورهم وفشا فيهم الغي والغباوة ، كالصقالبة ومجاوريهم . ومن كان منهم قريبا من معدل النهار وخلفه الى نهاية المعمورة في الجنوب لطول مقاربة الشمس رؤوسهم سخنت امزجتهم واحرقت اخلاطهم فاسودت الوانهم وتفلفلت شعورهم فعدموا بهذا الاناة وثبوت البصائر كالحبشة وباقي

(١) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص٣ . وطبقات الامم ،ص ٨ .

(٢) المصدر نفسه ،ص٣ ، وطبقات الامم ،ص٨ ، ٩ .

السودان ٠" (١)

وبعد هذا المدخل العام ،في بداية دولة الاولياء ،ينتقل الى الحديث عن آدم ملك الارض،وابتداء الخليقة٠ ثم يتطرق الى موضوع تكاثر الامم ،وتفرقهم في الارض شرقا وغربا ،الى ان يصل في تحديده الى الشعب العبراني ٠ فيفرد له دولة ،ويقدم في مطلعها ،توطئة موجزة ،يشرح فيها بعض سمات الامة ،وعاداتها وعلومها ،على غرار ما صنع في الدولة الاولى ٠

العبرانيون :

ويرى ان " العبرانيين لمفارزتهم باقي الامم حرموا تعلم الحكمة مقتصرين على علوم الشرائع وسير الانبياء ٠ فكان احبارهم اعلم الناس باخبار الانبياء وبدو الخليقة ومنهم اخذ ذلك غيرهم ٠ وكانت مساكنهم بلاد الشام٠ وبها كان ملكهم الاول والآخر الى ان جلاهم عنها بعد مجيء المسيح ،طيطوس بن الملك اسفسيانوس الرومي وفرق ملكهم وبدد شملهم ٠ فتقطعوا في البلاد ايد سبأ وتفرقوا في اقطاره شذر مذر ٠ فليس في معمور الارض إلا وفيها منهم في مشارق الارض ومغاربها وجنوبها وشمالها ٠" (٢) ويذهب ابو الفرج الى ان عمر بن الخطاب اجلى اليهود قاطبة عن جزيرة العرب ،وحرم عليهم العودة اليها ٠ فتفرقوا في البلاد ،وانتشروا

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٣ ٤٤ ٠ وطبقات الامم ص٨ ٩ ٠

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٢١ وطبقات الامم ص٨٧ ،٨٨ ٠

تحت كل كوكب.(١) ويرى ان العبرانيين لم يكونوا على شيء من العلم والفلسفة في بداية امرهم شأنهم بذلك شأن الامم البدوية . غير انهم لدى تداخلهم مع الامم المجاورة، والشعوب ذات الحضارات العريقة، تحركت همم القليل منهم لطلب العلوم النظرية، واكتساب الفضائل العقلية، فنال افراد منهم ما شاؤا من فنون الحكمة.(٢)

ويناقش في الدولة الخامسة خصائص حكم ملوك الفرس، ويشير الى امتداد سلطانهم وعظمة ملوكهم. ومن اغرب آرائه في ملوك الفرس الأوائل، وخاصة في حقبة ما بعد الطوفان، هو انهم كانوا من الاقوام السامية. واول ملوكهم حسب رأيه، كيومرت، وهو من ولد سام بن نوح . بقي الملك في ولده الى ان ملك دارا بن دارا (٣٣٦_٣٣٠ ق.م) الذى غزاه الاسكندر، فقتل، وذهب ملكه.(٣) ثم يقدم فقرة يأتي على اهم ميزات الفرس.

الفرس:

" واما الفرس فأهل الشرف الشامخ والعز الباذخ . واوسط الامم دارا، واشرفهم اقليما . واسوسهم ملوكا . تجمعهم وتدفع مظالمهم عن مظلومهم . وتحملهم في الامور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام . واحسن التئام وانتظام.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١ .

(٢) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص ٢١

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٧، وطبقات الامم ص ١٥

وخواص الفرس عناية بالغة بصناعة الطب ومعرفة ثاقبة باحكام النجوم . وكانت لهم ارصاد قديمة ." (١)

ويرى ، انه بعد مقتل دارا ، ملكت الاشكانية واولهم اشك . ودام فيهم الملك الى ظهور المملكة الساسانية واولهم اردشير بن بابك الذى احسن السيرة وبسط العدل . وظل اولاده يتوارثون الملك من بعده الى ان ملك يزدجرد المعروف بالعادل . فانتقضت عليه الدول ، وتفاقمت امورها ، فطلعت اعلام الاسلام بالنصرة وقتل يزدجرد (٦٣٢ـ ٦٥١م) . (٢)

وما ان يصل الملطي في سرد اخباره الى ملوك اليونان في الدولة السادسة ، حتى يخصص جزءا مهما في المدخل الى احداثه للتعريف بهم . ومع وفرة المصادر عن اليونان بالسريانية واليونانية ، نلاحظ انه يعتمد كليا في هذه المداخل على ما دونه القاضي ، صاعد الاندلسي ، وجمال الدين القفطي . فيطنب في وصف ممالكهم ، وعلومهم ، ولا سيما الفلسفية منها والمنطقية .

اليونانيون :

" واما اليونانيون فكانوا امة عظيمة القدر في الامم ، طائرة الذكر في الآفاق ، فخمة الملوك . منهم الاسكندر بن فيليقوس المقدوني الذى اجمع ملوك الارض

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص٤٧ وطبقات الامم ص١٥

(٢) المصدر نفسه ص٤٧ ، وطبقات الامم ص١٥ .

طرا على الطاعة لسلطانه. وكان من بعده من ملوك اليونانيين البطالسة دانت لهم الممالك وذلت لهم الرقاب. ولم يزل ملكهم متصلا الى ان غلب عليهم الرومان وهم الافرنج ." (١)

ويحدد بالاضافة الى هذا ،موقع بلادهم . فيرى انه في الربع الغربي الشمالي من الارض. يحدها من الجنوب بحر الروم ، ومن الشمال بلاد اللان ، ومن الغرب تخوم بلاد الامانية ،ومن الشرق ارمينيا . (٢) ويذكر ان بلاد اليونان يتوسطها الخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر البنطس الشمالي ،فيصير والحالة هذه القسم الاعظم منها في حيز المشرق . (٣) ويرى ان لغة اليونان كانت تدعى "الاطيقية" وهي اوسع اللغات واجلّها . (٤) ثم يتطرق في حديثه الى الاديان اليونانية ،ويذهب الى ان عامة اليونان كانت صائبة ،تعظم الكواكب ،غير ان فلاسفتهم كانوا من ارفع الناس طبقة ،وأجلّ اهل العلم منزلة لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية ، والالهية والسياسات المنزلية. (٥)

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٥٧ ،وطبقات الامم ص١٩ ،٢٠ والقفطي ،ص ٢٦ .

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٥٧ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٥٧ ،وطبقات الامم ص١٩ ،٢٠ والقفطي ص ٢٦

(٤) المصدر نفسه ،ص٥٧

(٥) المصدر نفسه ،ص٥٧

الروم :

ويتناول الحديث في توطئة الدولة السابعة عن الروم فيحدد اصولهم ، ويشير الى موطنهم الاصلي ، ويرى انهم جاوروا اليونان ، لكنهم اختلفوا عنهم طبيعة ولغة . ويأتي على ذكر اباطرتهم العظام ، وممالكهم المترامية الاطراف . ويذهب الى انها في الواقع ثلاث قطع : اولها من جهة الشرق ، وهي بلاد الامانية ، وسطها فرنسا ، وآخرها الاندلس ، وقاعدتها مدينة رومية . ويذكر انه لما تغلب اغوسطس قيصر على ملوك اليونان ، اضاف مملكتهم الى مملكته ، فصارت مملكة واحدة رومّية . وبقيت رومية عاصمة لهذين القسمين الى زمن قسطنطين ، فأقام القسطنطينية وصارت قاعدة ملك الروم الى سنة ١٢٦٢ للاسكندر . فقوى العامل على رومية ، واستقل بالملك ، ومنذ ذلك تميزت مملكة اللاتين عن مملكة الاطيقيين من جهة مغاربها . (١)

ويقدم في الفقرة التمهيدية للدولة التاسعة مجمل ما وصل من اخبار العرب في فترة ما قبل الاسلام وبعده . فيتناول انسابهم ، ويصف مساكنهم الى وقت ظهور الاسلام ، ثم خروجهم ابان الفتوحات الى البلدان المجاورة واقامتهم فيها . ويبدو ان ابا الفرج جمع قبل تصنيفه مختصر تاريخ الدول نبذة عن العرب في كتيب صغير اسماه " لمع في اخبار العرب" ، اتكأ فيه على ما ورد في كتاب طبقات الامم ، للقاضي صاعد بن احمد الاندلسي . ولما ابتدأ بتقميش مواد مختصر

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٥ . وطبقات الامم ص ٣٣ .

تاريخ الدول ،ادمج محتويات الكتيب المذكور في اخبار دولة العرب ،فصارت تشمل معظم اقسام الكتاب.

العرب :

ويذكر ان العرب فرقتان : فرقة بائدة ،واخرى باقية. والبائدة كانت كما تدل آثارها ،امما ضخمة ،ولتقادم انقراضها ،ذهبت اخبارها. اما الفرقة الباقية فهي متفرعة من جذمين : قحطان وعدنان .يضمهما حالان : حال الجاهلية ، وحال الاسلام . واما سائر العرب ، فكانوا طبقتين : اهل مدر ،واهل وبر . اما اهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى. واما اهل الوبر ، فهم قطّان الصحارى. ثم يتناول الحديث عن علومهم وآدابهم ،ويذكر ان علم العرب كان علم لسانهم ، واحكام لغتهم ،ونظم الاشعار ،وتأليف الخطب. (١) ويرى انهم كانوا على علم بمعرفة اوقات مطالع النجوم والانواء والكواكب. وانهم ادركوا ذلك بفرط العناية وطول التجربة. (٢) اما فيما يتعلق بالعلوم الرياضية والفلسفية ،فذهب الى ان الله لم يمنحهم شيئا منها ،ولا هيأ طبائعهم للعناية بها. (٣)

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٩٣ ،٩٤ ،وطبقات الامم ص ٤١ ـ ٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٩٣ـ ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٩٤ .

٢- المیزة الثانية

محاولة تقديم تفاسير لاهوتية وكتابية لقرائه العرب :

يلتقط ابو الفرج من قصة الخليقة احداثا بارزة ،ويعطيها ابعادا رمزية بغية اغناء النص الكتابي ،وجعله اكثر قبول للقارئ غير الناشئ في مناخ الجماعات المسيحية . فيرى على سبيل المثال ،في تقسيم عمل الخليقة الى ستة ايام ،كما وردت الحادثة في الكتب المقدسة ،حكمة بالغة ،لأنها تعلم الانسان حسن الترتيب في امور دنياه ،وتظهر ان الله غير موجب بالذات ،بل فاعل بالاختيار . له ان يبرأ ما يشاء متى شاء . (١) ويذهب في هذا الرأى كما يرتأى ،مذهب غريغوريوس النوسي ،ويعقوب الرهاوى . (٢)

آدم والشعور بالاثم :

ويرى ان سبب شعور آدم وحواء بالعرى ، ومحاولة الهرب من محضر الله ،جاء في الواقع نتيجة وعي الذات بعد كسر الوصية ،باطاعة الشيطان ،الذى اتخذ الحية وسيلة يستتر وراءها . (٣)

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٥
(٣) المصدر نفسه ،ص ٥

ثمرة آدم :

ويحاول الملطي بعد الحديث عن كسر الوصية الالهية تحديد نوع الثمرة التي صارت علة السقوط في الخطيئة ،ذلك بالاعتماد على آراء علماء الكنيسة الاقدمين . فيقول : " قال قوم انها البرّ ،وقال آخرون انها العنب ،وقال الاكثرون انها التينة . وغريغوريوس النوسي يزعم انها رمز الى القوة الشهوانية ،والنازينزى (ت ٣٨٩م) انها رمز الى المراء في ذات الله وصفاته ." (١)

ذرية آدم :

اما فيما يختص باتصال آدم وحواء ،وانجابهم اولادا ،فهو على مذهب تودوسيوس الذى ارتأى ان آدم اتصل بحواء بعد ثلاثين سنة من الهبوط من الجنة واولد بنين وبنات. (٢) ويعلل ازدياد الناس بتقديمه نظرية ولادة توأمين في كل مرة ولدت فيها حواء. فيتزوج التوأم الاول التوأم الثاني . ويرى ان زواج التوأم هذا ،صار علة مقتل هابيل بن آدم ،لأن قائيين اخاه احبّ الزواج بتوأمه ؛ ولما كانت شريعة آدم تمنع هذا الزواج ،حنق على اخيه ،ونما هذا الحقد وتطور بخاصة لدى قبول الله قربان هابيل ،ورفضه قربان قائين . (٣)

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٥

(٢) المصدر نفسه ،ص ٥

(٣) المصدر نفسه ،ص ٥

أولاد الوهيم :

وفي تفسيره العبارة " اولاد الوهيم " يذهب الى القول ان هؤلاء في الحقيقة كانوا اولاد شيت بن آدم . وكان شيت قد شوقهم الى الحياة السعيدة التي كانت لأبويه في الجنة . ويرى انهم انقطعوا الى جبل حرمون معتكفين على العبادة والنسك والعفة لا يطورون بجنبة النساء. وعلى هذا الاساس دعوا بني " الوهيم " اى اولاد الاله. (١) ويظهر من سياق حديثه في هذا الفصل انه يجد علاقة بين الكلمة " قينة " السريانية والعربية ،وبين لفظة قائين الواردة في الكتاب المقدس. فيزعم ان بنات قائين اخترعن آلات الملاهي والطرب ،ولأجل هذا تسمى السريانية اللحن " قينة " بالكسر ،كما تسمي العرب الأمة المغنية "قينة" بالفتح . (٢)

وفي سيرة نوح ،يعود المؤرخ الى القصة الكتابية ،ويسردها بالتفصيل كما وردت في الاسفار المقدسة (تك٩ : ١- ١٠ : ٣٢) الا انه لا يغفل امر القاء بعض الاضواء التفسيرية واللاهوتية على الرواية بين الحين والآخر ،مستعينا بآراء علماء الكنيسة الاوائل ،لدفع ما يبدو متناقضا ،واكساب النص الكتابي زخما تاريخيا . فيذكر ان نوحا ادخل الى السفينة (الفلك) معه ،تابوت آدم ليحفظه من الضياع ،وليبقى ذخرا مباركا لذريته. (٣) ويحاول ان يجد سببا في عدم رجوع الغراب الذى اطلقه نوح

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٥ (انظر سفر التكوين ٦ : ١-٢)

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٧ .

(٣) هذه القصة لا وجود لها في الكتاب المقدس. وارجح ان المؤلف اقتبسها من كتاب يسمى "غار الكنوز" . الف في الرها في بلاد ما بين النهرين في القرن السادس. ونقل عنه الراهب الزوقنيني المؤرخ في تاريخه ١ : ٦-٢٩ هذه القصة ايضا .

لاكتشاف ما اذا كانت الارض قد يبست. فيذهب الى ان انشغاله بالجيف الطافية على وجه المياه ، اغراه بالسقوط عليها ، وعدم العودة الى الفلك حيث كان ينتظر نوح . ومن اطرف تعليلاته ، تلك التي اوردها لتبرير موقف نوح من ابنه حام . فيزعم ان نوحا لعن كنعان ابن حام مع ان كنعان لا ضلع له في مأساة نوح وهو في خمره (١) . ويذهب الى انه لم يلعن حاما ابنه ، لأنه عرف بالوحي الالهي ما سيبدو من كنعان من اتخاذ الملاهي ، وانشاء الزمر ، وافشاء الزنا وباقي الفواحش التي ارتكبها بنو قائين . (٢)

ملكيصادق :

ولالقاء نور على هذه الشخصية الغامضة في سفر التكوين (١٤ : ١٨) يرتأى ابو الفرج ان ملكيصادق يعود في نسبه الى سام بن نوح . وانه هو الذى حمل تابوت آدم مع سام ابيه بعد النزول من الفلك الى مكان اورشليم الحالي . فابتناها ، وسمّاها مدينة السلام ، ولأجله دعي ملكيصادق " مليخ شليم " ، اي " ملك السلام " . (٣)

العبران والعبرانية ؟ :

وفي تعليل معنى الاسم " عبراني " ، يقدم ابو الفرج نظريتين : الاولى ، ان اللفظة مشتقة من اسم عابر بن شالح جدهم الاكبر (تك ١١ : ١٤ـ١٨) ، والثانية ،

---

(١) انظر (سفر التكوين ٩ : ٢٠ـ٢٧)
(٢) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص٩
(٣) المصدر نفسه ص١٠

انه التصق بابراهيم لدى عبوره الانهار منزوحا به من العراق الى الشام.(١)

اقدم اللغات:

ويحاول بالاستناد الى الكتاب المقدس، وبعض آباء الكنيسة الاولين، ان يثبت ان السريانية كانت اقدم لغات الدنيا، وان افضل لهجاتها تلك اللهجة التي ما تزال محكية في الكنيسة السريانية. فيقول في هذا: "ان لغة الناس من آدم الى عابر كانت واحدة وهي السريانية وبها كلم الله آدم. وتنقسم الى ثلاث لغات، افصحها الآرامية وهي لغة اهل الرها وحرّان والشام الخارجة." (٢)

تقسيم الارض:

ولدى تطرقه الى رواية تبلبل الالسنة، وتفرق القبائل في الارض يفصّل البلدان التي قسمت بين اولاد نوح حسب رواية التوراة (تك١٠: ١ــ٣٢)، الا انه يضيف الى خبر التقسيم قائمة باسماء البلدان، كما يحددها جغرافيو زمانه، وما اصاب كل واحد منهم منها. فصار لبني سام وسط المعمور: فلسطين، والشام، وآثور، وسامر، وبابل، وفارس، والحجاز. ولبني حام: الجنوب كله. ولبني يافث:

---

(١) الملطي، ص١٠ (ويرى الدكتور اف. كيفن ان الاسم عبراني قد يعني "مهاجر" او "شخص من عبر الحدود"، وربما دعا "شالح" ابنه بهذا الاسم تذكارا لبعض تنقلات الاسرة عبر "دجلة". ومن المحتمل ان هذه الكلمة هي في الاصل للقب "عبراني" وهو الاسم الذى اطلقه السكان الاصليون لفلسطين على ابرام (تك ١٤: ١٣) فابرام كان اذا عبريا لانه من نسل عابر، ولأنه هو قد عبر الفرات.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١

الشمال : الاندلس، والفرنجة ، وبلاد اليونانيين ، والصقالبة ، والبلغار ، والترك ، والارمن .(١)

تسمية مدينة بابل :

ويقدم تعليلا لتسمية مدينة بابل بهذا الاسم ؛ غير انه لا يخرج في الواقع عن نطاق النظرة التقليدية التي اثبتها الكتاب المقدس. فيرى ان الناس قال بعضهم لبعض : هلموا نضرب لبنا ، ونحرق آجرّا ونبني صرحا شامخا ، فيكون لنا ذكرا كي لا نتبدد على وجه الارض. فلما جدّوا في ذلك بأرض شنعار ، قال الله تعالى : هذا ابتداء عملهم ، سوف افرق لغاتهم لئلا يعرف احدهم ما يقول الآخر فبدد شملهم ، وتبلبلت لغات الآدميين . لذلك دعي اسم ذلك الموضع بابل.(٢)

ذبيحة اسحق ، وبركة اسماعيل :

وفي قصة ابراهيم وولديه اسماعيل واسحق ، يرهق المؤرخ نفسه في التخريج لئلا يسيء الى العرب المسلمين . ففي الوقت الذى ينسب قصة الذبح الى اسحق ، يركز بالمقابل على البركات الوافرة التي وعد الله بها اسماعيل ونسله . فيذكر ان ملاك الرب تراءى لهاجر ام اسماعيل وقال لها : لا تيأسي من رحمة ربك ، فان الله قد بارك على الصبي . ويرى ان تلك البركة في الحقيقة كانت باللغة السريانية ، وانها كانت ذات مغزى عظيم . وهذا نصها : " واكبرته طب طب" . اى

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢

عظمته جدا جدا. [(١)] ثم يعود ليربط بين اصل هذه البركة ،وانتشار سلطان العرب فترة من الزمن ،ثم انكماشه تدريجيا بقوله : اقول ،قد اتفق في هذه الالفاظ " اكبرته طب طب ، سر عجيب لاح في عصرنا وهو انّا اذا جمعنا حروفها بحساب الجمل كان الحاصل ستمائة وستة وخمسون سنة وهي المدة من الهجرة الى السنة التي قتل فيها آخر الخلفاء العباسيين وزال الملك المعظم جدا عن آل اسماعيل. [(٢)] ثم يعود الى القصة التوراتية ويرى ان بعد مضي مئة سنة من عمر ابراهيم ولد له اسحق من سارا. ولما حصل لاسحق تسع عشرة سنة ،اصعده الى جبل نابو [(٣)] ليضحي به ،ففداه الله بحمل مأخوذ من الشجرة وانقذه. ويلجأ هنا الى الرموز ليربط بين اضحية ابراهيم ،وعملية صلب المسيح . فيذهب الى ان الحمل الذى افتدى به اسحق ،كان رمزا الى المسيح ،وان الآية الواردة في الانجيل : " ان ابراهيم كان يرجو ان يشاهد يومي فشاهده وسرّ " (يو ٨ : ٥٦) تفسّر هذا الارتباط وتقوم دليلا عليه . فابراهيم شاهد الحمل الذى ذبح من اجل اسحق ابنه، ولأنه كان رمزا الى المسيح ،فيكون قد رأى المسيح نفسه في عمله الكفارى ،وفرح . [(٤)]

---

(١) المصدر نفسه ،ص١٣، ١٤ ، (انظر تك ١٦ : ٧-١٠) .

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٤

(٣) اما جبل نابو فهو شرقي الاردن في صحراء موآب تجاه الاردن وهو الجبل الذى رأى موسى من ذروته ارض الموعد (انظر تث ٣٤ : ١) .

(٤) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ١٤ .

اما في قصة يعقوب ابي الاسباط ،فيورد الرواية الكتابية مع بعض التعليقات والشروح المختلفة على الفاظ عبرانية وسريانية. فيرى في حادثة هرب يعقوب الى حران ،وسكبه دهنا على حجر في بيت ايل ،رمزا الى دهن الميرون الذى تتقدس به هياكل الله عند النصارى.[1] وفي الاسم روبيل ،وهو بكر يعقوب : العظيم لله. وفي شمعون : الطائع. وفي لاوى : التام . وفي يهوذا : الشاكر. وفي ساخر : الأجر . وفي زبلون : النجاة من هول الليل . وفي يوسف : الزيادة. وفي بنيامين : ابن العزاء . وفي جاذ : الحظ . وفي اشير : المجد . وفي دان : الحكم. وفي نفتالي : المتضرع. وفي دينا : العادلة[2] . ويبدو ان ابا الفرج ينبّر على معاني هذه الالفاظ كما ترد في السريانية وضبطها اليوناني لا كما هي في النص العبراني .

ويقدم سيرة موسى في اطارها الكتابي ،منذ ولادته الى موته على جبل نابو ، دون اللجوء الى التفاسير اللاهوتية والتخريجات المنطقية .

ويتابع الملطي احداثه الدينية في الدولة الثامنة . فيشدد على السيرة الحسنة والمثل الطيب ،فيرى في الطاعة هامة الفضائل . ويقتبس من سفر يشوع بن نون آيات توافق هذه الفكرة وتشدد عليها كقوله تعالى : " اذهب ،قل لبني اسرائيل : يا شعب

---

(١) زيت مقدس ،ممزوج بالبلسم ،ومعطر بطيوب معروفة عند الملل الشرقية. يمسح به المعتمدون ،والمرضى ،والهياكل ،والمذابح الجديدة ،وهو ثاني اسرار النصرانية.

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٦ .

السوء ،حي انا الى الابد ،ستظلون ضالين مذبذبين اربعين سنة حتى تقع اجسادكم وتبلى في هذا القفر" (١) . ونبّر ايضا على عدم الاختلاط مع الامم الاخرى ،ومقاومة الاوثان . ونقل قول الله ليشوع: " وامرهم ان يهدموا بيوت الاوثان، ولا يتزوجوا بنساء الامم الغريبة ،ولا يأكلوا من ذبائحهم ." (٢) ثم يعلل وجود بقايا الامم والشعوب القديمة في ارض كنعان بعد استيلاء بني اسرائيل على معظم اجزائها ،بما جاء في سفر يشوع ايضا من ان الله سيعاقبهم ان عصوا ونقضوا عهده ونسوا آياته بتركه هذه الشعوب بين ظهرانيهم ليكونوا سببا في بوارهم . (٣)

ويورد في هذه الدولة قصة طريفة يخلط فيها ،حاسبا اياها من الكتاب المقدس وهي ليست منه ،يربطها بعصيان بني اسرائيل ،ليعطي هذا العصيان لونا مأساويا فيقول : " في هذا الزمان زاد بنو اسرائيل في طغيانهم . قال ملاك الرب لفينحاس: هذه الامة ليست بأهل ان تسمع كلام الله . فاصنع حبّا من نحاس واجعل فيه خمسة اسفار التوراة واللوحين وعصا موسى وقضيب هرون، (٤) وما استبقي من المن

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٢ .

(٤) المصدر نفسه ،ص٢٢ (عصا موسى : هي العصا التي صنع بها المعجزات في مصر ،وشق بها بحر سوف. (خر ١٤ : ٢١) . اما عصا هرون ،فهي التي افرخت وازهرت وانضجت لوزا وهي في خيمة الاجتماع (عدد ١٧ :٨) .

وسدّه برصاص. وعمل فينحاس كما امر وحمل الحب وسار الملاك بين يديه حتى انزله مغارة في بيت الله الذى بناه سليمان بن داود فانفجرت له صخرة ووضع الحب فيها واخفي مكانه." (١) هذه الحادثة لم ترد اطلاقا في اسفار موسى الخمسة، ولا في سفر يشوع بن نون . بل هناك قصة مماثلة وردت في سفر المكابين الثاني (٢ : ٤–٨) وتنسب هناك الى ارميا النبي (٦٢٧–٥٨٥ ق م) الذى كان معاصرا لسقوط مملكة يهوذا. فبين فينحاس بن هرون الكاهن المذكور في القصة الاولى ، وارميا في القصة الثانية ، حقبة زمنية طويلة لا يمكن تلافيها.

ويستمر المؤرخ في تقديم الرواية الكتابية للاحداث ، فينبرعلى الجوانب الروحية والاخلاقية فيها ، مع ايجاد تطبيق عملي لها في المجتمع . ويذكر انه بعد موت عثنائيل قاضي بني اسرائيل (القضاة ٣ : ٩) ، عبد الشعب اوثانا مختلفة، فكانت النتيجة ان اسلمهم الله في يد عجلون ملك موآب ، وزنلهم ، ولم يسعفهم الا بعد ان عادوا فابتهلوا اليه ، ورجعوا عن طرقهم الشريرة . ثم ينقل رواية اغتيال عجلون بيد اهور بن جارا تماما مثلما وردت في الكتاب المقدس (قض ٣ : ١٢–٣٠) ، ليدلل بها على افتقاد الله لبني اسرائيل ، وصفحه عن خطاياهم وآثامهم .

ويشيد في قصة دبورة ، وهي قاضية اسرائيل (قضاة ٥ : ١–٣١) ، ببسالة باراق ، واستماتته في محاربة الكنعانيين بقيادة سيسرا . ثم يلمع الى ادبار سيسرا

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٢ .

القائد ،ومقتله في خيمة امرأة اسرائيلية ، وملاحقة باراق فلول جيوش يابين ملك حاصور وظفره به • [(١)] ويستمر في مناخ القصة الكتابية ،ويرى ان بني اسرائيل عادوا بعد انتصار باراق الى التوثن ،فعاد الله واسلمهم مرة اخرى بيد المديانيين فاستعبدوهم ،فهربوا الى المغاور والكهوف ،حتى اقحلت الارض اربعين سنة ،ثم اقام لهم الرب بعد توبتهم ،القاضي جدعون فانقذهم [(٢)] •

ويروى الملطي احداث عهد القاضي يفتاح ،ويشير الى انتصاره على بني عمّون ،ويتطرق الى ذكر نذر وعد يفتاح الله ان يقدمه ان عاد منتصرا ، وهو تضحية اول انسان يخرج من اسرته للقائه • ويذهب ابو الفرج الى ان هذا النذر كان مكروها جدا ،لأن ابنة يفتاح الشابة ذهبت ضحية العجلة [(٣)] •

وفي مطلع الدولة الثالثة المنتقلة من قضاة بني اسرائيل الى ملوكهم ،يتحدث المؤرخ عن انتخاب اول ملك في سلسلة ملوك اليهود ،الا وهو شاول • فيسرد القصة كما وردت في الكتاب المقدس ويعلق على بعض الاسماء الواردة فيها ليسهل الامرعلى القارئ غير المسيحي • فيقول عن شاول : انه كان من سبط بنيامين وتسميه العرب طالوت• [(٤)] وفي قصة بطل الفلسطينيين جلياذ ،يقول : وفي تلك الايام ظهر علج

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٢٤ ،والقضاة ٥:١ـ٣١ •

(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٤ ،والقضاة ٦:١٢

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٥ والقضاة ١١:١

(٤) انظر سفر صموئيل الاول ٨:١٠

من الفلسطينيين اسمه جلياذ ،وتسميه العرب جالوت.[١] ويذكر في اشارته الى الهيكل الذى بناه سليمان انه يعرف بالمسجد الاقصى.[٢] مع ان هذه التسمية متأخرة جدا.

ويقدم اراء غريبة في قانونية بعض اسفار التوراة العبرانية تخالف النظرة المسيحية التقليدية في ايامه . فيزعم ان سليمان انتحل في سفر الجامعة ،مذهب امبيذقليس الحكيم اليوناني في بطلان المعاد الروحاني ،فضلا عن الجسماني ،وذهب مذهب الدهرية. وان سفر نشيد الانشاد ينبيء ظاهره بأن كاتبه سليمان يغازل ابنة فرعون السمراء وتغازله الا ان بعض العلماء اولوه فقالوا : " ان العاشقة النفس الناطقة التي حال حسنها بالشوائب البدنية ومعشوقها باريها المعشوق لذاته من ذاته ومن المبتهجين به." [٣]

ولا يقطع كذلك بتفسير الآية الواردة في سفر اشعياء النبي (٧ : ١٤) والتي ينسبها المسيحيون قاطبة الى العذراء مريم كما توحي القصة الواردة في انجيلي متى (١ : ٢٢) ولوقا (١ : ٢٧) عن ولادة الطفل يسوع من عذراء لم تعرف رجلا.

---

(١) المصدر نفسه ،ص٢٧ (اصم ١٧ : ١-٥٤)

(٢) المصدر نفسه ،ص٢٧ .

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ص٣٣.

ويورد بالاضافة الى هذا ما يذهب اليه اليهود في تفسير هذه الآية فيقول :
على هذا الولد - يعني (منسا ابن حزقيا) ،تحمل اليهود نبوة اشعياء النبي ..
وقالوا انما سمى النبي امرأة حزقيا الملك عذراء لصدور النبوة قبل ان يمسها ". (١)
وهذا يعني ببساطة ان النبوة كانت محصورة بابن يولد لحزقيا الملك ،وليس هناك
اية اشارة الى مولد يسوع من عذراء كما تذهب اليه النصارى في تفاسيرها لهذه
الآية .

٣- المیزة الثالثة :

تخصيص فقرات في نهاية الفصول ،للحديث عن اشهر الفلاسفة والاطباء والحكمـــاء .

أثبت المؤرخ في نهاية بعض فصوله فقرات يسرد فيها اخبارا خاصة عن اشهر من عرف في تلك الحقبة . واعتمد في اكثر هذه الاخبار على ما جاء في كتاب تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي ،وطبقات الامم ،للقاضي صاعد بن احمد الاندلسي ،وطبقات الاطباء والحكماء ،لأبن جلجل . وطريقته في الاقتباس عن هذه الكتب ،تكون تارة باقتطاع ترجمة كاملة من احد هذه المراجع ،واثباتها في المكان المطلوب ،وطورا ،بمزج عناصر مختلفة في القصة الواحدة مأخوذة من الثلاثة المصادر المشار اليها اعلاه . وابرز مثال على هذا الاسلوب ما اورده في رواية ادريس.

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٣٨ ،٣٩٦،و (٢ مل ٢١ : ١) .

فقال : ان الاقدمين من اليونان يزعمون ان اخنوخ (١) هو هرمس، ويلقب عندهم ب "طريسمجسطيس" اي الثلاثي التعليم. والعرب تسميه ادريس. وقيل الهرامسة ثلثة : الاول هرمس الساكن بصعيد مصر، وهو اول من تكلم في الجواهر العلوية، وانذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع، فبنى الاهرام، وصور فيها جميع الصناعات، وآلالات، ورسم فيها طبقات العلوم حرصا منه على تخليدها لمن بعده.

والثاني، هرمس البابلي وهو اول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش. والثالث، هرمس المصرى. (٢)

ويفرز في نهاية عهد الملك داود (٩٧٤ ق م) ملخصا للفلاسفة الذين وجدوا في تلك الفترة في بلاد اليونان، آتيا على ذكر مبادئهم، وتراجمهم واحدا واحدا. فيرى ان انبيذقليس اليوناني (٤٥٠ ق م) كان يعيش في تلك الحقبة. وانه نفى الصفات عن الله بقوله : ذاته وجوده، ووجوده ذاته، اما حياته وحكمته فمعنيان إضافيان لا يوجبان اختلافا في الذات. (٣) ويذكر ان الاسلاميين يزعمون ان اول من

---

(١) انظر سفر التكوين ٥ : ٢٤ .

(٢) انظر مختصر تاريخ الدول، ص٧ــ٨، وطبقات الامم، ص١٨، ١٩، ٣٩، وطبقات الاطباء والحكماء ص٥ــ١٠.

(٣) للزيادة، انظر الموسوعة الفلسفية، ص٦٩) .

وصف بالحكمة كان لقمان ،وكان في زمن داود الملك ،ومنه اخذ امبيذقليس. (١)

ويرتأى ابو الفرج ان هوميروس (القرن الثامن ق.م.) (٢) كان في فترة حكم الملك يوثام (٢ مل ١٥ : ٣٢) . وانه عانى الصناعة الشعرية من انواع المنطق واجادها وهو معدود في زمرة الحكماء لعلو مرتبته . وضع كتابين في الحروب التي جرت بين اليونانيين على مدينة ايليون. (٣) ويذكر ان الفيلسوف ثاليس(٦٢٤ـ٥٤٥ قم) (٤) ،كان من مدينة ملطية ،وانه اول يوناني اخذ الحكمة عن القبط ،وعاد الى بلاده ،وتصدر لتعليم الفلسفة . وان القبط انفسهم اخذوا الحكمة عن الكلدانيين . وحجته في ذلك هي ان القبط واليونان كان حالهم كحال العرب لم يعرفوا غير علم اللغة وتأليف الاشعار والامثال والخطب. وان ثاليس هذا كان اول من قال بالاطوماطون ،اى ان الوجود لا موجد له . ثم يأخذ بذكر من عاصره مع الاشارة الى مؤلفاتهم ، كاوقليدس النجار الصورى ،صاحب كتاب الاركان ،وارخميدس مصنف كتاب الكرة والاسطوانة . ويزعم الملطي ،ان الروم احرقت من كتبه خمسة عشر حملا. (٥)

---

(١) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٣١ وطبقات الامم ص ٢١ـ٢٢ .

(٢) (انظر الموسوعة العربية الميسرة ،ص ١٩٢١) .

(٣) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٣١ .

(٤) فروخ ،عمر ،العرب والفلسفة اليونانية ،ص ٣٠ .

(٥) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٣٧ ،٣٨ ،والقفطي ،ص ١٠٧ .

ويناقش في نهاية احداث دولة الكلدانيين تعاليم بعض الفلاسفة المشهورين واثرها على الفلاسفة المسلمين . ويعتمد في سرد هذه الاخبار والروايات ،بالاضافة الى طبقات الامم ،والقفطي ،شذرات سريانية فيقول : وجدت في كتاب عتيق سرياني : ان اطولوقيوس المهندس اليوناني ،عرف في زمن بختنصر .. اما ثاودوسيوس فلم نقف له على زمان معين وهو من حكماء اليونان المشهورين ،وله تصانيف حسان . وعرف في هذا الزمان ايضا فورون الكلدي (ت ٢٧٠ ق م) ، وكان صاحب فرقة ،وله جمع يتعلمون منه الفلسفة الطبيعية ،وذهب اليها فيثاغورس وثاليس وعامة اليونان قبل زمان سقراطيس ثم مال الناس عنها وقد انتصر لها في المتأخرين محمد بن زكريا الرازى (٨٦٤-٩٣٢؟) ،لأنه لم يتوغل في العلم الالهي ،ولا فهم غرض ارسطوطاليس فيه ،فاضطرب رأيه ،وتقلد اراء سخيفة ،وانتحل مذهبا خبيثا مذهب فورون ،وذم اقواما لم يفهم عنهم ولا هدى سبيلهم .(١)

ثم ينبرى لشرح اراء فرقة فورون (٢) ،ويذكر انهم يعرفون باصحاب اللذة ، لأنهم كانوا يرون ان الغرض المقصود اليه في تعلم الفلسفة هو اللذة الحاصلة للنفس بمعرفتها وهي مع البدن لأنجائها من عذاب الجهل في الآخرة . وعنده ،ان هذا

---

(١) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص٤٥ ،والقفطي ،ص ٧٣ ،١٠٨ ،٢٥٩ - ٢٦٠ وطبقات الامم ،ص ٣٣ .

(٢) فروخ ،العرب والفلسفة اليونانية ،ص ١١٦ .

الرأى شبيه برأى ارسطو.[1]

اما في الدولة الخامسة ،فيترجم في نهاية سيرة كورش الفارسي (٥٦٠-٥٢٩ قم) ،لفيثاغورس الحكيم (ت ٦٠٠ ق م)[2] ،وديموقراطيس (القرن الخامس قم) ،وديوجانيس (القرن الرابع قم) ،وفريق من الفلاسفة السفسطائيين . ويرى ان فيثاغورس جعل مبادئ الكون الاعداد بدليل ان المركبات مبادئها البسائط. ويعتقد الملطي انه لا يوجد ابسط من الاعداد اذ كل ما عداها يلزمه التركيب من اضافة العدد اليه.[3] ويزعم ان ديموقراطيس هو الذى قال بانحلال الاجساد الى اجزاء ،وان ديوجانيس راض اصحابه على اطراح التكليف.[4] ثم يذهب الى ان بعض المؤرخين يحصون بين فلاسفة هذه الحقبة ، انكساغورس (٤٥٠ قم) وسيموندس الموسيقيين ،وفروطوغورس واسوقراطيس السفسطائيين . ويثبت نقلا عن طبقات الاطباء والحكماء ان بقراط (٤٦٠ قم ؟) ايضا كان في هذا الزمان ،وكان يسكن مدينة حمص ،ويتردد على دمشق.

---

(١) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٤٦ ،والقفطي ،ص٧٣ ،١٠٨ ،٢٥٩ ،٢٦٠-٢٦٠.
وعند اهل هذا المذهب ان الحواس والعقل عاجزة عن ادراك الحقائق ،وخصوصا فيما يتعلق بالآخرة وبالفرق بين الخير والشر. وقالوا : ان من دواعي الاطمئنان للنفس الا يصدر الانسان حكما على شيء ولا يبدى رأيا خاصا."

(٢) انظر الموسوعة الفلسفية ،ص ٢٣٨ .

(٣) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٥٠.

(٤) المصدر نفسه ،ص٥٠ ،والقفطي ،ص ١٨١ .

داوى المرضى مجانا ، والف عددا وافرا من الكتب.[١]

ويتحدث عن فيليمون في معرض حديثه عن بقراط ، ويرى انه برّز في علم الفراسة ، والف في هذا الفن كتبا كثيرة.[٢] كما حدد حقبة ظهور الفلكيين ، ميطن واقطمين وقال : انها كانت فترة حكم ارتحششتا الفارسي ، زوج استير الفتاة العبرانية. ويذهب الى ان بينهما وبين بطليموس صاحب المجسطي (٥٧٠ عاما)[٣].

ويفرد بعد هذا ، فصلا يذكر فيه طرفا من حكمة افلاطون (٤٢٧–٣٤٧ قم)[٤] وسقراط (٤٦٩–٣٩٩ قم) معلقا على بعض مبادئهما الفلسفية. فيرى ان افلاطون كان قد تميز في حداثته بالشعر. ولما رأى ان سقراط يهجن هذا الفن من جملة العلوم ، احرق كتبه الشعرية ، وتتلمذ له خمسين سنة ، ومنه اقتبس الحكمة الفيثاغورة.[٥] وعنده ان افلاطون قال بأن المبادئ ثلثة : الاله ، والهيولى ، والصورة . وهو الذى اثبت وجود الامثال النوعية في الخارج ، مجردة عن المواد . وادّعى تناسخ النفوس ،

---

(١) الملطي ، مختصر تاريخ الدول ، ص٥١ ، والقفطي ، ص٩٠ ، وابن جلجل ص١٦

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٢ ، والقفطي ، ص ٦٨ ، و٣٢١

(٣) المصدر نفسه ، ص٥٢ ، ٥٣

(٤) الموسوعة الفلسفية ، ص ٤٥ .

(٥) الملطي ، مختصر تاريخ الدول ، ص٥٣–٥٤ ، والقفطي ، ص ١٧– ٢٦ .

وان وجودها قبل وجود الابدان.(٢) .

ويؤكد الملطي ان روفس الطبيب ،اشتهر في اوائل هذه الفترة ،وكانت له تصانيف كثيرة في الطب. غير ان ارسطو ردّ على اكثر نظرياته في كتبه الطبيعية، كما ناقضه جالينوس (١٣١ـ٢٠١) في تآليفه الطبيعية. الا ان المؤرخ يعود ليبرر موقف روفس بقوله : "لم تكن صناعة الطب تحققت في زمانه تحققها في زمان هذين الفاضلين". (٢)

ويزعم ان ارسطوطاليس لم يسم معلما اول لأنه اخترع المنطق واصوله اختراعا دون مقدمات اولية ،كما يظن ،بل لأنه جمع اشتاته ورتبه . وعلى هذا الاساس يعتبر مرتب العلوم ومحررها ومقرر قواعدها ،وموضح طرق الكلام. (٣) وفي نظره ايضا، ان ارسطوطاليس هو الذى هذّب كلام افلاطون وسقراط وحققه ونمّقه ورتّبه. (٤) ثم يرى ان اقرب حالا في تفهم فلسفة ارسطوطاليس كان الفارابي ،وابن سينا ذلك لأنهما تحملا عمله على الوجه المقصود واعذبا منه لوارد المورود" (٥) . ويذكران نيقوماخوس والد ارسطوطاليس كان متطببا لفيليفوس ابي الاسكندر المقدوني ،وكان

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٥٣،٥٤

(٢) المصدر نفسه ،ص٥٤ ،والقفطي ،ص ١٨٥ .

(٣) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص٥٥ـ٥٦،والقفطي ،ص٢٧ـ٥٣

(٤) المصدر نفسه ،ص ٥٥

(٥) المصدر نفسه ،ص٥٥ .

حكيما فيثاغوريّ المذهب. (١)

وفي ترجمة بطليموس فيلاذلفوس (٣٠٨ ـ ٢٤٦ قم) يناقش الملطي اخبار الرياضي المشهور طيموخاريس اليوناني ويذهب الى انه كان عالما بهيئة الفلك وصناعة آلات الارصاد. (٢) وينقل عن بطليموس القلوذى ان طيموخاريس كان قد تقدمه بأربع مئة وعشرين سنة. (٣)

ويتطرق في آخر سيرة بطليموس فيسقوس ،الى الحديث عن حياة ديسقوريدوس الحشائشي (القرن ١ م) . ويتوكأ في ترجمته له على ما اورده القفطي في تاريخ الحكماء. فيذكر ان ديسقوريدوس : كان حكيما فاضلا ،من اهل مدينة عين زربة* ، بارعا في صناعة الادوية . وينقل شهادة جالينوس في حق ديسقوريدوس القائلة : "تصفحت اربعة عشر مصحفا في الادوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت اتمّ من كتاب ديسقوريدوس" (٤) . وأثبت كذلك مدح يوحنا النحوى لديسقوريدوس بقوله : "صاحب النفس الزكية ،النافع للناس المنفعة الجليلة ، المنعوت المنصوب السائح في البلاد ،

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٦٠ ،والقفطي ص ٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٠

*ـ مدينة في قيليقية كانت واقعة على نهر جيحان وامست الآن قرية يقال لها انا زوره .

(٤) الملطي ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٦٢ .

المقتبس العلوم والادوية المفردة من البرارى والجزائر والبحار والصور لها ". [1]

ويبرهن في معرض حديثه عن ديسقوريدوس ان ابرخس الفلكي كان معاصرا له ، وفاق المتقدمين والمتأخرين وعلاهم بعلم الارصاد . وان بطليموس القلوذى نفسه اعتمد كتبه ، وبنى على ارصاده المشهورة . [2]

اما فطون الذى اشتهر امره في اواخر مملكة البطالسة ، فقد كان واسع المعرفة في العدد والمساحة على رأى الملطي . ويذهب مذهب القفطي في ان فطون وضع كتابا جليلا في علم الحساب واهداه كليوباترا . وان كليوباترا هذه ، كانت حكيمة ، تصنف الكتب في انواع الحكمة ، ولها القانون المنسوب اليها ، وهو قانون مبسوط ، سهل ، قريب المأخذ . وان الكتاب في الواقع من تأليف فطون لها ، ونحلها اياه ، فادعته . [3]

وفي ذيل فترة حكم القيصر ديوقلطيانوس (٢٤٥ـ٣١٣م) ، يفرد المؤرخ فقرة يتكلم فيها عن الفيلسوف الصورى فرفوريوس (٢٣٢ـ٣٠٤م) [4] ، ويرى انه اشتهر جدا بالتقدم والنباهة ، وكان اول من فسر كلام ارسطوطاليس في كتابه

---

(١) الملطي ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٣ ، والقفطي ، ص ٢٥٩ .

(٤) (انظر فروخ ، العرب والفلسفة اليونانية ، ص ١٢٥ ـ ١٢٧) .

الموسوم " ايساغوجي " (المدخل) • فسار مسير الشمس حتى ضمّ فيما بعد الى مصنف ارسطوطاليس، وجعل مقدمة له • (١)

ويترجم فيما تبقى من اخبار يوليانوس قيصر (٣٣١ – ٣٦٣ م)* لفيلسوف آخر هو ثامسطيوس (ت ٣٩٠ م) • وينقل مجمل هذه الترجمة عن القفطي • ويذكر ان ثامسطيوس كان كاتبا ليوليانوس، اشتغل في الفلسفة ردحا من الزمن، مفسرا كتب ارسطوطاليس • كما صنف كتابا ليوليانوس في التدبير وسياسة الممالك • ولما انبرى القيصر يضطهد النصارى، انتصر ثامسطيوس للنصرانية بكتاب رفعه اليه يتضمن الكفّ عن اضطهادهم • وبرهانه على ذلك : ان الله يحب ان يعبد بوجوه مختلفة • وما يبرر الوجوه المختلفة في عبادة الله، تشعب الفلسفات اليونانية • ويرى المؤرخ ان القيصر اقتنع بكلامه، وكفّ عن اذيتهم • (٢)

ويورد في ترجمة ثامسطيوس نتفا من اخبار نيقولاوس• ويعلل مجيء السيرتين معا، قرب زمان نيقولاوس من عهد ثامسطيوس• ويذكر ان نيقولاوس صنف كتاب " من حمل فلسفة ارسطوطاليس" ، وكتاب النبات، والرد على الجاعل العقل والمعقولات

---

(١) الملطي، مختصر تاريخ الدول، ص ٧٨، والقفطي ص ٢٥٦–٢٥٧

* – انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٩٤،

(٢) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص ٨٢، والقفطي ص ١٠٧

شيئا واحدا .[1] ويرى رأى ابن بطلان في ان نيقولاوس كان من اهل اللاذقية، وان دوثيوس الرياضي، مصنف " المواليد والادوار" ، وديوفنطس مؤلف " الجبر والمقابلة " كانا معاصرين لنيقولاوس.[2]

وبعد ولاية هرقل (٦١٠—٦٤٠م) على الروم في الدولة الثامنة، وظهور الدولة العربية، يكرس ابو الفرج ما تبقى من هذا الفصل لسرد اخبار الحرث بن كلدة (٦٧٠م)[3] طبيب العرب. وينقل ما جاء في ترجمته عن طبقات الامم، وطبقات الاطباء والحكماء، وتاريخ الحكماء للقفطي . ويذهب في قوله الى انه من ثقيف، من الطائف. اخذ الطب عن اهل جنديسابور قبل الاسلام، فاشتهر، وادرك الاسلام، ولم يصحّ اسلامه .[4] ويرتأي ان اهرون القس الاسكندرى، كان معروفا في هذا الزمان. وانه كان متفوقا في الطب، وله كناش في ثلاثين مقالة زاد عليه ماسرجويه مقالتين .[5]

ويفرد في نهاية سيرة الخليفة مروان (٦٢٣—٦٨٥م) في الدولة التاسعة،

---

(١) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص٨٢، والقفطي، ص١٠٧

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٢

(٣) (انظر زركلي، الاعلام ٢: ١٥٩)

(٤) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص٩٢ وطبقات الامم ص٤٧، وطبقات الحكماء والاطباء والحكماء، ص ٥٤، والقفطي، ص ١٦١—١٦٢ .

(٥) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول ص ٩٢، وطبقات الاطباء والحكماء ص ٦١ .

فقرة للحديث عن الطبيب اليهودى ماسرجويه (٦٨٢-٧٢٠م) ،وسنده في هذه الترجمة كتاب طبقات الاطباء والحكماء . ويرى ان ماسرجويه كان طبيبا بصريا ، سرياني اللغة ،يهودى المذهب . تولى تفسير كناش اهرون القس الى العربية.[1]

اما في اخبار المهدى (١٦٩ هـ) ،فقد تناول رواية ابي قريش المعروف بعيسى الصيدلاني . واثبت نقلا عن القفطي انه ذكر في جملة الاطباء ،لا لأنه كان ماهرا بالصناعة ،بل لظريف خبره ،وما فيه من العبرة وحسن الاتفاق .[2]

ويذكر في جملة اخبار الرشيد (١٧١-١٩٣ هـ) الطبيب بختيشوع بن جيورجيس (٨٠٠م-١٨٤هـ) .[3] ويرى انه استقدم من جنديسابور لمعالجة الرشيد ،فاكرمه كثيرا ،ولمكان فضله ،وعلمه بصناعة الطب ، اقامه رئيسا على الاطباء في بغداد .[4] ثم يتطرق الى الحديث عن ابنه جبرائيل (٨٢٨م-٢١٣ هـ) ويلمح الى معرفته الكاملة بفنون الطب، وينقل عن القفطي رواية عن احدى جوارى

---

(١) المصدر نفسه ،ص١١١ ،وطبقات الاطباء والحكماء ،ص٦١ .

(٢) المصدر نفسه ،ص١٢٧ .

(٣) (انظر زركلي ،الاعلام ٢ : ١٢)

(٤) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٣٠ ،وطبقات الامم،ص٣٦ ، والقفطي ص ١٠٠ .

الرشيد ،وبراعة جبرائيل في شفائها ،وكسبه من وراء ذلك خمسمائة الف درهم.[1]

كما يلحق بهذه السيرة ذيلا موجزا يتكلم فيه عن يوحنا بن ماسويه (٨٥٧م — ٢٤٣هـ)[2] ويشيد بخدمته للرشيد في الترجمة عن اليونانية ، وبشهرته الواسعة في عالم الطب والفلسفة[3]. ويروى بالاعتماد على روايات القفطي كثيرا من نوادره في معالجة المرضى.[4] ويدمج في هذه السيرة ايضا ، قصة الطبيب الهندى بن بهلة ، مشيرا الى ما وقع له مع جبرائيل بن بختيشوع في امر موت ابراهيم ابن عم الرشيد . وهو لا يورد هذه الحكاية للتشكيك في مقدرة جبرائيل الطبية ،بل يثبتها هنا لاظهار ان للهنود طرقا ومناهج في الطب تختلف عن مناهج اليونان وطرقهم . وكان جبرائيل يومئذ يداوى على الطريقة اليونانية ،هو وسائر اهل جنديسابور.

اما في نهاية عهد المأمون (٨٣٣م) فيذكر ستة من مشاهير الرياضيين وعلماء الفلك والمنجمين . منهم حبش الحاسب الذى عاصر المأمون والمعتصم ،وطبّقت

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٣٠ ،والقفطي ص١٣٤—١٣٥ . (انظر زركلي ،الاعلام ٢: ١٠٠)

(٢) (انظر زركلي ،الاعلام ٩: ٢٧٩) .

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٣١ وطبقات الامم ص ٣٦.

(٤) المصدر نفسه ،ص ١٣١ ،والقفطي ص٣٨٦ .

شهرته الآفاق في حساب تسيير الكواكب. ويرى انه خلف ثلاثة ازياج ،وكتابا في العمل بالاصطرلاب.(١) وينقل ما دونه عن الفرغاني (٨٦١م) عن طبقات الامم ذاكرا انه كان من منجمي المأمون ،وصاحب المدخل في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم.(٢) ويذهب الى ان الحسن بن نوبخت كان على معرفة واسعة في علم النجوم.(٣) وان ما شاء الله اليهودى كان فاضلا ،اوحد زمانه ، ومعاصرا للمأمون.(٤) والخوارزمي (ت ٨٤٧م) الذى كان الناس قبل الرصد يعوّلون على زيجه الاول والثاني وكان يعرف بالسندهند(٥). اما سيرة يحيى بن منصور، فانه يثبتها كما وردت في تاريخ الحكماء بفصها ونصها ، لا يسقط منها شيئا.(٦)

ويلحق بتراجم علماء الفلك والرياضيات ،سير بعض الحكماء والاطباء ممن عاصرهم ، كيوحنا الترجمان ،وسهل بن سابور (٨٣٣م) ،ويوحنا بن ماسويه (ت ٨٥٧م) ، وزكريا الطيفورى .(٧)

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ١٣٦ ،والقفطي ،ص ١٧٠ . وانظر ايضا مقالة جميل الصالح - مجلة الابحاث ،مجلد ٢٣ ،١٩٧٠ .

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٣٦ وطبقات الامم ص٥٤ ،٥٥ .

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٣٦ والقفطي ص١٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ١٣٦ ،والقفطي ص ٣٢٧ .

(٥) المصدر نفسه ،ص١٣٦ والقفطي ص٢٨٦ .

(٦) المصدر نفسه ،ص ١٣٧ والقفطي ص ٣٥٧ - ٣٥٩ .

(٧) المصدر نفسه ،ص ١٣٨ . (انظر زركلي ،الاعلام ،٣: ٢٠٩) .

وترد قصة سلمويه الطبيب (٨٤٠م) بين ترجمة الخليفة المعتصم (٧٩٥ـ ٨٤٢م) والواثق (٨٤٢ـ٨٤٦م) ،ومرجعه القفطي . ويرتأى انه كان عالما بصناعة الطب ،فاضلا في وقته ،محبوبا لدى الخلفاء . ولما مرض مرضه للموت عاده المعتصم وبكى عنده.[١] ويذكر في نهاية اخبار الواثق (٨٤٤م) ،قصة عن الحسن بن نوبخت معتمدا في ترجمته له ما نقله القفطي عن الشرابي عن ابن ماسويه . وفصل ترجمة يوحنا ، وادمجها في سيرة الحسن بن نوبخت مع انها في الاصل واردة في خبر ابن ماسويه .[٢]

ويتكلم عن ابي معشر البلخي (٨٨٦م) [٣] في ذيل سيرة المعتمد بن المتوكل . ويقرن خبره باخبار الفيلسوف الكندى (٨٧٣م) الذى عاصره وكانت له معه احداث كثيرة . كما انه ادمج في الفصل ذاته نبذة عن قسطا بن لوقا البعلبكي (٩١٢م) كما جاءت مدونة في تاريخ الحكماء للقفطي .[٤]

ويؤرخ الملطي في ترجمة المعتضد (٨٩٢ـ ٩٠٢م) ،لبني موسى بن شاكر ، وهم محمد واحمد والحسن . ويذكر ان المأمون ادخلهم دار الحكمة ،فتمرسوا في

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٣٨

(٢) المصدر نفسه ،ص١٤١ ،١٤٢ ،والقفطي ص ٣٨٧ .

(٣) (انظر زركلي ،الاعلام ٢ : ١٢٢)

(٤) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٤٩ ،والقفطي ١٥٢،١٥٣ ،٢٦٢، ٦٣٢ .

العلوم : فنبغ محمد في الهندسة والنجوم ،وانفرد احمد بصناعة الحيل ،والحسن بالهندسة.[١] ويذكر ايضا طرفا من اخبار الطبيب السرخسي (٨٩٩م) الذى اشتهر في هذا العهد ،ويعتبره احد كبار فلاسفة الاسلام.[٢]

وتتوسط سيرتي الخليفة المكتفي (٩٠٨م) والمقتدر (٩٣٢م) ، ترجمة الطبيب يوسف الساهر المعروف بالقس. ويروى الملطي روايتين مختلفتين عن تسميته بالساهر : الاولى ،انه كان لا ينام من الليل الا ربعه ثم يسهر في طلب العلم . والثانية ،ان سرطانا كان في مقدمة رأسه فكان يمنعه النوم .[٣] ويذكر ان الرازى (٨٦٥–٩٢٥)[٤] ابتدأ حياته بضرب العود ،ثم ترك ذلك ،وانصبّ على تعلم الفلسفة والطب فنال منها كثيرا. ثم يخطىء ابن جلجل في رأيه القائل ان الرازى توفي سنة (٣٦٤هـ) مرجحا ما اثبته القفطي من انها سنة (٣٢٠هـ)[٥].

اما في نهاية سيرة الخليفة القاهر ،فيترجم للطبيب ابن يوسف المعروف بابن العطار. ويذكر مكانته الرفيعة لدى القاهر ،وتقدمه على الكثيرين من ابناء

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٥٣ وطبقات الامم ص٥٥ والقفطي ص٤٤١–٤٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ،ص١٥٣ . انظر الموسوعة العربية الميسرة ،ص٢٠

(٣) المصدر نفسه ،ص١٥٤ ،القفطي ص٣٩٢ .

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ،ص٨٥٢.

(٥) الملطي ،ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول ،ص١٥٨ وطبقات الاطباء والحكماء ص٧٧ والقفطي ص٢٧١–٢٧٢ .

زمانه ،حيث جعله القاهر سفيره بينه وبين وزرائه ٠ (١) وفي فترة خلافة الراضي (٩٠٩م) ،(٢) يتحدث الملطي عن متى بن يونس (ت٩٤٠م) المنطقي ،وسنده في روايته القفطي ٠ ويرى انه كان عالما بالمنطق ،شارحا له ،مكثرا ، وطيّ الكلام ٠ من اهل ديرقنى ،أصاب علومه في مدرسة مار مارى ،وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ٠ (٣)

ويرد ذكر هلال بن ابراهيم الصابئي (٩٢٥ـ٩٩٤م) الطبيب في آخر اخبار الخليفة المستكفي ٠ ويذهب الى انه كان حاذقا عاقلا صالح العلاج متفننا ، تقدم عند أجلاء بغداد وخالطهم بصناعته ،وخدم امير الامراء توزون (+٩٥٠) ٠ (٤)

اما الفارابي (٨٧٠ـ٩٥٠م) ،فقد ورد خبره في ذيل تاريخ المطيع ٠ وعن رواية القفطي ،وطبقات الامم ،ينقل سنة وفاته ،وطرفا من اخباره وعلومه ٠ فيرى انه توفي سنة تسع وثلثين وثلثمائة بمدينة دمشق ٠ واصله من فاراب احدى مدن الترك فيما وراء النهر ٠ دخل العراق ،وقرأ الفلسفة والمنطق على يوحنا بن جيلان ، وبشر بن متى المنطقي ٠ ثم قصد سيف الدولة ،واقام في كنفه مديدة ،فأكرمه ،وعرف

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٦٢ والقفطي ،ص ٣٣٢ ٠

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية ٩، ٤٧١:٩ ٠

(٣) الملطي، ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ص١٦٤ ،والموسوعة العربية الميسرة ص١٦٤٥ والقفطي ،ص ٣٢٣ ٠

(٤) المصدر نفسه ،ص١٦٧ ،والقفطي ص٣٥٠ والموسوعة العربية الميسرة ص١١١٢

منزلته من الفهم والعلم. (١)

وفي فقرة مختصرة يسجل ترجمة يحي بن عدى التكريتي (٩٧٤م) . ويذهب مذهب القفطي في انه اليه انتهت رئاسة المنطق في زمانه . فقرأ على الفارابي ، وصنف كتبا وتفاسير كثيرة ، وامتاز بالنقل من السريانية الى العربية ، ومات في ١٣ آب ، سنة (١٢٨٥م) للاسكندر ، ودفن في بيعة القطيعة ببغداد . (٢)

وبين اخبار الطائع بن المطيع ، وعضد الدولة (٩٣٦-٩٨٣م) ، يفرد المؤرخ جزءا للحديث عن جملة من الاطباء والحكماء والفلاسفة. فيقول عن نظيف القس الرومي : انه كان طبيبا عالما بالنقل من اليوناني الى العربي ، لكنه لم يكن سعيد المباشرة ولا منجح المعالجة ، فكانت الناس تتطير به . وينقل الملطي عن القفطي رواية بعثه من قبل عضد الدولة لعيادة بعض قواده ، فتطير القائد به ، وحسب ان عضد الدولة يريد ان يتخلص منه بأى ثمن ، لذلك ارسل الرومي لعيادته. (٣)

ويترجم لعبيد الله بن الحسن المعروف بغلام زحل . ويشير الى علومه ، وعلو مكانته في علم النجوم ، ويقتطف جزءا من اقواله كما اثبتت في تاريخ الحكماء

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٧٠ ، والقفطي ص٢٧٧ وطبقات الامم ص٥٣ ، ٥٤ ، والموسوعة العربية ص١٢٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٧٠ ، والقفطي ص٣٦١ والموسوعة العربية ص١٩٧٩

(٣) المصدر نفسه ، ص١٧٥ ، والقفطي ، ص٣٣٧ .

للقفطي • ويرى انه كان من فضلاء العجم ، واجلاء الفرس• له مشاركة حسنة في العلوم الادبية ،والعلوم القديمة • وعاش حتى قارب سنة (٤٢٠ هـ) [(١)] •

وفي خلافة القادر (٤٢٢ هـ) يأتي الملطي على ذكر البزجاني ويشير الى انه كان من نيسابور• قرأ عليه خلق كثير ،واستفادوا من علمه • وصنف كتبا جمة في العلوم العددية والحسابية • وله كتاب مجسطي ،وفسّر كتاب ديوفنطوس في الجبر والمقابلة• [(٢)] واعتمادا على رواية القفطي ايضا ،يذكر عيسى بن زرعة المنطقي (٩٨٢ _ ١٠٥٦ م) ويذهب الى انه كان احد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة وواحدا من ابرز النقلة المجودين ،وله تصانيف ونقول من السرياني الى العربي • [(٣)] ويضم الى اطباء العراق في هذه الحقبة ، منصور بن مقشر المصرى النصراني • ويرتأى انه كان ذا منزلة سامية في ايام العزيز حاكم مصر• [(٤)] ويورد بعض ما يسند هذا القول نقلا عن تاريخ الحكماء للقفطي •

وفي خلافة القائم يتحدث المؤرخ عن ابي الريحان البيروني (٩٧٣_ ١٠٤٨ م) • ويقول: " انه اشتهر بعلوم الاوائل ،وتبحر في فنون الحكمة اليونانية والهندية ،وتخصص بأنواع الرياضيات • دخل الهند ،واقام بها عدة

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ١٧٦ ، والقفطي ص ٣٣١
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٨١ والقفطي ص ٢٨٧ •
(٣) المصدر نفسه ،ص ١٨١ والقفطي ص ٢٤٥ (انظر زركلي ، الاعلام ، ج٥، ص ٢٨٤)
(٤) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ١٨١ ، والقفطي ،ص ٣٣٤ •

سنين ، وتعلم من حكمائها فنونهم ، وعلمهم بدوره طرق اليونانيين في فلسفتهم .[١] كما افرد ترجمة خاصة لأبن سينا مفصلا في تاريخ حياته ، وعلومه ، وضربه في البلدان ، واستوزاره .[٢] ويحصي بين ابرز اطباء هذه الفترة ، (٤٦٠ هـ) ابن كتيفات النصراني البغدادي . ويذكر انه خدم البساسيري (١٠٦٠ م) [٣] ، وعرف بالعمل ، ولم يوصف بعلم .[٤]

ولدى مناقشته فترة حكم الخليفة المستظهر ، يكرس فقرات يذكر فيها اطباء هذه الحقبة كجرجيس الانطاكي ، وابن رحموني اليهودي . ويرى ان ابن رحموني ، ابا الخير ، كان طبيبا مصريا ، نصب نفسه لتدريس كتب المنطق وكتب الفلسفة الطبيعية والالهية ، الا انه كان يكثر الكلام فيضل ، ويسرع الجواب فيزل .[٥] ويقرن الى هذه التراجم طرفا من اخبار رزق الله المنجم . ويذكر انه كان شيخ اكثر المنجمين بمصر ، وكبيرهم ، وكان مطبوعا متطايبا . ثم يروى عنه قصة طويلة تتناول فنون التنجيم ، ينقلها عن القفطي بحذافيرها .[٦] ويسرد شيئا من اخبار ابي الحسن بن نصير المعروف بالاديب ، ويرى انه كان من الافاضل الاعيان المعدودين

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١٨٦ (انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٦٤)

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ـ١٨٩ ، والقفطي ، ص ٤١٣ ـ ٤٢٦ .

(٣) قائد في دولة بني بويه . غادر بغداد في اعقاب دخول طغرل بك السلجوقي اليها (١٠٥٥ م) ، وعاد اليها بعد اعوام (١٠٥٨ م) ، وجمع حوله الساخطين على القائم ، ونجح في الاستيلاء على بغداد ، لكنه ما عتم ان قتل (١٠٦٠ م) .

(٤) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ١٩٢ ، والقفطي ص ٢٦٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ ، والقفطي ص ٢١٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ـ٢٠١ ، والقفطي ، ص ١٨٦ .

من حسنات الزمان . وانه كان له في سائر اجزاء الحكمة اليد الطولى والمرتبة الاولى .[١]

ويتطرق في خلافة الراشد (١١٣٥_١١٣٨ م) الى سيرة ابي علي المهندس المصري ، مثبتا انه كان موجودا في حدود سنة (٥٣٠ هـ) . وانه كان اديبا فاضلا ، الى جانب ما عرف عنه من ممارسة العلوم ، وله اشعار تلوح عليها الهندسة .[٢]

وفي اواسط المئة السادسة ، في عهد المقتفي (١٠٩٦ _ ١١٦٠ م) يذكر ابو الفرج ثلاثة اطباء عرفوا باسم "هبة الله" . ويرى انهم كانوا هبة الله للعالم معنى واسما ، ومن ثلاث ملل : النصارى واليهود والمسلمين . اولهم ، هبة الله ابن التلميذ النصراني (١٠٧٣_١١٦٥ م) [٣] . وكان عالما موفقا في المباشرة . والثاني ، هبة الله ابو البركات اليهودي (١٠٨٧_١١٦٥ م) ، الذي قضى اكثر حياته مسلما . وكان عالما بعلوم الاوائل ، دخل الاسلام على اثر هجاء بن افلح له .[٤] والثالث ، هبة الله الاصفهاني المسلم (١١٣٩ م) . وهو في نظر ابي الفرج من محاسن الدهر ، توفي بسكتة اصابته .[٥]

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٠١ ، والقفطي ، ص ٢٣٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ ، والقفطي ، ص ٢١٠

(٣) (انظر ايضا الزركلي ، الاعلام ، ٩ : ٥٩ _ ٦٣ .)

(٤) (انظر المصدر نفسه ، ٩ : ٥٨)

(٥) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٠٩_٢١١ والقفطي ، ص ٣٤١_٣٤٣ ، ٤٠٤ .

ويأتي على ذكر حكيمين آخرين في عهد المستضيء (ت ٥٧٥ هـ) ، وهما : السموأل المغربي (١١٧٥ م) الذى اقام في المشرق ، واحكم اصول الحكمة ، ثم دخل الاسلام ، ومات في مراغة سنة (٥٧٠ هـ) ، والطبيب الرحبي (١١٨٧ـ١٢٦٨ م) نزيل دمشق.[١] اما في حقبة الامامة الناصرية ، فيفرد فصلا طويلا يؤرخ فيه لأبرز علماء ذلك العصر. ويذهب الى ان اشهرهم كان عبد السلام البغدادى الذى قرأ علوم الاوائل وتفوق بها. ويومئ الى قصة احراق مكتبته ، وزجه في غياهب السجن فترة من الزمن.[٢] ثم يذكر طرفا من اخبار يحيى بن مارى الطبيب النصراني (١١٩٣ م) مشيرا الى فضله في علوم الاوائل ، وتفرده في الطب ، كما يعدّه في طبقات الشعراء المجيدين ، مستشهدا ببعض مقتطفات من اشعاره.[٣] ويضيف .. الى ثبت المشهورين من الاطباء ، صاعد بن هبة الله الحضيرى واخاه ابا الخير (١٢٦٠ م) المعروف بأبن المسيحي. ويذكر ان هبة الله كانت له معرفة تامة بالطب والمنطق ، ومات في اواخر عام (٥٩٠ هـ). اما ابو الخير ، فيرى انه صنف كتابا لخص فيه مباحث الكليات من القانون ، سمّاه الاقتضاب ، ثم اختصره وسمى المختصر انتخاب الاقتضاب.[٤]

ويلحق بحكماء هذه الحقبة ، محمد بن عبد السلام المقدسي. ويرى رأى

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ص ٢١٧ ، والقفطي ص ٢٠٩ (انظر زركلي ، الاعلام ٥: ١٨٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ ، والقفطي ، ص ٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ ، والقفطي ، ص ٢٦٠. (انظر زركلي ، الاعلام ٩: ١٨١)

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ والقفطي ص ٢١٤ (انظر زركلي ، الاعلام ٣: ١٤٦).

القفطي في انه قرأ الطب على ابن التلميذ ،وعلا قدره ، وصارت الملوك تخطبه ، وتوفي سنة (٥٩٤ هـ) .[١] كما يتطرق الى ذكر بن ميمون (١١٣٥ـ١٢٠٤م) الاندلسي ،ويشير الى شهرته الواسعة في معرفة الرياضيات والطب ،وامر دخوله الاسلام،وهربه الى الفسطاط واظهار دينه ،وترأسه على اليهود في مصر .[٢] ويثبت في اخبار القرن السادس الهجري ،سيرة الطبيب مسيحي بن العطار. ويرى انه كان خبيرا بالعلاج ،قيما به ،وله قرب من دار الخليفة ،يطب النساء الحواظي ، ومات حوالي عام (٦٠٨ هـ) .[٣]

ويخصص جزءا في اخبار خلافة الظاهر يتحدث فيه عن يوسف بن اسحق السبتي المغربي ،ويقتطف روايته عن القفطي في انه كان طبيبا من اهل فاس،قرأ الحكمة بجلادة فأجادها ،ولما الزم اليهود بالإسلام ، او الجلاء ، كتم دينه وارتحل الى مصر واجتمع بأبن ميمون وقرأ عليه ،ثم خرج الى بلاد الشام واستقر في حلب ومات بها عام ٦٢٣ هـ) .[٤]

اما في الحقبة المغولية ،فيؤرخ ابو الفرج لحسنون الرهاوى الطبيب، ويعتمد بالاضافة الى رصده الشخصي للاحداث،رواية القفطي . فيذكر ان ابن

---

(١) المصدر نفسه ص٢٣٩ ،والقفطي ،٣١٧ـ٣١٩ .

(٢) المصدر نفسه ،ص٢٣٩ ،والقفطي ،ص٣١٩ (انظر دائرة المعارف الاسلامية ١: ٢٨٧)

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص٢٤٠ ،والقفطي ص٣٣٢

(٤) المصدر نفسه ،ص٢٤٢ ،والقفطي ،ص٣٩٢ .

حسنون كان فاضلا في فنه علما وعملا . تفرغ لخدمة امراء دولة قلج ارسلان فترة من الزمن ، وعاد الى الرها ، ثم خرج الى حلب ، وهناك ادركته الحمى ، فقضى عام (٦٢٥ هـ) [١] . ويجمل اخبار الطبيب يعقوب بن صقلان المقدسي (١٢٢٨ م) ، ويذهب الى انه ولد في القدس ، وقرأ الحكمة على تادورى الانطاكي ، واختص بخدمة الملك الاعظم . فنقله الى دمشق ، وهناك ادركه النقرس ، ومات سنة (٦٢٦ هـ) [٢] . كما يحصي بين اطباء هذه الحقبة ايضا ، ابو سالم الطبيب الملطي الذى خدم السلطان علاء الدين كيقباذ ، والحكيم شمعون الخرتبرى ، وزين الدين الكشي ، وقطب الدين المصرى (١٢٢١ م) [٣] ، وافضل الدين الخونجي (١١٩٤ـ١٢٤٨ م) [٤] ، وشمس الدين الخسروشاهي (١١٨٤ـ١٢٥٤م) [٥] ، وأثير الدين الابهرى (ت ١٢٦٢ م) [٦] ، وتاج الدين الارموى . [٧]

اما في نهاية خلافة المستعصم (٦٤٠ـ٦٥٦ هـ) ، فيذكر بعض مشاهير الادباء والاطباء ، كجمال الدين القفطي (٥٦٨ هـ) [٨] ، ونجم الدين النخجواني

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٥٣ والقفطي ص ٣٣٢ ، ١٧٧

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ والقفطي ص ٣٧٨ (انظر زركلي ، الاعلام ، ٩ : ٢٦٠) .

(٣) (انظر زركلي ، الاعلام ، ١ : ٢٥) .

(٤) (انظر المصدر نفسه ، ٧ : ٣٤٤) .

(٥) (انظر المصدر نفسه ، ٤ : ٥٩) .

(٦) (انظر دائرة المعارف الاسلامية ١ : ٣٠٦) .

(٧) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٤ .

(٨) (انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٩٠)

كانت له اليد الطولى في علوم الاوائل وهوس ظاهر في مذهب التناسخ ·
وتاذورى الانطاكي الذى احكم السريانية واللاتينية وهاجر الى الموصل ودرس
على ابن يونس المنطقي مصنفات الفارابي وابن سينا ، والتحق بخدمة الافرنج ،
وقضى منتحرا بالسم·[١] اما مسعود البغدادى المعروف بابن القس، فقد
كان حاذقا في الطب ، خدم المستعصم واختص به · ولما جرى ما جرى في
بغداد ، انقطع عن الناس الى ان مات · ويأتي في قائمة اطباء العصر ، على ذكر
عيسى الخظيرى ، وتقي الدين المعروف بابن الخطاب الذى اتقن الطب وفاق
اهل زمانه ، وخدم السلطان غياث الدين وابنه ، فاقطع له اقطاعات كثيرة ، والرحبي
واخاه جمال الدين · ويرى ابو الفرج انه كان معاصرا لهذين الطبيبين ، وباشر
الطب مع جمال الدين في البيمارستان النورى بدمشق ، ويطنب في مديحه كثيرا
بقوله : "لم أر في الجماعات احسن منه زيا ، وصمتا ، ونطقا ·"[٢] ويذكر بدر
الدين المعروف بأبن قاض بعلبك ، ونفيس الدولة النصراني ، ويعقوب السامرى
(١٢٨٢)[٣] ونجم الدين المعروف بابن اللبودى ، وعز الدين الضرير·[٤]

ولا يؤرخ في الدولة العاشرة الا لنفر قليل جدا من الفلاسفة والاطباء
والادباء ، ذلك لانكساف شمس المعارف ، واختلال حبل الامن في البلاد · واشهر

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص٢٧٢_٢٧٣
(٢) المصدر نفسه ، ص٢٧٣ _ ٢٧٥ ·
(٣) (انظر زركلي ، الاعلام ، ٩: ٢٦٥) ·
(٤) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٧٥ ·

هذا القليل ، نصير الدين الطوسي (١٢١١ـ١٢٧٤م) صاحب الرصد[1] • ويرى انه كان عظيم الشأن في جميع فنون الحكمة • وعاصره نجم الدين القزويني المنطقي صاحب كتاب العين • ومؤيد الدين العرضي ، وفخر الدين الاخلاطي ، وتقي الدين الحشائشي الذى اشتهر في عمل الترياق ، ونفيس الدين بن طليب وولده صفي الدين النصراني الملكي •[2]

٤ـ الميزة الرابعـــة:

فرز اجزاء من فصول للحديث عن

المذاهب والفرق الدينية

ويفرد الملطي في الاقسام الاولى من اخبار الدولة الخامسة ، دولة الفرس ، مكانا يتناول فيه شؤون الديانة المجوسية ، وبخاصة موجدها ومعلمها زرادشت• ويرى ان اصله من اذربيجان ، لكنه يرجح الرأى القائل انه كان من مواطني آثور ، ومن تلامذة ايليا النبي • وارى انه يذهب هذا المذهب ، لاثبات ما ارتآه من أن زرادشت كان له اتصال بالنبوة ، وعنها اخذ امورا كثيرة عن سرّ ظهور السيد المسيح • فعرّف الفرس (المجوس) بهذا الظهور ،

---

(١) (انظر زركلي ، الاعلام ، ٧ ، ٢٥٧) •

(٢) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص٢٨٧ •

واوصاهم بحمل القرابين والهدايا إليه ، متى حان حينه . ويذهب الى ان آية زرادشت لتعيين هذا الظهور كانت اولا ، ان بكرا في آخر الزمان ، تحبل بجنين من غير ان يمسها رجل . وثانيا ، يظهر كوكب يضيء بالنهار ، يرى في وسطه صورة صبية عذراء . وهذا الصبي هو الكلمة مقيمة السماء .(١) ويتابع روايته في احداث الدولة السادسة ، فيجمع بين خيوط القصة كما وردت في الانجيل ، وبين ما يفترضه من الاحداث التاريخية .(٢) فيذكر ظهور كوكب في المشرق ، وخروج المجوس في طلب الصبي ، وقدومهم الى اورشليم للسجود له ، طبقا لوصية زرادشت ، فصادف وصولهم ايام هيرودس ملك اليهود . فدخلوا عليه ، وقصّوا له من امور هذا الغلام الالهي ، وما سيرافق حياته من الآيات والقوات ، لأن اصله من السماء ، وله تتعبد الامم .(٣)

وينتقل الملطي في حجته الى الدليل الداخلي من . الى فلسطين نفسها ، بعد ان استنفذ الحجة الخارجية ، وسنده في هذه المرة وثائق يشير اليها ، منها : رسالة انفذها الفيلسوف اوطغنيوس الى القيصر ، يحدثه فيها عن قدوم المجوس الى فلسطين سعيا وراء عبادة طفل ولد هناك وينقل اليه بعض

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٤٩

(٢) انظر انجيل متى ٢: ١ ، ٢ .

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٦

اخبارهم • ويذهب المؤرخ الى ان القيصر بعث بردّ الى الفيلسوف يعلمه فيها انه تسلم رسالة من عامله هيرودس، يفصّل في امر هؤلاء الغرباء، منبها الى التدابير الاحترازية التي اتخذها، للقضاء على هذا الطفل قبل ان يستفحل امره •(١)

وفي رواية طيباريوس قيصر (٤٢ ق م -٣٧ م) ، يعود المؤرخ الى الحجة التي ابتدأها عن السيد المسيح ، ويذهب الى انه في هذا الوقت بالذات ، بدأ يسوع يكشف عن نفسه ويظهر الآيات الباهرة ، ويفشي سر ملكوت الله ، وكان قد بلغ الثلاثين من عمره • ويذكر ان الآيات التي اجترحها كانت فائقة جدا الى حدّ انها قادت الكثيرين الى الايمان به ، داخل فلسطين ، وخارجها • ويتخذ قصة أبجر ملك الرها دليلا على هذا القول • فيرى ان اخبار آيات يسوع ، وعجائبه بلغت مسامع ابجر • فانفذ احد رجاله برسالة عاجلة الى يسوع في اورشليم يدعوه لزيارته ، في مدينته الجميلة ، بغية شفائه من مرض عضال كان ينخز في جسده • ويتكيء الملطي في هذه الرواية ، على وثائق وردت في تاريخ اوسابيوس القيصرى ، حيث يؤكد انها كانت موجودة في الرها ، باللغة السريانية ، ابان تدوينه لتلك الاحداث •(٢)

وينتقل من البراهين التاريخية التي جاءت على ذكر المسيح ، الى ادلة

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٦ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٧ ، والقيصرى اوسابيوس ، تاريخ الكنيسة ، ص ٥٩ •

من التوراة العبرانية • ويرى ان مجيء المسيح تحقق طبقا للنبوة الواردة في سفر دانيال النبي • وذلك لأنه في السنة التي صلب فيها المسيح وقام ، تمت الاربعمائة والتسعين سنة المشار اليها في هذا السفر•(١) ويأخذ ابو الفرج في تطبيق هذه المدة الزمنية على حساب السنين المتداولة في زمانه ، على الشكل التالي : إنه من السنة عشرين لملك ارتحششتا الملك (٤٦٥-٤٢٤ ق م)(٢) ، وهي السنة التي ارسل فيها نحميا الساقي الى اورشليم لتجديد بنائها ، الى السنة التاسعة عشرة من ملك طيباريوس قيصر ، وقت صلب المسيح ، يوم الجمعة ، في الثالث والعشرين من آذار ، تساوى فترة النبوة التي اعلنها دانيال في سفره•(٣) ويرى ان اليهود ، بذلوا قصارى جهدهم في طمس هذه الحقيقة الواضحة • فأفسدوا جداول اعمار الآباء في التوراة ، في الحقبة السابقة للنبوة ، واعلنوا ان المسيح لا يأتي الا في نهاية الأزمان • وارتأوا انهم ما يزالون في توسط الزمان بسبب هذا الافساد ، لذا لم يحن حين مجيء المسيح بعد•(٤) ويبني برهانه هذا على ما جاء في الترجمة السبعينية التي بيد الروم وسائر فرق النصرانية •(٥)

---

(١) المصدر نفسه ، ص٦٧ (انظر دانيال ٩: ٣٥-٣٦) •

(٢) ان صورة اللفظة العبرية للاسم "ارتكسشترا" في الفارسية القديمة تعني "الذي يعطي القانون المقدس السيادة"• وقد امر في اول عهده بمنع الاستمرار في بناء الهيكل في اورشليم (عز ٤: ٧) ولكنه عاد فيما بعد واذن باستمرار بنائه (عز ٦: ١٤) •

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص٦٧ •

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٧ •

(٥) ان الاختلافات الواردة بين النسخة العبرانية ، والترجمة السبعينية ، انما يمكن ان تعزى الى خطأ في قراءة الحروف العبرانية القديمة اذ كان القدامى يؤرخون بها ، وهذا امر ممكن الوقوع•

ويتطرق في فترة حكم قلوديوس قيصر ، الى ذكر مذاهب اليهود وفرقهم المختلفة ، مشيرا الى تعاليمهم وفروض فرقهم . ويرى انهم كانوا سبع فرق كبيرة ، تمتاز كل فرقة عن الاخرى بطائفة من التعاليم المرسومة .(١) وهم : الربانيون ، اصحاب الناموس ومعلموه . اللاويون ، خدمة الهيكل ، المعتزلة ، المؤمنون بقيامة الموتى ، ووجود الملائكة ، ووجوب الصوم مرتين في الاسبوع .(٢) الزنادقة ، جاحدو القيامة ، والملائكة ، والحياة الاخرى . والمغتسلون ، وهم الزاعمون ان من لا يغتسل كل يوم ، لا يثاب . والنساك ، الذين لا يأكلون شيئا فيه روح . والسمرة ، وهم اولئك الذين لا يقبلون من الكتب المقدسة الا توراة موسى ، وهم المجسمة .(٣)

ويربط الملطي بين انكار اليهود لمجيء المسيح وبين الخراب الروحي والقومي الذى حلّ بهم . ففي ولاية اسفسيانوس قيصر ، افتتحت اورشليم عنوة ، وقتل فيها زهاء ستين الف نفس ، وسبي نيفا ومائة الف نفس ، فخربت اورشليم مركز اليهود القومي ، واندثر الهيكل رمز ديانتهم .(٤) ويرى ان هذا الخراب لم

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) ان اللفظة معتزلة هنا ، ترجمة للكلمة السريانية "فريشا" ، اى المعتزل ، وترجمت في العهد الجديد بلفظة فريسي .

(٣) وردت كلمة السمرة في العهد القديم في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٩ وتعني السكان المتأصلون في المملكة الشمالية . وفي الكتابات العبرانية المتأخرة ، كان معناها سكان اقليم السامرة الذى يقع في وسط فلسطين (لوقا ١٧ : ١١) . وفي سنة ٧٢٢ ق م لما غزا سرجون الآشورى السامرة ، سبا اهلها ، واسكن مكانهم اناسا من بابل وحماة فصار هؤلا هم السامريون .

(٤) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٩ .

يأت فجأة ، بل سبقته اعلانات كثيرة . ويرتكز فيما ينقله من روايات ، على يوسيفوس المؤرخ اليهودي . فيقول : انه ظهر فوق مدينة القدس نجم طويل كسيف من نار يلمع . وفي عيد الفصح جاء الكهنة ببقرة الذبيحة فولدت حملا في وسط الهيكل . وكان اليهود عامة السنة يسمعون في الهيكل اصواتا مختلفة تقول : إننا سننتقل من هاهنا .[١]

وفي ختام سيرة القيصر طريانوس يذكر نتفا من اخبار مبتدع مسيحي ظهر في تلك الفترة يدعى سوطرنينوس . ويذهب الى ان هذا الخارجي ، جاء بآراء لا تطابق التعاليم المسيحية التقليدية ، فاجتمعت الكنيسة وشجبته . وخلاصة افكاره كانت : ان العالم الذى نعيش فيه لم يخلقه الله وحده ، بل اشتركت في عملية خلقه سبعة من الملائكة ، بانيا مزاعمه على نص التوراة القائلة : "هلموا نخلق انسانا بشبهنا وصورتنا" .[٢] وانكر سوطرنينوس الزواج في كافة اشكاله ، وعدّه عملا غير شريف ، زاعما ان هيئة اعضاء البضاع للرجال والنساء هي من عمل الشيطان ، ولهذا لم يستقبح الناس كشفها .[٣] ويذكر ان قورنثوس ذهب في شأن خلقة العالم مذهب سوطرنينوس ، الا انه خالفه في امر الزواج ، وزعم ان السيد المسيح نفسه ولد من المباضعة الجسدية .[٤] ويشجب ابو الفرج تعاليم المبتدعين ،

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) (انظر سفر التكوين : ١ : ٢٦ — الآية المثبتة اعلاه هي كما جاءت في مختصر الدول .) .

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧١ .

ويذهب الى ان الكنيسة الاولى كانت بريئة من هذه البدع والخرافات الشيطانية الى هذه الفترة .[(١)]

وفي ذيل ترجمة طيطوس انطونيانس قيصر ، يتحدث المؤرخ عن نشوء متطرف آخر يقال له مرقيون[(٢)] . خالف السنة المسيحية ، وقال بثالوث يخالف مذاهب النصرانية ، اى انه آمن بثلاثة آلهة: العادل ، والصالح ، والشرير. وزعم ان العادل ابدى افاعيله في الشرير وهو الهيولي فخلق منها العالم. ولما رأى الصالح العالم قد انجذب الى جهة الشرير ، ارسل ابنه ليدعو الناس الى عبادة ابيه الصالح . فأتى ونسخ التوراة المتضمنة سنة العدل بالانجيل الذى هو متضمن سنة الفضل. فهيّج العادل عباده عليه فامكنهم من نفسه حتى قتلوه وبقيامته من بين الاموات سبى الناس وأصارهم الى عبادة ابيه.[(٣)] ويذهب ابو الفرج الى ان هذه العقيدة دخيلة على النصرانية ، وهي اباطيل ملفقة، اوجبت ابسال صاحبها ، وقطعه عن جسم الكنيسة .[(٤)]

ويضيف الى قائمة الغلاة طيطيانس الآرامي من بلاد ما بين النهرين.[(٥)]

---

(١) الملطي ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٧١ .

(٢) ولد في سينوب (البنطس) ونشر في مصر والشام وفارس تعاليمه التي آل امرها فيما بعد الى مذهب ماني . توفى حوالي سنة ١٥٠ م .

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٧٢

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٥) (انظر ادى شير ، كلدو وآثور ، ٢ : ١٩) .

ويرى ان طيطيانس هذا قال بوجود عوالم اخرى نظير عالمنا . وان التزويج زنى وشر . وان بعد الموت اكلا وشربا ونكاحا .(١) ويلمح الى تعاليم مونطانس الذى نشأ في آسيا الصغرى، وادّعى انه الفارقليط الذى وعد المسيح ان يرسله الى العالم بعد صعوده الى السماء.(٢) كما قام في الرها رجل يقال له برديصان (١٥٤-٢٢٢م)، ويذكر الملطي، انه كان قسا نصرانيا(٣)، اعتقد بأن الشمس اب الحياة، والقمر ام الحياة، وان في أول كل شهر تخلع ام الحياة النور الذى هو لباسها، وتدخل على اب الحياة فيجامعها فتلد اولادا يمدون العالم السفلي بالنور والزيادة .(٤)

ولدى حديثه عن غالوس قيصر (٢٣٥م) يفرد فقرة يناقش فيها اراء مبتدع آخر نهض في مدينة بيزنطيا، وكان قسا ايضا، يدعى سابيليوس . ويرى ان هذا، شدد على ان الاقانيم الثلاثة في اللاهوت، ليست اشخاصا، بل هي الوجود، والحكمة، والحياة. وهي ليست معاني زائدة، على ذات الله تعالى، بل صفات اعتبارية، لا مسمى لشيء منها في الخارج، اذ البارى تعالى موجود لا بوجود وحكيم لا بحكمة، وحي لا بحياة.(٥) ويذكر الملطي، ان هذه العقيدة

---

(١) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص٧٣ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٣ .

(٣) ولد في الرها . وكان من اصدقاء ابجر ملكها، واليه ينسب كتاب القدر وهو اقدم كتاب بعد التوراة بالسريانية.

(٤) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص ٧٤ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٥ .

الغريبة المتطرفة ،ليست مسيحية في اصلها ،بل اخذها سابيليوس عن مذهب انبيذقليس الفيلسوف اليوناني ، ورتبها بشكل توافق آراءه ومعتقداته . وفي نظر الملطي ان فرقة من علماء الاسلام ،وهي نفاة الصفات ،انتحلت هذه الفلسفة ايضا ،وتبنتها لتذود بها عن مبادئها.(١)

ويذكر لاهوتيا آخر في سلسلة هؤلاء المتبدعين اسمه بولس الشميشاطي (٢٦٨ـ٢٦٩ م) ويرى انه تردّى في ضلالة مناقضة للاجماع المسيحي . زعم "ان جميع معلولات الله تعالى ارادية وليس له معلول ذاتي بتة ،لذلك لم يلد ولم يولد ." فيترتب على هذه المقدمات ان المسيح لم يكن كلمة الله ،ولا ولد من عذراء ،وانما حصل له الكمال بالاجتهاد ،وكل من تعاطى رياضته ،نال درجته.(٢) ويرى الملطي ان بولس هذا ،تجاسر على التفوه بهذه الاقاويل ،لأن امرأة يهودية ،اقامها غالوس قيصر على الشام ،كانت تستحسن كلامه ،وتدافع عنه ،وهي التي فوضت اليه بطريركية انطاكية . ويتهم بولس بفساد العقيدة ،والسيرة ،طاعنا في شرعيته .(٣)

ويتناول بالبحث في نهاية فترة حكم اورلينوس قيصر اخبار ماني الثنوى (٢١٥ـ ٢٧٦ م) (٤) . ويذكر انه كان في بداية امره يظهر النصرانية . وسيم قسا

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٧٥ .
(٢) المصدر نفسه ،ص ٧٦ (طالع ايضا تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ١: ١٤٤)
(٣) المصدر نفسه ،ص ٧٦ .
(٤) (انظر كلدو وآثور ، ٢: ٢٢) .

بالاهواز ، وكان يعلم ويفسر الكتب المقدسة ، ويجادل اليهود والمجوس . ثم مرق من الدين وادّعى انه المسيح واتخذ اثني عشر تلميذا ارسلهم الى بلاد المشرق والصين . ويرى ابو الفرج ان علم الثنوية ينسب الى ماني الذى زعم ان للعالم الهين : احدهما خير ، وهو معدن النور ، والآخر شر وهو معدن الظلمة . وتمازجا ، فانتصر الخير على الشر ، فانتقل الشر الى جهة الجنوب ليعمل هناك عالما ويتسلط عليه . ولما عمل بنات النعش حول القطب الجنوبي ، اصلحت الملائكة بينهما بأن القى الخير شيئا من نوره على الهيولى فوجد عالم قابل للكون والفساد وتسلط عليه الشر . ولأن الخير فعل ذلك مكرها ، فقد خلق في السماء سفينتين كبيرتين هما الشمس والقمر وصار يجمع انفس الناس ويسترجع نصيبه الذى صار الى الشر ليخلو الهيولي رويدا رويدا من آثار الخير فيبطل سلطان الشر .[١] ويضيف ان ماني كان يؤمن بالتناسخ ويزعم ان في كل شيء روحا مستنسخة . وكان يفرط في تمجيد النار وتعظيم شأنها ويؤهلها للتقديس والتسبيح لنورها وتوسطها في المكان ، بين الفلكيات والعنصريات وكان يؤهل الارض للتحقير لكونها مظلمة لا يستضيء باطنها بالفعل ولا بالقوة . وعنده ان هذين الرأيين استمدهما ماني من قدماء الفرس ، الا انه شيدهما بالحجج الاقناعية .[٢]

ويلي حديثه في عهد تملك قسطنطين (٢٨٠-٣٣٣م) بحث في اصل

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٧٧ .

البدعة الآريوسية. فيذكر ان آريوس موجد هذه البدعة كان خطيبا اسكندرانيا، ذرب اللسان، تشبث بالآية الواردة في سفر المزامير: "الرب خلقني في اول خلائقه"، مدعيا ان كلمة الله مخلوقة، مباينة بالجوهر لذات الله، لأنها عبارة عن العقل الذى هو المعلول الاول، وهو اول ما خلقه الله[١]. ويذهب الملطي الى ان هذه العبارة نوقشت في مجمع نيقة (٣٢٥ م)، وظهرت انها مخالفة للأجماع المسيحي، فزيفت آراؤه، وصيغ على الأثر، قانون الايمان المعروف بالقانون النيقاوى. فحددت الامانة المسيحية، واجتمعت عليها آراء الكنيسة شرقا وغربا.[٢]

والمع الملطي في عهد القيصر اولنطيانس الى ظهور فرقة من الغلاة، شددت على حياة الصلاة، والصوم، وممارسة الفضائل. فرأت في الصوم والصلاة، أعلى مراتب الدين. ويذكر ان هذه الفرقة كانت تقول: "كل من صلى وصام اثنتي عشرة سنة، يأمر الجبل ان ينتقل من مكانه فينتقل كما جاء في الانجيل المقدس".[٣] فكان اذا تعبد احدهم هذه المدة، خرج فقال للجبل: اياك آمر، انتقل عن مكانك. فاذا لم يكن ذلك، يئس من قبول عبادته، واخذ في الاكل والشراب والفساد.[٤]

---

(١) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص٨٠ (انظر رستم، الروم وصلاتهم بالعرب ١: ٥٥_٥٩).

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٣.

ثم يشير في ذيل سيرة الملك ثاودوسيوس (٤٠٨-٤٥٠م) الى ايهيبا الرهاوى (٤٣٥م) ، ويرى انه مال الى تعاليم ثودوسيوس اسقف المصيصة[١] ، وكان من اوائل من علم بالاقنومين والوجهين في المسيح . ويذهب الى ان بداية تورط ايهيبا كانت : "انه خطب ذات يوم خطبة قال فيها : اني لا احسد المسيح على تألهه لأن كل ما صار فيه فانا مثله."[٢] ويرى ان هذا التطرف في تفسير سر التجسد حمل الاساقفة على شجب تعاليمه ، وانزاله عن كرسيّه الاسقفي ونفيه عن الرها.[٣]

ويذهب في حديثه عن القيصر مرقيانوس (٤٥٠ - ٥١٨م) الى ان الامبراطور عقد مجمعا في خلقيدونيا في السنة الثانية لحكمه ، حضره ستمائة وثلثون اسقفا ، حرموا فيه البطريرك ديوسقوروس الاسكندرى الذى كان يعتقد بطبيعة واحدة في المسيح ، مع كافة الاساقفة الذين رأوا رأيه في هذه المسألة . وشدد المجمع على الاعتقاد بطبيعتين واقنوم واحد في المسيح فقط.[٤] غير ان الملطي يعود في فترة حكم القيصر انسطس ليشرح معنى مذهب الطبيعة الواحدة ، ويذكر اهم الذائدين عن هذا المذهب. ويرى ان ساويروس بطريرك انطاكية هو مقرّ قواعده ، ومثبت اركانه ، ومصحح اتجاهاته ، وذلك عن طريق المؤلفات التي صنفها تدعيما

---

(١) مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم وتقارب طرسوس (معجم البلدان ٧-٨: ٨٠)

(٢) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ص ٨٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥ (انظر رستم ، الروم وصلاتهم بالعرب ١ : ١٣٠-١٣١)

لهذا الرأى . فثبّت عدم حصول الاختلاط والامتزاج والفساد ، وبقاء كل من الطبيعتين على ما كانت عليه .(١) ويرتأى انه استمد حجبه من كون طبيعة الانسان مركبة من طبيعتي النفس والبدن ،وطبيعة البدن من طبيعتي الهيولى والصورة من غير انقلاب النفس بدنا ولا اليهولي صورة وبالعكس.(٢)

أما في الدولة التاسعة ،فيقدم لمحة عن الفرق والمذاهب الاسلامية مع الاشارة الى الفروق الثابتة بين الفرق في التعاليم والمبادى الاساسية . ويذكر ان اختلافات شتى وقعت في الاسلام ،بعضها في الاصول وهي موضوع علم الكلام ،وبعضها في الفروع،وهي موضوع علم الفقه . والخلاف في الاصول ينحصر في اربع قواعد : الاولى ،الصفات والتوحيد ،والثانية ،القضاء والقدر، والثالثة ،الوعد والوعيد ،والرابعة النبوة والامامة .(٣)

وعنده ان كبار فرق الاصوليين ست: المعتزلة ،ثم الصفاتية ،وهما متقابلتان تقابل التضاد . وكذلك القدرية تضاد الجبرية . والمرجئة الوعيدية، والشيعة الخوارج .(٤) ويرى انه يتشعب من كل فرقة اصناف تصل في النهاية الى ثلث وسبعين فرقة.(٥)

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ٨٦
(٢) المصدر نفسه ،ص ٨٦
(٣) المصدر نفسه ،ص ٩٦
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩٦
(٥) المصدر نفسه ،ص ٩٦ .

ويرتأى ان المعتزلة نفت الصفات القديمة عن ذات الباري هربا من تعاليم النصارى عن الثالوث. فقالوا: انه تعالى عالم لذاته لا بعلم وقادر وحيّ. وقال غيرهم: انه عالم بعلم وهو ذاته قادر وحيّ. فالاول نفى الصفة رأساه والثاني اثبت صفة بعينها ذات.(١) ويذهب الملطي الى ان تعاليم المعتزلة في نفي الصفات ، مأخوذة بالاصل عن انبيذقليس اليوناني ، عن طريق بعض معلمي اللاهوت المسيحيين.(٢) اما الصفاتية ، فيثبتون لله صفة ازلية من العلم والقدرة والحياة وغيرها. وان بعضهم بلغ في اثبات الصفات الى حد التجسيم.(٣) ويذكر ان ابا الحسن الاشعري وغيره من اللاهوتيين منعوا التشبيه ، فصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة.(٤)

وفي رأى ابي الفرج ، هو ان القدرية هي المعتزلة. سموا كذلك لنفيهم القدر لا لأثباتهم إياه. فيقولون : ان العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا.(٥) وبازاء القدرية ، الجبرية. وهم الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ويقولون : ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الانسان قدرة متعلقة بذلك الفعل ولا تأثير لتلك

---

(١) الملطي ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٩٦

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٥ ، ٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٦

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٧ .

القدرة على ذلك الفعل.[١] اما المرجئة، فيقولون بارجاء حكم صاحب الكبيرة من المؤمنين الى القيامة اى بتأخيره اليها.[٢] وبإزاء المرجئة الوعيدية القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار وان كان مؤمنا لكن يكون عقابه اخف من عقاب الكفار.[٣] اما الشيعة، فيرى انهم الذين شايعوا عليا، وقالوا بامامته.[٤] ويجمعون على القول بعصمة الائمة عن الكبائر والصغائر. وان الامامة ركن من اركان الدين لا يجوز اغفاله.[٥] ثم يذكر غلاة الشيعة كالفرقة النصرية، ويذهب الى انها تزعم ان الله تعالى ظهر بصورة عليّ، ونطق بلسانه مخبرا عمّا يتعلق بباطن الاسرار.[٦] ويذكر بازاء الشيعة الخوارج ويرى ان بعضا منهم خطّأ عليا فيما تصرف فيه ومنهم من تخطّى عن تخطئته الى تكفيره.[٧]

اما مذاهب الفروعيين، فيرى انها تختلف في الاحكام الشرعية والمسائل الاجتهادية، واشهرها اربعة : مذهب مالك بن انس، ومحمد بن ادريس الشافعي،

---

(١) الملطي، ابو الفرج، مختصر تاريخ الدول، ص ٩٧

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٩٧.

واحمد بن حنبل ، وابي حنيفة بن ثابت . وان اركان الاجتهاد ايضا أربعة: الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس.[1] ويذكر ان الاصفهاني نفى القياس وابو حنيفه شدد على العناية به ، ومالك والشافعي وابن حنبل لا يرجعون الى القياس الجليّ او الخفي ان وجدوا خبرا او امرا. وان بينهم اختلافا في الاحكام ، ولهم تصانيف كثرت حولها المناظرات ، لكن لا يلزم بذلك تكفير ولا تضليل.[2] ويرى ان اصول شريعة الاسلام الطهارة في حواشي الانسان واطرافه . والصلاة رياضة وتذليل وقمع للشهوة ، والحج مثال الخروج عن الدنيا والاقبال على الآخرة. والجمعة اجتماع للامة ، والختان سنة فيه ابتلاء وتسليم .[3]

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٩٨.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

الفصل الثالث

خصائص تاريخ الازمنة السرياني

ولتاريخ الازمنة خصائص ينفرد بها عن مختصر تاريخ الدول ، جمعناها تحت رؤوس متعددة ، ونقلناها عن السريانية لغرض المقارنة بين التاريخين . وابرز هذه الخصائص :

١ـ نظرة من زاوية خاصة الى الديانة الاسلامية

تبتدئ اخبار العرب المسلمين في تاريخ الازمنة بالدولة العاشرة . ولا يفرد المؤرخ فقرة للحديث عن العرب في جاهليتهم ، بل يقدم وصفا للديانة الاسلامية ، مبتدئا بما قاله القيصر هرقل في حديثه عن العرب ، في مجلس ضم رؤساء الاساقفة والكهنة والزعماء . ويذكر المؤرخ ان كل واحد من الحاضرين ادلى برأيه عن العرب المسلمين حتى انتهى الامر الى هرقل فقال : اني ارى هذه الامة بأعمالها واشكالها وديانتها ، كفجر عميق مكفهر ، ليس فيه ظلام مطبق كامل ، ولا نور ساطع جليّ . ولما سأله الحاضرون تفسير هذه العبارة ، اجاب : ان المسلمين بعيدون عن الظلام ، لأنهم تخلوا عن عبادة الاوثان ، وعبدوا الاله الواحد . الا ان نورهم ليس كاملا ، لأنهم بعيدون عن نور ايماننا المسيحي من جهة ، وغير راسخين في الدين القويم من الجهة الاخرى .(١)

ويرى الملطي ان هجرة محمد كانت في السنة الثانية عشرة لهرقل قيصر الروم (٦٣٠ـ٦٤١م) . وان هذه السنة بالذات هي بداية تاريخ العرب

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص٩٦ـ٩٧ .

القمرى الموافقة لسنة (٦١٣) لآدم و (٩٣٣) لليونان و (٦٢٢) للميلاد.[١]

ولا يرى الملطي في الدين الاسلامي دينا متميزا ،بل دينا يعتمد في معظم جوانبه على الاديان التي سبقته ، لا سيما اليهودية. فيقول: ان محمدا كان يتاجر بأموال خديجة بين يثرب ومكة وفلسطين . وخلال جولاته ، كان يحادث اليهود في تلك الامصار ويتعلم منهم . ولما ادرك انهم بسبب اعتقادهم بالاله الواحد ،ونفورهم من الاوثان ، منحهم الله ارض الميعاد ،ارتاح الى احاديثهم ،وجعل يرشد ابناء قومه العرب الى تلك الامور وهو في سن الاربعين.[٢] ويذكر ان محمدا واجه صعوبات في مكة ،اضطرته بعد مديدة الهجرة الى يثرب حيث رحّب به اهلها، ووعدوه بالمساعدة فسماهم انصارا ، ولقنهم عقيدة الايمان بالاله الواحد ،وحضهم على ترك عبادة الآلهة الباطلة[٣] . ويرى انه لشدة قذارة العرب في وقت محمد ،شدد على الطهارة الجسدية ، واوصى بالوضوء المستمر.[٤]

ويفصّل ابو الفرج بعض العوامل التي ساعدت على انتشار الدين الاسلامي بين العرب ،ومن ثم سيطرته على اقسام كثيرة من العالم المعروف

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٩٥ .
(٢) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ٩٧ .
(٣) المصدر نفسه ،ص ٩٧ .
(٤) المصدر نفسه ،ص ٩٧ .

عصرئذ • فيرى ان محمدا في بداية امره انتقى بعضا من مشايعيه ،وخرج على رأسهم بغزوة الى فلسطين • فذهبوا ،وعادوا محملين بالاموال والارزاق، ففرحوا ، وتبعوه بكامل قلوبهم • وان محمدا كان يعد من يدخل في دينة بالمتع الجسدية والروحية • ففي هذه الدنيا ،يتزوج الرجل بمن يشاء ،ويطلّق من يشاء ،دون ان يقترف ذنبا ،او يأتي اثما • ويكتفي من الاصوام بالامساك شهرا واحدا في السنة ،يصوم اثناء النهار ،ويمضي الليل كله يأكل ويشرب حتى مطلع الفجر• اما في الحياة الاخرى ،فقد صرّح محمد لتابعيه ان الله عزّ وجلّ هيأ لأبناء مذهبه بعد القيامة ،جنّات وانهار لبن وعسل وخمر ، واشجارا وارفة مثقلة بالثمار الشهية ، وسررا مذهبة ،وفرشا مكسوة بالاستبرق ، ونكاح نساء يفقن الشمس جمالا •(١) ويذهب الملطي في حديثه الى ان الاسلام في البداية لم يقم على الاقناع والتخاطب بالبرهان ،بل قام وانتشر بحد السيف والقوة •(٢)

ويرى ان الدولة العربية الاسلامية اتسعت وامتدت في فترة وجيزة، واحتلت اكثر بلاد الروم ،ومملكة الفرس برمتها ،بالاضافة الى البلدان التي كانت تحت سيادتها(٣) ،بسبب طغيان الروم واضطهادهم لأبناء مذهبه من جهة ، ولاقتراف ملوكهم معاصي كثيرة من الجهة الاخرى• فلما ارسل القيصر هرقل

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٩٨ •

(٢) المصدر نفسه ،ص ٩٨ •

(٣) المصدر نفسه ،ص ٩٨ •

جيوشا لمقاتلة العرب بقيادة اخيه تاودوريقي ،صادف في ضواحي انطاكية راهبا عموريا خلقيدونيا قال لتاودوريقي : عاهدني ان تمحو اتباع سويرا(١) ،وانا اضمن لك الغلبة على العرب . فاجابه تاودوريقي: انني مصمم على استئصال شأفتهم من غير ان تشير اليّ بذلك. ويذكر الملطي ،انه لما دنا الروم من العرب، واصطف الفريقان للقتال ،اندحر الروم ،وجعل المسلمون يقطعونهم قطع الاغصان اليابسة فانهزموا شر هزيمة ،ونهب العرب ذخائرهم ،واخذوا ما صادفوه من ذهب وفضة وعبيد وماشية.(٢)

ويرى ان هرقل خالف الناموس المسيحي ،واقترن بمرطينا ابنة اخيه، فولدت له ابنا غير شرعي ،سمّاه هرقلونا(٣) . فظهرت على الاثر في السما علامة سارت من الجنوب الى الشمال على هيئة سهم ولبثت ثلاثة ايام ،مما دل دلالة واضحة على انتصار العرب .(٤)

اما اندحار الفرس امام المسلمين فيجد له سببين: الاول ،هو ان الدولة الفارسية كانت في حالة نزاع مميت في الطبقة الحاكمة. فقد وجه شهربراز

---

(١) هم اتباع الكنيسة السريانية الارثوذكسية. يؤمنون بطبيعة واحدة واقنوم واحد في السيد المسيح . وسويرا بطريرك انطاكية ،كان اشهر المدافعين عن هذه العقيدة.

(٢) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ، ص١٠٠

(٣) تولت الملك بعد هرقل مرطينا وابنيه هرقلونا وقسطنطين(٦٤١_٧١٧) .

(٤) المصدر نفسه ،ص ١٠٠ .

عسكرا وقبض على قرديجان وقتله ، وملك مكانه سنة واحدة فقط وقتل هو ايضا . ثم خلفته بوران ابنة كسرى بضعة اشهر وتوفيت . فملكت اختها زديمودخت بعدها . وتولى العجم في ظرف سنتين عدة ملوك . وكان يزدجرد في حالة يرثى لها بسبب الانقسام الواقع في مملكته . فما ان طلعت جيوش العرب بأمرة سعد حتى سيّر يزدجرد جيوشه لمحاربتها ، غير انه انكسر مرارا الى ان خارت قواه ، وانهزم بمن معه الى سجستان واختفى هناك قرابة خمس سنوات وقتل . وبمقتله انقضى امر الدولة الفارسية الساسانية التي كان اول ملوكها اردشير بن بابك (٥٣٨) لليونان ، وآخرهم يزدجرد (٩٥٦) لليونان ، اى من سنة (٢٢٧ـ ٦٤٥م) .[١]

اما السبب الثاني ، فقد كان في نظره ، هيبة العرب . ويقول ان هذه الهيبة حلّت على الامم المجاورة فجعلوا يتخلون عن كل شيء ويهربون من امامهم . ولكي يدعم هذا الرأى ، يأتي بقصة طريفة فيقول : ان يزدجرد سيّر جيوشا كثيفة الى الفرات لملاقاة سعد وهو يومئذ مخيم بمن معه في ظاهر الكوفة . وارسل العجم جاسوسا عربيا يتجسس على المسلمين . فلما دنا من معسكرهم رأى اعرابيا يتغوط وهو يلتهم خبزا . فبادره الجاسوس بالعربية : ماذا تفعل يا فتى ؟ اجابه الاعرابي : كما ترى اخرج عتيقا ، وادخل جديدا . فعاد الجاسوس من ساعته الى صفوف الفرس واخبرهم بأنه رأى شعبا حافيا عريانا لكنه شجاع لا يهاب .[٢]

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠١ .

ويذكر المؤرخ ،انه لدى التحام الجيشين ،انكسر الفرس وتبعهم العرب الى قطسفون على دجلة. ويروى قصة اخرى فيقول: ان اعرابيا عاريا إلا من بعض ما يستر جسد ،وبيده قصبة ،اخذ يطارد احد قواد الاعاجم وهو في كامل سلاحه وهزمه ،ولما سئل القائد عن سبب هروبه امام الاعرابي الاعزل قال: كنت ارشق هذا الاعرابي بالسهام ،فرأيته يجمع السهام المرشوقة في كميه كأنه يجمع ذبابا بيده.[1]

ويذهب الى ان الدولة الاسلامية تطورت بعد ان سيطرت على الشرق، وقام فيها فلاسفة وعلماء ورياضيون واطباء ماهرون فاقوا الكثير من القدامى بدقيق العبارة وسمو المعاني ،غير انهم لم يحيدوا عن مناهج اليونان ،بل افرغوا هذه العلوم في عبارات بليغة ،ووضحوها بشروح دقيقة. ويرى ان السريان الذين نقلوا معظم هذه العلوم الى العربية ،صاروا مفتقرين الى اخذ الحكمة منهم.[2]

ويذكر ان العرب تفوقوا في العلوم الشرعية ،فصنفوا الكثير من الكتب في قوانين الزواج والحقوق الشرعية والطهارة وحدود الصلاة وكمية الزكاة وضروب التجارات والقروض والمواريث. ويرى انهم توسعوا في هذا العلم فوق الحد حتى اذا صرف المرء جلّ حياته في دراسته ،لما تيسر له الالمام بكل جوانبه.[3]

---

(١) المصدر نفسه ،ص١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ،ص٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ،ص٩٨ .

(٢) الماع الى المحن والاضطهادات التي اصابت المسيحية ابان الحكم العربي والمغولي

فيذكر الملطي ، انه في خلافة عثمان ، سار المسلمون الى قيليقية وضربوا الجزية على سكانها . ووصلوا بغتة الى اوخيطيا واستولوا على ابوابها واضطروا رؤساءها على الكشف عن خزائن المدينة . ولما صادفوا ما ارادوا ، ساقوا الاهالي رجالا ونساء وفتيانا اسرى ، ودنسوا الكنائس ، واقترفوا القبائح فيها .(١)

وفي حديثه عن فتح قبرص (٦٤٠ م) يذكر ان العرب دخلوها عنوة وقتلوا ونهبوا وارتكبوا المنكرات حتى في الدار الاسقفية ثم انصرفوا .(٢)

ويقول ان محمدا* قائد عبد الملك بن مروان ، ووالي ما بين النهرين وآثور وارمينية انزل في النصارى اضرارا فادحة . فما ان عين واليا حتى ارسل يستحضر "موعد" رئيس التغلبيين النصارى واجبره على الدخول في الاسلام .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

(*٣) هو محمد بن مروان الذى التحم مع يوستنيانوس بحرب طاحنة وخسر الروم من جرائها ارمينية . كما غزا مرعش سنة ٦٩٤ وملطية وبلغ انبولة .

ولما ابى ، القاه في بئر آسنة ، ثم عاد فأخرجه ، وتملقه ليذعن ، ولما أصرّ على ايمانه قتله.[١] ويذكر انه حشد في اذربيجان اعيان الارمن وحبسهم في احدى كنائس ارمينية واضرم فيها النيران واحرقهم عن بكرة ابيهم.[٢]

ويرى ان الخليفة الوليد (٧٠٥-٧١٥م) كان يكره النصارى كرها شديدا . فحوّل كنيسة الروم القديمة بدمشق مسجدا ، واجبر الكتّاب النصارى على تدوين الدفاتر بالعربية بدلا من الرومية. كما حاول اجبار امير التغالبة شمعلا على الاسلام بقوله له : بما انك زعيم العرب ، فانك بسجودك للصليب تجلب العار عليهم. فاجاب شمعلا قائلا : وبما انني زعيم التغالبة ، اخشى اذا كفرت وكفر قومي بالمسيح ، اصير سببا في هلاكهم[٣] . ويذكر الملطي ، ان الوليد امر فجرجر الامير التغلبي على وجهه ، وبعث يقسم له انه ان لم يدخل الاسلام ، يطعمه من لحمه حيا. ولما ابى ترك دينه ، امر الوليد فقطعت شرائح من فخذه ، وشويت واطعم اياها.[٤] وان الوليد ايضا امر بقتل اسرى النصارى ضمن الكنائس في مدن سورية.[٥]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

وفي ايام عمر بن عبد العزيز(٦٨٢-٧٢٠ م) ، يقول الملطي ان النصارى اصابهم ضيق شديد ومحن كثيرة . فعلى اثر اندحار الجيوش العربية عند اسوار القسطنطينية ، حقد عمر على النصارى وجعل يضايقهم في كل البلاد . فابطل الضرب بالنواقيس في بيعهم ، وامر باخفاض اصواتهم وقت اقامة الصلوات . كما منع عليهم لبس ثوب الجنود ، وحرمهم من امتطاء دابة مسرّجة.[1]

ويرى أن المنصور (٧٥٤-٧٧٥) ضاعف الضرائب على المسيحيين وارهقهم[2] . وان المهدى ابنه (٧٧٥-٧٨٥) ضايقهم وامعن في اضطهادهم . فعندما جاء المهدى عام (٧٧٩) الى حلب ، خرج التنوخيون النصارى الى لقائه ، وكانوا يومئذ يقيمون بظاهر المدينة - وهم يمتطون الخيول المطهمة . واذ سأل عنهم ، قيل له : هؤلاء نصارى . فتميز غيظا ، واجبرهم في الحال على الاسلام ، فأسلم زهاء خمسة آلاف رجل ، ولم تسلم النساء . واستشهد منهم رجل جليل اسمه ليث.[3] وقوّض المهدى ايضا كافة الكنائس التي ابتناها النصارى في عهد المسلمين ، كما ضرب كنيسة الخلقيدونيين في حلب . وقبض على ثمانية من اعيان آل جومية(السريان) واذاقهم مرّ العذاب حتى قضى ثلاثةمنهم في السجن[4] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص١١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٢٧ ، ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص١٢٦ ، ١٢٧ .

وفي خلافة الرشيد (٧٦٦ـ٨٠٩) قوّض عبد الملك كنيسة كيسوم*
الكبرى ، وخمس عشرة كنيسة اخرى غيرها . وامر بنقل حجارتها على الفي عجلة
الى مدينة الحدث ، وجدد بذلك بناءها.[1] كما هدم في خلافة المأمون
(٧٨٦ ـ ٨٣٣) ابراهيم القرشي والي حران ، مذبح كنيسة اليعاقبة الكبرى في
حران ، وكنيسة والدة الله في قوبا وبعض كنيسة مار جرجس وجانبا من كنائس
الخلقيدونيين والنساطرة واليهود .[2]

وتمادى المتوكل (٨٤٥) في كرهه للنصارى. فاضطرهم على لبس عمائم
من صوف ، وان لا يخرجوا الى الاسواق إلا بزنار وكستيج . وامر من امتلك من
النصارى عبدا ان يخيط على قميصه من قدام ومن خلف رقعة لونها غير لون
القميص. واصدر مرسوما يقضي بتقويض الكنائس الحديثة البناء ، واخذ كل الكنائس
الواسعة وان كانت قديمة ، وجعل اقساما منها مساجد . ومنع عليهم الطواف
بالصلبان في احتفالاتهم الدينية .[3]

ويذهب المؤرخ الى انه في زمن الحاكم ، خليفة مصر (٩٨٥ـ١٠٢١) ،
امر بهدم كنيسة القيامة في مدينة القدس من اساساتها ، ونهب امتعتها ، ودك

---

* كيسوم قرية مستطيلة من اعمال سميساط ولها عرض صالح وفيها سوق ودكاكين وافرة وفيها حصن كبير على قلعة . (معجم البلدان ٨:٧، ٣٠٦) .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

الوفا من كنائس مملكته . كما اصدر امرا الى المؤذنين ان ينادوا بأن النصراني الذى ينضم الى الاسلام يكرم ، والذى يمتنع يحتقر . وامر النصارى ان يعلقوا في اعناقهم صلبانا ، ونهاهم عن وضع الخواتم في الاصابع اليمنى ، وعن ركوب الخيل ، والاكتفاء بركوب البغال والحمير في اسرجة عادية . ومن لا يمتثل هذه الاوامر ، عليه بالرحيل عن البلاد . ويرى الملطي ان النصارى لم يرحلوا عن بلادهم ، ولم يجحدوا دينهم ، بل علقوا في اعناقهم صلبانا ذهبية وفضية ، واتخذوا لدوابهم اسرجة فاخرة ملونة . فسخط الخليفة الحاكم ، واصدر كتابا يقتل النصراني الذى لا يعلق في عنقه صليبا خشبيا وزنه اربعة ارطال بغدادية . وان على النصارى واليهود ان دخلوا الحمامات ، ان يربطوا في اعناقهم اجراسا صغيرة تمييزا لهم عن المسلمين .[1] ويقول ان سبب هذا الاضطهاد كان رجلا يكره النصارى اخبر الحاكم بأنهم عندما يجتمعون للاحتفال بعيد الفصح في كنيسة اورشليم ، يحتال وكلاؤهم فيدهنون بالزيت سلسلة الحديد المعلق بها قنديل القبر . وبعد ان يحكم اغلاق الباب ، يوقدون من السطح نارا في رأس السلسلة فتنزل حتى تصل الى الفتيلة في القنديل فتضيئها ، وعندئذ يصرخ الحاضرون كيرياليسون ويبكون كأنهم شاهدوا النور هابطا من السماء على القبر ، ويرسخون في ايمانهم .[2]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٥ .

ويقول انه في عام (١٠١٢) توفيت امرأة ابي نصر بن اسرائيل الكاتب المسيحي في بغداد فشيعها القوم وقت الضحى بالصلبان والشموع. وكانت القسس والرهبان تصلي امام النعش، والنساء تندب بالدفوف. فاعترض الجنازة اعرابي ، وطفق يرجم النعش بالحجارة ، فاحتدّ عبيد الامير مناصح ، وكانوا يحرسون النعش، وضربوا الاعرابي . فهاج المسلمون والتحم القتال ، وسقط قتلى كثيرون من النصارى والمسلمين . وانهزم ابو نصر زوج المتوفاة الى قصر الامير مناصح ، ولم يهدأ الشغب في بغداد حتى استسلم ابو النصر وذهبوا به الى دار الخلافة فحبس هناك فترة ثم اطلق سراحه ، فعمّ الفرح جميع النصارى .[1]

ويذكر الملطي ان الشدة استمرت خلال فترة حكم المغول ايضا . فشدد البندقدار على كافة النصارى الذين في سواحل البحر تشديدا كبيرا . فاحتل قلاعهم ، ولم يترك لهم الا عكة وطرابلس وصور فقط[2] . كما أعدّ في الموصل ، الملك الصالح (١١٨٠ +) العدة لنهب النصارى والفتك بهم ، ثم الالتحاق بالبندقدار كما اشار اليه اخوه علاء الدين صاحب سنجار .[3] ويرى ان علم الدين سنجر ضايق النصارى في الموصل ، وانتهب بيوتهم ، واجهز على

---

(١) المصدر نفسه ص٢٠٦ .

(٢) المصدر نفسه ص٥١٤ ، ٥١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١٦ .

كل من لم يسلم . فجحد وفرة من القسس والشمامسة والرؤساء والشعب ايمانهم سوى القليل من آل سويد كيت وكوكي ونفيس الصائغ.[١] وانحدر في الوقت ذاته الاكراد الى ضواحي الموصل وفتكوا بجمهور من النصارى ، واحتلوا دير الراهبات في بيت خوديدا واجهزوا فيه على الكثيرين . وساروا الى دير مار متى ، وقاتلوا رهبانه مدة اربعة اشهر فهدم سور الدير ، وفقئت عين ابي نصر رئيس الدير ، واصيب فريق من الرهبان بالسهام . ولم يتركوا الدير إلا بعد ان اخذوا امتعته ، وآنية الكنيسة ، ووعد الرهبان بجمع المال من النصارى فدية عنهم.[٢]

ويقول الملطي ان البندقدار صاحب مصر وجه جيوشه الى انطاكية واخذها بحد السيف. ودخلها المصريون ، واجهزوا على رجالها قاطبة ، وقوضوا كنائسها الشهيرة ، واجلوا النساء والبنات والاطفال ، وتركوها خاوية خالية[٣] . ويذهب الى ان المصريين عاثوا في المدن ، فاحرقوا بلدة سيس، وقتلوا ٢٥ راهبا في دير البقسماط* واحرقوه ، ودمروا دير كويخات* وسائر اديار الارمن واليونان، وهدموا دير بطريرك السريان الواقع في لحف سيس، فأربى عدد القتلى على الستين

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٢٥

* ــ دير في سيس بقيليقية احرقه الجنود المصريون ، واليه ينسب غريغوريوس مطران سيس حول سنة ١٢٩٠م .

* ــ دير بجانب المصيصة في قيليقية ، ذكر عام ١٢٠٨ ، ومنه تخرج البطريركان اغناطيوس الرابع ١٢٨٢ + وميخائيل الثاني ١٣١٢+ وفيه تقلد فلكسين الثاني امور البطريركية سنة ١٣٨٩ .

الفا . اما النساء والاطفال الذين استاقوهم عبيدا ، فلا يحصى لهم عدد[١] .
ويقول : ان البندقدار لدى خروجه عن بلاد الروم ، اجهز على نصارى مدينة رومان بحجة مساعدتهم المغول اثناء غزوهم لسورية .[٢]

٣_ افراده فقرات تشير الى شؤون طائفته

يقول الملطي انه في خلافة الرشيد نشب نزاع شديد بين فرقته والفرقة النسطورية* . ويذكر ان سبب هذا النزاع كان ان رجلا نسطوريا زار مصر . ولما قدم الى بغداد اخبر جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطورى ان اليعاقبة في مصر يسخرون من نسطور ، ويرجمون قبره . فاستشاط جبرائيل غضبا ، وحصل من الخليفة الرشيد رسالة الى عامله في مصر يطلب اليه ارسال عظام نسطور في صندوق الى بغداد ليضعها في كنيسة كوخي . غير ان راهبا نسطوريا اذاع بين الناس ان الذى يسخر منه اليعاقبة ليس نسطور ، ذلك لأن احد القديسين ظهر له في حلم ونفى صحة هذه الحكاية ، معلنا ان عظام نسطور ليست في مصر . وكفّ حينئذ جبرائيل عن نقل العظام ، وبطل الخصام .[٣]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣١

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٣٧

* _ فرقة مسيحية تنتسب الى نسطور بطريرك القسطنطينية (٤٢٨ _ ٤٣٠) الذى حرمه المجمع الافسسي عام (٤٣١) وامر بنفيه الى الصعيد .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٥

ويقول انه في فترة حكم المطيع اصاب اهل تكريت ـ وكانت غالبيتهم على مذهب ملته ـ ظلم فادح . فاستكثر الاهالي ما فرضه عليهم الولاة الظالمون من الضرائب ،فطردوا من ديارهم ،وتشتتوا في البلاد الا انهم شادوا في كل مكان حلّوا به بيعا واديرة . واشتهر منهم بخاصة ثلاثة اخوة من آل عمران ، هبطوا ملطية* ،وشيدوا كنائس واديارا للرواهب وطفقوا يوزعون الحسنات على الفقراء. ويذكر ان ابا سالم كبيرهم ،افتدى اسرى ملطية ونفسه من يد الاتراك بـ ١٥ الف دينار . ويقول : " ذكرنا هذا بايجاز دلالة على ما كان عليه ابناء ملتنا من الثراء والغنى والمجد ،وما لحقهم اليوم من المذلة والشقاء[١] ".

ويروى في احداث عام (١٠٥٨) ما لحق مدينة ملطية وابناء طائفته فيقول : دخل ثلاثة آلاف تركي ملطية ،فقتلوا الاهالي ،وكوموهم ،وراحوا ينكلون بمن بقي حيا ،ويجبرونهم على الكشف عن الكنوز المطمورة. وداهموا الشماس بطرس وهو ينسخ كتاب الصلوات الفرضية ،وكان قد بلغ الى العبارة " يشبه رأس يوحنا المعمدان عنقودا قطفته هيروديا". فأمسكوه ،واذابوا شمعا وسكبوه على هامته ،ووضعوا على صدره طستا مملوءا بجمر. واذ شاهد النيران تأخذ برجليه، قال طوبى لكما لأنكما تطهرتما . وفاضت روحه.[٢] ويرى انه عاد من نجا الى المدينة الخراب،ومن جملتهم الراهب يوسف الذى نظم في هذه الكارثة ثلاث

(*) ـ مدينة في ولاية معمورة العزيز كانت مشهورة . واقعة بالقرب من نهر الفرات ومن امهات مدن السريان . كان لهم فيها ست وخمسون كنيسة في حدود سنة (١٠٤٩) .

(١) المصدر نفسه ،ص ١٩٧، ١٩٨

(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٢٩ .

قصائد كما نظم يوحنا بن شوشان (١٠٥٨ — ١٠٧٢) اربع قصائد اخرى على الوزن السباعي ، وقصيدتين بالوزن الخماسي واصفا الدمار الذى نزل بالمدينة والمحنة التي اصابت الناس. وخرب في هذه الداهية ايضا دير ابن جاجي ولم يعد احد بناءه.(١)

ويلمح الملطي الى ما حلّ باديار طائفته ويقول: في سنة (١٠٦٦) اجتمع ثلثمائة لص ارمني بقيادة خزريج وجعلوا يكمنون في جبال ملطية ويغزون جوباس وقلوديا وينهبون الاديرة. وهبطوا دير سرجيسية ويعثروا عظام الشهداء واحتووا صناديقها.. ولم يكفوا عن الايذاء ، بل انتووا نهب دير برصوما والتحصن به. ولكن لما سمع صوت ان الاتراك قد قدموا ، هرب اهالي قلوديا الى الدير المذكور وكان بينهم عشرة من هؤلاء اللصوص، وظلت بقيتهم في الجبل ، وكان الاتفاق ان يفتح العشرة ابواب الدير ليلا ، فيدخل الآخرون ، ويتحصنون هناك . فشعر احد الرهبان بالخطة ، فانتقى رجالا اشداء من قرية تورا وكانوا يومئذ في الدير ، وقبض على اللصوص والقاهم من شرفة الدير. ويذكر ان رهبانا كانوا في طريقهم الى الدير ، فوثب عليهم بعض هؤلاء اللصوص وقتلوا ثلاثة منهم . فحصّن الرهبان ديرهم ، وابتنوا ثلاثة ابراج ، كما اقام البطريرك ميخائيل عام (١١٦٤) البرج الجنوبي واكمل تحصين الدير .(٢)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٤٣ — ٢٤٤ .

ويذكر الملطي انه في نحو سنة (١١٣٧) حشد الامير عيسى صاحب سويرك جنده وانطلق يغزو كركر ، فشاهدها خربة خاوية • فوضع نصب عينيه الاديار والصوامع• فانقض اولا على دير مار ابحاى فلم يتيسر له الوصول اليه من جهة الفرات فتسلق الصخور ، واحدر اليه رجاله ، فهرب الرهبان وتركوا الدير ، فاحتووا على ما به من امتعة وكؤوس واطباق وصلبان•• ولم ينج الا دير ابي غالب وهو باطراف آمد •(١)

ويشير الملطي الى مآثر بعض اساقفة كنيسته فيقول : ان المفريان اغناطيوس ذهب في سفارة الى ملوك الروم ليفتدى الاسرى المسلمين• ويرى ان جورجي الملك ، رحّب به اجمل ترحيب ، واطلق جميع الاسرى مجانا ، واعاده محملا بالهدايا والتحف برفقة سفراء كرجيين • ويذكر انه لدى وصول المفريان الى الموصل والسفراء معه ، كانت الصلبان تتلألأ في رؤوس رماحهم مما انعش ابناء طائفته ، وابهج المسلمين بافتداء اسراهم•(٢)

ويرى ان الله حفظ كنائس طائفته اثناء الزلزال الذى ضرب معظم سورية ويقول : فبينما سقطت اسوار حلب وبعلبك وحماة وحمص وشيزر وتهدمت بيعة اليونان الكبرى بانطاكية، ومذبح كنيسة الافرنج ،" اشفق الرب الرحيم على

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ •

شعبنا ، وتعطف على مذلتنا نحن الذين لم يبق لنا ملك ولا حاكم منّا • ومع ان حلب سقطت كلها ، بقيت كنيستنا واقفة ، وكذلك كنائسنا في انطاكية ، وجبلة ، واللاذقية • ذلك تمجيداً لله ، وتشجيعاً للخصاصة الباقية من شعبنا المستقيم الرأى • "(١)

وفي حديثه عن غزوات الترك يذكر ان السريان ابناء مذهبه اصابتهم نكبات جمة : " فقد هجم هؤلاء (يريد الاتراك) على الاكراد في سورية وما بين النهرين ، وتوغلوا في ارمينية، وقبضوا على ستة وعشرين الفا من الارمن وباعوهم عبيداً • واحرقوا دير كربيد الكبير ، وفتكوا برهبانه • وقتلوا في تلبسم مائة وسبعين رجلا سريانيا • وذبحوا مائتي شاب سرياني آخر في قرية امرون في قلوديا التابعة لملطية • "(٢)

ويذكر ايضا ما وقع لأهالي قرية بيت سحرايا وبرطلي ويقول : ان الشهزوريين جند صاحب اربيل خطفوا فتاة وهي عروس من بيت سحرايا ، فغار اهلها ، والتحموا مع الاكراد وانقذوها • فلما سمع المظفر قائدهم ، غضب وبخاصة اذ قيل له ان الفلاحين شتموه ، ونادوا بحياة بدر الدين والي الموصل • فوجه جيشا الى القرية المذكورة ، وقتل حوالي ثلثمائة رجل كانوا قد تحصنوا في الكنيسة • ولما مرّوا

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩

(٢) المصدر نفسه ،ص ٣٧٠

ببرطلي تصدوا للاهالي فيها ،وبتروا يد/ أحد الشبان.[1]

ويذكر في اخبار عام (١٢٢٣) حادثة اغتيال الطبيب امين الدولة ابي الكرم بن توما اليعقوبي . ويذهب الى انه كان موضوع ثقة الخليفة ،فحسده رشيق الخادم ،والكاتبة ست نسيم ،فاغريا به ولدي قمر الدين – وكانا من اشقياء بغداد – واذ كان خارجا من دار الخليفة ليلا ،اجهزا عليه بالسكاكين فمات من ساعته . ويقول: "انه في ليلة مقتل الطبيب المجيد ،قبض على قاتليه الملعونين وشق بطنهما ،وصلبا في الموضع الذى قتلا فيه المرحوم ."[2]

وفي حقبة ملك هولاكو (١٢١٧–١٢٦٥) يشير الى احداث تكريت. ويقول ،انه بعد مقتل المستعصم ،تولى بغداد رجل يقال له علي بهادور. وفي اثناء الحرب أرسل نصارى تكريت الى الجاثليق يطلبون شحنة لحراستهم . ولما زحف التتر وقتلوا زعماء المسلمين ونهبوا اموالهم ،احتشد النصارى في الكنيسة الخضراء ،ومكثوا هناك من بدء الصوم حتى الشعانين عام (١٢٥٨) . ويذكر ان ابن دورى العربي اللئيم ،افترى على النصارى ،وقال للشحنة انهم اخفوا اموال المسلمين ولم يعطوك شيئا منها . ولما اقرّ النصارى بالاموال ،صدر الامر من هولاكو بقتل جميع التكريتيين .. ولم يفلت من هذه الكارثة الا الشيخ

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٤٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٤٤٩ .

والعجوز ، اما الصبايا والصبيان ، فقد اجلوهم قاطبة وعاد المسلمون ، فانتزعوا الكنيسة الكبرى من النصارى • ولم يبق في تكريت سوى قسين يقيمان الصلاة في سائر الكنائس مع فئة ضئيلة من النصارى • اما ابن دورى الواشي ، فقد قتله بهرام الذى تولى شحنة تكريت•"(١)

(٤) اهتمام خاص بذكر الخوارق واخبار الشدة •

ويمتاز تاريخ الازمنة بتعدد الاشارات الى المحن واخبار الخوارق واعمال السحر والتنجيم • ويقول انه بعد ما استفحل الخلاف بين قسطنطين واخويه المالكين معه عام (٦٧٨) ومحاولته الفتك بهما ، ظهرت قوس كاملة في الهزيع الثالث من الليل والشمس غائبة تحت الارض• وهذا حدث خارق للطبيعة• كما انتشرت الفئران في سورية وفونيقي وافسدت الارض ، وكان قبلا قد ظهر جراد زحاف كثير•(٢)

ويذكر انه في خلافة يزيد بن عبد الملك (٧٢٠ـ٧٢٤) ، الذى ابتدأ ينتزع صور الاحياء من الهياكل والجدران والاخشاب ، وماثله لاون ملك الروم في انزال صور القديسين والملوك عن جدران الكنائس والقصور ، قلت المياه عام(٧٢١) ، وجفت الينابيع ، واضطر اهالي القرى على السير اميالا للحصول على ماء يشربونه •

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ ، ١١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص١١٨ •

وشحّت الغلال كذلك وظهرت اسراب من الجراد واكتسحت النباتات والاشجار. وبعد سنتين ،حلّ الوباء في كل مكان ،لا سيما في بلاد ما بين النهرين[١] .

ولما اشتدت الازمة بين المعتصم (٧٩٥_٨٤٢) وتوفيل ملك الروم ، ظهرت سنة (٨٤٠) في الشمال علامة حمراء بلون الدم ،وهطلت امطار غزيرة، وحدثت فيضانات خربت من جرائها مدينة حران . وفي شهر حزيران حدثت زلزلة عنيفة ضربت ارضروم وسقط من سورها ثمانية عشر برجا ومات ما يقرب من مائتي نسمة . وفي تموز ،سقطت نيران من السماء على بغداد والبصرة في يوم واحد وساعة واحدة . فأتت في بغداد على ٥٠٠٠ حانوت . وتقوضت في اليوم عينه مدينة في خرسان وامست تلا من تراب وفني سكانها عن بكرة ابيهم . ويقول انه في ايلول ظهرت غمامة في المشرق وسارت باتجاه الشمال والغرب وكان جانبها الاعلى احمر كالدم القاني وجانبها السفلي كالقمر. فأضاء النور طوال الليل على الاجسام المرئية من جدر واسوار ودور .[٢]

وفي عام (٨٨٣) توفي باسيل ملك الروم وخلفه ابنه لاون . وخرق هذا النواميس المسيحية بأن هجر امرأته ،وتزوج بامرأة ثانية وثالثة ورابعة ،

---

(١) المصدر نفسه ،ص١١٨ .

(٢) المصدر نفسه ،ص١٥٢ .

واتخذ زوجتين معا • على الاثر ،هجم بعض اللصوص في بغداد على دير بنهر عيسى ونهبوا ما فيه وقوضوه • ودك العرب ابنية الكنيسة الكبرى الجديدة في طرطوس• ويذكر ان زلزلة هائلة اجتاحت البلاد ،وقوضت مسجد مصر الكبير ، وكثيرا من الدور• وانتشر في اثرها وباء فتاك ،فكان يحصى في كل يوم الف نعش ،كما حدث غلاء فاحش في بغداد •(١)

وفي اعقاب الشغب الذى حدث بسبب خادم الطبيب ابي غالب النصراني في بغداد ،واحتشاد المسلمين عليه للفتك به مدعين انه شتم نبيهم ، وبالرغم مما قاله المنجمون من ان امطارا غزيرة ستسقط تلك السنة ،لم تنزل قطرة واحدة طوال السنة حتى جفت الينابيع ويبس كل شيء•(٢)

ويقول انه ابّان مقتلة العباس وابن المعتز (٨٦١ـ ٩٠٨) في فتنة خلع المقتدر (٩٣٢+) تراكمت ثلوج في بغداد ولم يكن يومئذ من ساكنيها من شاهد الثلج بعينيه• ويرى انه بعد ثماني عشرة سنة ،حدث في بغداد عينها برد قارس جمّد الخمر والزيوت في الخوابي ،وقضى على كافة الاشجار•(٣)

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٦٤ •

(٢) المصدر نفسه ،ص ١٦٧،١٦٨ •

(٣) المصدر نفسه ،ص١٧١ •

وفي سنة (٩٥٨) ظهر جراد كثيف قضى على الزروع . وانتشر بين الناس داء الخوانيق حتى ان سارقا ادركه الموت وهو ينقب بيت احد اغنياء بغداد . وان قاضيا كان قد لبس جبته السوداء وانتعل حذاء رجله الاولى ، فداهمه الموت وهو يلبس الحذاء الآخر . وعلى الاثر هطلت امطار غزيرة وحدث جزر في البحر المتوسط نحو ثلثمائة ذراع ، فانكشفت جزائر وجبال مجهولة منذ القدم . ووقعت بعد سنة فقط زلزلة شديدة حطمت اماكن شتى ، واختنق الكثيرون تحت الانقاض في جبال الديلم وقاشان .(١)

وبعد اعمال الشغب التي ثارت في بغداد سنة (١٠٠٦) حيث انتهبت بيوت النصارى ، واضرمت النيران في الكنائس ، ظهر جراد مخيف في بلد الموصل وبغداد وخاصة في شيراز واجتاح الاعشاب واوراق الاشجار ، وعاث باقمشة القصّارين حتى امست رقعا بالية . وحدث غلاء شديد في بغداد ، فبيع كور الحنطة بمائة وعشرين دينارا . وظهرت في الفضاء اعمدة نارية صوب القطب الشمالي . كما ظهر نجم في برج العقرب على شكل الزهرة كبرا ولمعانا واخذت اشعته تتموج وتنير كالقمر ، وبقي كذلك مدة اربعة اشهر ، ثم اختفى .(٢)

ويذكر الملطي انه في سنة (١٠٣٤) عصفت ريح شديدة سوداء في

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

نصيبين اقتلعت كثيرا من اشجار الزيتون والتوت وقوضت بعض الابنية. وهطلت كذلك امطار وبرد عنيف على شكل كفوف وسواعد واصابع. وحدثت زلزلة في مصر وفلسطين وانهزم الناس الى الارض الفضاء . وابتلعت الارض نصف مدينة بالس وقرى عديدة في سورية مع من فيها ، وهدمت اساسات كنيسة اورشليم ، ومأذنة مسجد عسقلان ، ورأس مأذنة غزة ، ونصف مدينة عكا. ثم جزر البحر نحو ثلاثة فراسخ ، ودخل الناس يلتقطون السمك فعادت المياه وغمرت بعضهم. وفي شباط ظهر شبه عمود نور في برج السنبلة منذ المساء حتى الصباح اياما كثيرة، ثم هبط بعد ايام كوكب كالبرق الصاعق ، فأنار ارض شنعار كلها وتوهم الكثيرون ان السماء انشقت .(١)

ويشير الى احداث الغلاء والضيق الذى وقع عام (١٠٦٩) في مصر. ويقول ان الناس هناك ابتدأت تأكل بعضها الآخر. ولم يبق في ارض مصر كلها سوى ثلاثة احصنة للخليفة. فبيع الكلب والواحد بخمسة دنانير وعشرة دراهم. ويروى ان الوزير نزل يوما الى دار الخلافة على بغل ، فسارع ثلاثة رجال واختطفوا البغل من يد الغلام وذبحوه وقسموا لحمه . ولما بلغ الخبر الخليفة ، امر بشنق الفاعلين. فجاء رجال آخرون تحت جنح الظلام وانزلوا المشنوقين عن الاخشاب واخذوا لحومهم . وقد امتدّ الجوع الى البلاط نفسه ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢١٦ .

فاضطر الخليفة الى بيع امتعته بأثمان زهيدة . ويقول انه كان في مدينة تنيس احدى مدن مصر ثلثمائة رجل يؤدون الجزية ، فاصبحوا في ذلك الغلاء اقل من مئة .(١)

ويذكر من اعمال السحر اخبارا طريفة منها: ان الخان بن جنكزخان التقى التون خان ملك الخطا (الصين) وكان قد خرج للقائه بمائة الف من اشجع فرسانه لمنع التتار من الدخول الى بلاد الخطا. فاحاطوا بهم من كل جانب . وما ان شاهد الخان بطش اهل الخطا حتى استخدم وسيلة فائقة غير وسيلة الحرب. فأمر السحرة واصحاب الرقى ان يبرزوا حجر المطر ، فأبرزوه واكملوا كافة اسرارهم في غضون ثلاثة ايام بلياليها. وفي الحال نزلت امطار غزيرة على الخطا ، وتبعتها ثلوج وبرد شديد في شهر تموز. وحينئذ وثب التتار عليهم كالذئاب، واوقعوا فيهم هزيمة نكراء .(٢)

٥ـ ذكره بعض الزيادات على سير الخلفاء والملوك وغيرهم:

وفي تاريخ الازمنة السرياني فقرات واحداث زائدة في سير الخلفاء والحكام غير واردة في مختصر تاريخ الدول نقتطف بعضا منها.

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٤٥ـ٢٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ .

ويقول الملطي في اخبار عمر ابن الخطاب (+٦٤٤) انه ارتحل الى مصر ، وخرج للقائه قورا اسقف الاسكندرية ، وتكفل بأن يؤدى له كل سنة مائتي الف دينار بشرط الا يدخل العرب مصر. ويذكر ان عمرا ارتضى بذلك . لكن لما سمع هرقل ، ظن انه يؤدى المال الى المسلمين طوعا ، فاوفد رجلا ارمنيا يقال له منوئيل ليتدارك الامر. وما ان قدمت وفود المسلمين لقبض المال حتى اعترضهم منوئيل وهو في معسكر ببابلونيا (الفسطاط) وقال لهم : انا لست نظير قورا الاسقف أتزر قميصا فادفع لكم ذهبا ، بل انني مدجج بالسلاح . ولما عادت الوفود الى عمر فارغة اليدين ، خاف منوئيل وفرّ ، فدخل العرب مصر واحتلوها .(١)

وفي حديثه عن معاوية بن يزيد (+٦٨٣) يشير الى انتقاض المختار عليه في الكوفة . ويرى ان المختار كان محتالا مراوغا . ويقول : ان اهل يثرب هم ايضا خرجوا على طاعة معاوية ، وولوا عليهم عبد الله بن الزبير (+٦٩٣) . وانه بسبب الانقسامات الكثيرة بين المسلمين نشبت بين الفرقاء حرب طاحنة في ايلول عام (٦٨٥) هلك فيها زهاء اربع ربوات على نهر الخازر ببلد نينوى . ويصف الملطي معاوية بالجبن ويرى انه لقبّ بأبي ليلى لخوفه وجزعه . وانه لما رأى الخلاف قد ضرب اطنابه بين المسلمين ، جمعهم للصلاة يوم الجمعة ، واعلن تنازله عن الحكم ، وانزوى في داره ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما ومات .(٢)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٠ .

ويقول عن عبد الملك بن مروان (٦٤٦_٧١٥) انه كان يلقب بأبي الذبان ،لأن دماء كانت تنز من لثته ،فيجتمع الذباب عليه فيه دون ان يكترث لها. ويرى انه في ايامه ابتدأ العرب يسكون الدنانير والدراهم والفلوس،عليها الكتابة دون الصور.(١)

ويقول في حديثه عن سليمان بن عبد الملك (٧١٥_ ٧١٧) ، انه ارسل مسلمة الى غلاطية فداهمها ،واحتل قلعتها وانقلب باسلاب وافرة . كما حاصر الاتراك عام (٧١٥) في ارضهم ،وسبى خلقا كثيرا منهم . اما عام(٧١٦) ، فقد هاجم فرغاموس ورودس واستاق اهاليها اسرى.(٢)

ويقدم في خلافة ابي جعفر المنصور (٧٥٤_٧٧٥) رواية خرق ابي مسلم الخرساني وانتقاضه على الخلافة . ويرى انه ابتدأ يجوب البلاد محاولا احتلالها . فسيّر المنصور اليه رجلا يقال له عيسى ،فراوغه واقنعه بالمجيء الى الخليفة في بغداد. وما كاد يدخل الدار حتى اشار المنصور فبطشوا به ، واستقل هو بالملك. وامر بتجديد بناء ملطية واقام فيها حامية ،كما بنى مدينة قلونيقلا . وشاد على انقاض مدينة قطسفون عام (٧٦٢) مدينة اسماها بغداد على اسم صنم كان بذلك المكان .(٣) ويذكر انه في ايامه ايضا ،خرج

---

(١) المصدر نفسه ،ص١١٢ .

(٢) المصدر نفسه ،ص١١٥ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ١٢٣ .

العجم على العرب سنة (٧٦٩) ، واقاموا لهم زعيما • ولما هاجمهم العرب ، تقووا عليهم ، وعزموا على تأسيس دولة مستقلة • فزحف حينئذ العرب بجيوش كبيرة ، وبطشوا بهم ، ومثّلوا بزعيمهم ، وبأربعين الفا من اتباعه •[١] واقام المنصور مدينة الرافقة عام (٧٧٢) بالقرب من الرقة •[٢]

ويقول في سيرة الرشيد (٧٦٦_ ٨٠٩) انه ارتحل من بغداد يطلب الرقة ، وينوى الاقامة فيها • فوسّع عمارتها ، وغرس الجنائن في ضواحيها ، وجلب اليها السواقي من الفرات ومن سروج •[٣] ويذكر ان الرشيد كان منصرفا الى بناء مدينة زبطرا بأرمينية الصغرى عندما زحف سطوريقوس قائد جيش الروم الى فيلوفونيسوس وكانت في حوزة العرب منذ امد ، فاحتلها ، واقام فيها حامية ، وعاد بغنيمة وافرة من العرب •[٤] وابتنى الرشيد عام (٨٠٤) مدينة قرب الرقة دعاها ايرقلية على اسم امرأة اتخذها لنفسه من اهالي هرقلية •[٥]

وفي تأريخه للمعتصم (٧٩٥_٨٤٢) يقول انه اضرم النيران في ما ابتناه المأمون في تطوان ، واحرق المواد والمؤن ، وقفل راجعا الى بغداد •

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٤

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ •

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ •

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ •

ومع ان اعيان العرب رحبوا به ، لكنهم كانوا غير راضين عنه بسبب خشونته .
وما ان استقرت له الخلافة، حتى طفق يشيّد الابنية الفخمة لسكناه ، ويشقّ الترع والحدائق لنزهاته ، وكان كثير الانهماك في الخلاعة ومعاقرة الخمرة.[١] ويذكر انه لما ثار الزط في ايامه حاربهم بأسرى الاقباط الذين كانوا يجيدون السباحة، فباغتوهم في الاهوار ، وقبضوا عليهم جميعا.[٢] ويرى الملطي ان اسطفان البطريق هو الذى احتال على بابك ـ الذى حارب المعتصم وافنى من جيش المسلمين نحوا من مائة الف جندى ـ واوثقه وسلمه الى الافشين قائد جيش المعتصم.[٣] ويذكر ان المعتصم زحف عام (٨٣٨) بعشرين الفا الى بلاد الروم ، ولما وصل الى نيقية ، الفاها فارغة ، سار الى انقرة ودك اسوارها، وكان اهلوها قد فروا الى عمورية[٤] . وبينما كان المعتصم منصرفا الى محاربة عمورية ، كان اخوه العباس والقائد عجيف يكيدان له . فاطلع الخليفة على المؤامرة بواسطة كاتب نسطورى طبيب ، فأوثقهما ، واركبهما على جملين وارتحل عن عمورية . فمات العباس عطشا في مدينة سروج ، وارسل الخليفة امرا ليلعن في سائر البلاد ، معلنا انه حاول تسليم معسكر المسلمين الى الروم.[٥] ومات المعتصم عام (٨٤٣) وخلف اربعين

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

الفا من الخيل ، وعشرين الف بغل ، وثلاثين الف سائس للدواب .(١)

ويذكر الملطي في سيرة الواثق (٨٤٢-٨٤٦) انه ضيّق على الفقهاء وآذاهم كثيرا ، وحصل منهم على اموال وفيرة . ويقول ان الواثق اوصى سافرته المشرفة على امر مبادلة الاسرى مع الروم ان كل مسلم يفتدونه ، عليهم ان يسألوه اولا : هل القرآن كلام الله ، وهل هو مخلوق ؟ فمن قال : غير مخلوق ، افتدوه ، ومن قال : مخلوق تركوه في ايدى الروم .(٢) ويذكر ان الواثق قضى بداء الاستسقاء . وان الخلفاء العرب كانوا الى هذه الحقبة من الزمن لا يهمهم الا تحقيق المزيد من الانتصارات على الاعداء ، لكنهم استسلموا للخلاعة ، وانهمكوا في الملذات حتى بلغ الفجور بالواثق ان مولى جارية مطربة طالبه بمائة الف دينار ذهبا ، وبالامارة على مصر ثمنا لها . ولو لم يعترض زعماء دولته على ذلك ، لنفذ ما اراده المولى في الحال .(٣)

٦- ذكر من هجر النصرانية وجاهر بالاسلام في ظروف خاصة .

في تاريخ الازمنة احداث تشير الى بعض من هجر النصرانية في حالات خاصة ، واعتنق الاسلام . ويرى الملطي ان لكل حادثة من هذا القبيل

---

(١) المصدر نفسه ، ص١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٥٤ .

سبب وجيه ،او حالة نفسية معينة • قال جومية الرهاويون ،مالوا الى الاسلام وهجروا دين آبائهم ، وافحشوا بالبهائم والكلاب وتهتكوا جدا • ومع غناهم الكثير افتقروا ، وخسروا ما كان عندهم من املاك •(١)

ويذكر انه في ايام المأمون ادّعى رجل روميّ انه من ذرية ملوك الروم فصدق المأمون خبره ،وامر بطريرك الخلقيدونيين ان يصلي عليه ويقلده التاج • ويقول: انه بعد مضي قرابة السنتين على اقامة الرجل في معسكر المسلمين ، ولم يأت احد من الروم لزيارته او الالتحاق به ،هجر النصرانية ،والتحق بدين المسلمين •(٢)

وفي عام (١٠٦٧) كان ارستاركيس البطريق الارمني قد خرج من بعض حصونه في مائتي رجل ،فادركه الامير بشروانشاه التركي بجيش كبير ،فخاف الارمن ، واظهروا انهم ذاهبون الى السلطان ليجاهروا بالاسلام بين يديه • فسيرهم الامير مكرهين الى السلطان ، وجاهروا هناك بالاسلام مرغمين ،واختتنوا • ويقول: غير انه ما عتم ان انتهزوا الفرصة ،وعادوا الى ارمينية الداخلية ،ورجعوا الى النصرانية مرة اخرى •(٣)

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٣٠ •
(٢) المصدر نفسه ،ص ١٤٥ •
(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٤٤ •

وفي سنة (١٢٦٨م) ايام الصيام الاربعيني ، قبض دنحا جاثليق النساطرة على رجل من تكريت كان قد جاهر بالاسلام ، وحاول اغراقه في نهر دجلة • فثارت ثائرة اهل بغداد واجبروا علاء الدين صاحب الديوان على ارسال بعض الزعماء الى الجاثليق لاسترداد التكريتي • غير ان الجاثليق ابى تسليمه ، فشغب عندئذ الرعاع ، واضرموا النيران في ابواب قلايته ، وتسوروا الجدران يريدون الفتك به • فارسل صاحب الديوان واستحضره الى داره خفية عن طريق النهر وانجاه • ورفع الجاثليق شكواه الى الاردو (معسكر التتار) فجاءت سفارة ، ونقلته الى هناك • ولما لم يكترث احد لشكواه ، ترك الاردو ، وانتقل الى مدينة اربيل ، وابتنى كنيسة في قلعتها ، واستقر بها •(١)

ويقول في اخبار عام (١٢٧٤) كلف راهب نسطورى من دير مار ميخائيل القريب من الموصل بأمرأة مسلمة • ولما افتضح امره ، جاهر بالاسلام فاغتمّ المسيحيون كثيرا ، واستفضع رهبان ذلك الدير الامر ولم يطيقوا احتمال ذلك العار• فأرسلوا في طلب طرفاشي قائد جيش المغول فاقبل الى الموصل وقبض على ذلك الراهب يريد البطش به • فأحسّ المسلمون ، وتحمسوا للأمر ، واحتشدوا على ابواب البلاط بالعصي والمصابيح ، وهددوا القائد مصرحين انه ان لم يترك الراهب فتكوا به وبمن معه• فخاف القائد واطلقه • فأخذوه واركبوه على حصان وطافوا به في المدينة فعمّ الحزن جميع النصارى اكثر من البداية •(٢)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٢٥ •

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢٨ •

٧- اسهاب في الحديث عن امور الروم والفرنجة.

ويذكر الملطي الكثير من شؤون الروم في تاريخ الازمنة ،فيتحدث عن دولتهم وامتدادها في الشرق ،وعن ملوكهم ،وقواد جيوشهم ،وحروبهم ،وما يتعلق بامورهم الدينية والاجتماعية والسياسية ،وخاصة في الدولة العاشرة والحادية عشرة من هذا الكتاب . فيشير الى حزن هرقل وهو يخرج من سورية اثناء زحف الجيوش العربية ويقول : "ويئس هرقل ،فارتحل عن انطاكية الى القسطنطينية وهو يردد " سوزو سوريا" اى وداعا سورية ." (١) ومع ان الملطي يومئ الى الانتصارات الكثيرة التي حققها العرب على الروم ،لكنه يذكر بالمقابل فشل هذه الجيوش في الاستيلاء على كافة اصقاع دولتهم وارتدادهم عن اسوار القسطنطينية بخيبة مريرة .(٢) كما يسرد احداث الحروب والهدن بين الطرفين وما ابرموا من مواثيق وعهود ،وما تبادلوا من اسرى وهدايا ،وما هنالك من الشؤون السياسية. ولا يألو جهدا في انتقاد ملوك الروم وذكر مساوئهم اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وخاصة عندما تتعلق الامور بشؤون طائفته . ويتطرق في معرض حديثه الى عادات الملوك والزواج ايضا. ويقول : انه في سنة (٧٥٢) توفيت امرأة الملك قسطنطين ، ابنة الخاقان ،فأقام الملك ثلاثة اعوام دون زواج وفقا لنواميس الملوك المسيحيين . ولما أشار عليه بعض الدهاة من اعوانه بالزواج ، لغرض الايقاع به ، بادرهم

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٠٢ .

(٢) المصدر نفسه ،ص١١٦ ،١١٧ .

قائلا : " اعتقد ان الملك خليق بأن لا تستعبده الشهوة ".(١)

ويذكر بعض عاداتهم لدى انتخاب ملوكهم وفي ظروف خاصة . فيقول : في سنة (١٠٤٢) توفي ميخائيل دون عقب ، فتولى شؤون المملكة ابنتاه : زواى وتيودورا مدة ثلاثة اشهر . ثم عقد الاقطاب المشورة وانتقوا من بينهم ثلاثة اشخاص اكفاء ، وكتبوا اسماءهم في اوراق ، ووضعوها في صندوق ختموه بالشمع ، واحضروا صبيا مدّ يده والتقط احداها واذا بها اسم مونوماخس . فلزفوا اليه تيودورا المذكورة ، ونادوا به ملكا على الروم باسم قسطنطين .(٢)

ويلمع الى ان ملوك الروم كانوا يتوجون رسائلهم الرسمية بعبارات دينية فيقرّون بعظمة السيد المسيح ، ويمجدون الوهيته ، ولا سيما في الرسائل التي تبودلت بينهم وبين الخلفاء المسلمين . ففي سنة (١٠٥١) وجه قسطنطين سفيرا الى الخليفة القائم يحمل رسالة بالرومية تخللت سطورها ترجمتها العربية افتتحها بهذه العبارة : " قسطنطين الملك المؤمن المعظم القدير بالمسيح الله ، اغوسطس موناخوس الوحيد في دولة الروم . الى الصديق الودود الكريم ابي جعفر امام المسلمين وامير المؤمنين ".(٣)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٥ .

ويذكر من تقاليد فيالقهم انهم كانوا يعلقون في رؤوس الويتهم وحرابهم صلبانا مذهبة ، ويجبرون من يخالفهم او يدخل في طاعتهم على فعل ذلك . فلما احرز ميخائيل ملك الروم انتصارات على العرب في سورية زمن الخليفة القائم ، استولى على الرها عام (١٠٣٢) "فخضع حسان صاحب سورية للروم ، وعلق الصلبان في رؤوس ألويته ." (١)

ويشيد بفضل بعض ملوكهم ، ويقول : انهم اشتهروا بالسيرة الحميدة ، والاخلاق الفاضلة ، من كرم وعفة واحترام للآخرين . ويذكر انه في حدود سنة (٧٧٢) حفر الروم في مدينة نيقومدية وعثروا على مغارة دفن فيها نيقوميدس (٢٧٨ـ٢٥٠ ق.م.) مؤسسها وهو محنط وعليه حلى ذهبية ويواقيت تشع في الظلام . فشعر قسطنطين بالامر ، وابدى شهامة ممتازة اذ لم ير ان يأخذ شيئا من تلك المجوهرات قائلا : "قبيح بالاحياء ان يحتاجوا الى الموتى . فأرسل فعلة احكموا سدّ القبر ، وكوموا عليه جبلا من التراب ." (٢)

ويمتدح حنكة شموشكين (٩٧٥) وحسن سياسته بقوله : كان ملكا محنكا بالفنون العسكرية ، قوى الجسم ، شجاعا ، مظفرا في الحروب . ابدى شهامة وعطفا ومحبة لكل انسان ، واطلق الاسرى ، وشاد الكنائس الفخمة في عاصمته ، لذا ، تأسف

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩٤

عليه لدى وفاته ، الكبير والصغير اشدّ الاسف.(١) ويذكر ان باسيل توفي عام (١٠٢٥) وكان قد ساس المملكة الرومية سياسة قويمة حكيمة خمسا وخمسين سنة . وخلفه قسطنطين اخوه وكان دمث الاخلاق ، بشوشا ،كريم النفس،عالي الهمة.(٢)

ويبدى الملطي اهتماما بالفرنجة يفوق اهتمامه بالروم . فيأتي على ذكر ملوكهم ،وحملاتهم العديدة شارحا اسبابها ودوافعها ، والمدن والمناطق التي صارت اليهم ،واصفا بعض وقائعهم العسكرية التي خاضوها مع العرب والاتراك وغيرهم .

فأسباب مجيء الفرنجة الى الشرق في عرفه كان ان الاتراك بعدما احتلوا اجزاء كثيرة من سورية وغيرها من البلدان المتاخمة لها ،جعلوا يعاملون النصارى القادمين من بلاد ايطاليا واصقاعها للحج في بيت المقدس بخشونة وغلظة.(٣) فتحمس الفرنج على اثر هذه الاعمال ،وجمعوا حشودا كبيرة بقيادة ملكين من ملوكهم ،وسبعة قمامصة. وابتدأوا الحرب من اسبانيا. فاجتاحوا مدنها، واراقوا دماء الكثير من المسلمين فيها. فبتروا آذانهم ،وانوفهم ، وشفاههم ،وسملوا أعينهم. وشدوا بعدها على القسطنطينية ، فلم يسمح لهم ملكها الكسيس(١٠٤٨ـ ١١١٨) بالعبور،فظلوا يحاصرونها فترة سبع سنوات،ثم انحدروا الى انطاكية

---

(١) المصدر نفسه ،ص ١٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ،ص٢١٢، ٢١٣ .

(٣) المصدر نفسه ،ص٢٦٤ .

واستولوا عليها بعد حصار دام تسعة اشهر وانتزعوها من يد الاتراك ، وولوا عليها بوهيمند (١١٠٧ـ ١١٢٩) احد قمامصتهم .[١] ولما سير عليهم السلطان تركيارق مائة الف مقاتل ، منحهم الرب الغلبة وملأوا الارض من جثث قتلى الاتراك .[٢] ويقول ان الفرنجة اجتاحوا سورية وامتلكوا المعرة ، وتوجهوا من ثمّ الى جبل لبنان وفتكوا بجمهور من اتباع النصيرية . واقبلوا على عرقا فامتنعت ، واطاعهم ابن منقد العربي وأدى لهم الجزية . وتوجهوا الى حمص ، فخرج جناح الدولة صاحبها وقدّم لهم الخضوع فتركوه وساروا الى اورشليم ، وحاصروها ، ثم دخلوها بعد اربعين يوما ، ووضعوا السيف في سكانها اسبوعا كاملا . فقتلوا في هيكل سليمان وحده زهاء سبعين الفا من العرب.[٣] وانتزعوا من قبة الصخرة اربعين قنديلا فضيا وزن الواحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم . واخذوا كذلك مائة وخمسين من القناديل الصغيرة ، بينها عشرون قنديلا من الذهب المصرى . وسلبوا منارة فضية وزنها أربعون رطلا سوريا ، وملّكوا عليها غودفروا عام (١٠٩٨) ، وخلفه بعد سنتين بغدوين .[٤]

ويقول الملطي ان المسلمين في هذه الديار اخذتهم الحمية ، وطفقوا

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٦٣ـ ٢٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

يعدون العدة للانتقام من الافرنج ،واخذت هذه التحركات طابعا دينيا وقوميا. فوصل بغداد امام من مدينة حلب كان يستعدى المسلمين ضد الفرنجة . يطوف المدن والمساجد ،يبكي وينتحب على ما اصاب الامة الاسلامية بسبب تغلّب الفرنجة ويذكر الملطي ،ان الاهالي احتشدوا على اثر موعظة يوم الجمعة في مسجد كبير ببغداد وحطموا المحراب ،وابطلوا الصلاة ،وجعلوا يتذمرون على الخليفة والسلطان لأنهما تقاعسا عن امور دينهم . ولما بلغ الخبر السلطان ،هيأ جيشا بقيادة ابي الفتح مسعود (١١٣٤_ ١١٥٢) والامير مودود ،ووجههما نحو الموصل ليستعدوا لمحاربة الفرنجة.(١) والتقى مودود عام (١١١٤) بالفرنجة وهم تحت إمرة جوسلين (+١١٣١) وبغدوين ،فانكسرا امامه ،وسقط من جيش الفرنجة قرابة الالف والثلثمائة راجل.(٢) وعندما وصلت النجدة من طرابلس بقيادة سان جيل ،اقام الجيشان ستة وعشرين يوما دون ان ينازل احدهما الآخر،ثم اتجه الافرنج نحو الاردن.(٣)

ويتحدث الملطي ايضا عن بعض النزاعات التي ظهرت بين الفرنجة ويقول: في سنة (١١٥٣) نشب خصام شديد بين ملك اورشليم وامه . فتحصنت الملكة على اثره في برج الملك داود . وتوسط الاقطاب لقطع دابر الخلاف ،وقرروا ان تبقى اورشليم تحت سيادة الملكة ،وسائر المدن الاخرى ،وقيادة الجيوش لأبنها.(٤)

---

(١) المصدر نفسه ،ص ٢٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٢٧٧،٢٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ،ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

ويرى ان الملك سار بعد الصلح الى عسقلان وحاصرها ، واحدث ثغرة في سورها ، فوثب اليها اربعمائة من الاخوة الفرير، فاجتمع عليهم المسلمون وفتكوا بهم . وكاد الملك يترك عسقلان، لكنه اصطبر ، وفي الغد حمل الصليب ، ونادى عساكره ، فهجموا هجمة رجل واحد على الثغرة ، واحتلوها ، وقتلوا خمسة عشر الفا من العرب.(١) وبسبب هذا الانتصار ، انيطت به ايضا امارة انطاكية ، وصارت له ارملة ملكها .(٢)

ويذكر حملة الفرنجة على جزيرة قبرص عام (١١٥٧) تحت إمرة البرنس صاحب انطاكية . ويرى انه سبى اهلها ، وساق مواشيهم ، فخرج اليه القبرصيون ، ووعدوه بالذهب والامتعة ، فاغمض عنهم ، واخذ اساقفتهم ورؤساء اديرتهم وزعمائهم رهائن الى انطاكية ريثما يؤدون ما وعدوا به .(٣)

ويقول الملطي ان مصالحة عامة جرت بين الفرنج واليونان والارمن ، خاصة بعد ان قويت شوكتهم . فتوجه ملك اورشليم وامير انطاكية وبطريرك الفرنجة الى زيارة مانوئيل عاهل الروم ، واتفقوا معه وصالحوه بدورهم مع طوروس امير الارمن ، واحضروه اليه . فاقامه قائدا لجميع الفيالق اليونانية على السواحل ، واجمع اليونان والفرنجة والارمن على محاربة العرب ، وقرروا الزحف على حلب ودمشق

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ .

وبقية المدن السورية • لكن الخطة فشلت اذ بلغ منوئيل ان اليونان في العاصمة يحاولون خلعه ، فترك كل شيء ، وعاد مسرعا الى القسطنطينية •[(١)]

ويرى ابو الفرج ان حروبا طاحنة نشبت بين الفرنجة وصلاح الدين الأيوبي • فبعد احتلال عكا ، سار الفرنجة الى ارسوف فناوشهم العرب ، واغتاظ ملك انجلترا وحمل عليهم حملة شعواء شتتت شملهم ، ولم يبق مع صلاح الدين إلا سبعة عشر من خيرة العرب ، ونافخي الابواق ، وحاملي الرايات • ويقول : ولولا خوف الفرنجة من كمين ينقضّ عليهم ، لقبضوا في ذلك اليوم على صلاح الدين وقوضوا دعامة العرب تقويضا تاما •[(٢)]

ويذهب الملطي الى ان الفرنجة مدّوا ايديهم ، وانتزعوا القسطنطينية من اليونان ، والغوا دولتهم عام (١٢٠٤) واقترعوا على من يملك فيها من امرائهم ، فخرجت القرعة لغوندفلند ، وقسموا ما تبقى من الجزر والمدن على دوقس البندقي ، والمركيس الفرنسي • غير ان الأمر لم يدم طويلا ، فتغلب عليهم لشكرى البطريق اليوناني ، وانتزع البلاد من بين ايديهم •[(٣)]

---

(١) المصدر نفسه ، ص٣٢٦، ٣٢٧ •

(٢) المصدر نفسه ، ص٣٨٩ •

(٣) المصدر نفسه ، ص٤١٦ •

٨ - ميل الى المغول ، واطراء بعض ملوكهم .

ويفرد الملطي للمغول فصولا يسهب في شرح احوالهم ، وابتداء ملكهم ، وتحديد مواطنهم ، ملوكهم وشعائرهم ، ومن مال منهم الى النصرانية . فيرى انه منذ عام (١٢٠٣) كان يتولى شؤون المغول ملك مسيحي اسمه يوحنا (اونك خان) . وكان يقوم على خدمته رجل يدعى جنكز . فلما اطلع اونك خان على نباهته ونجاحه المتواصل في كافة الامور ، حسده ، وحاول الفتك به . فأحسّ فتى من فتيان الخان بالدسيسة ، واخبر جنكز بها . فحمل هذا الامر الى اصحابه وامرهم بترك خيامهم ليكمنوا لأونك خان . وبينما كان يتفقد الخيام ، انقضّ عليه اصحاب جنكز ، والتحم الفريقان معاً ، فانتصر فريق جنكز ، واندحر فريق اونك خان وقتل ، وسبيت نساؤه وابناؤه وبناته .[1]

ويرى ابو الفرج ان هذا الانكسار الفظيع لحق بأونك خان لأنه ارتدّ عن النصرانية وزاغ قلبه عن محبة المسيح مولاه ، الذى رفع مقامه .[2] ويذهب الملطي الى ان علة هذا الارتداد كانت امرأة تدعى قراخطا من قبائل الصين تزوجها اونك خان ، وهجر دينه ، وعبد آلهة غريبة . فانتزع الله الملك من يده ، واعطاه لمن كان افضل منه وأعدل .[3]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٠٩

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

ويقول الملطي انه لم يكن للمغول يومئذ دين يسيرون عليه. الا انهم عرفوا إلها واحدا خالقا للكل. وان بعض المغول كانوا يسمون السماء إلها الى ان تغلبوا على الايغوريين، وصادفوا بينهم سحرة يقال لهم "قامين". فمالوا اليهم بكامل قلوبهم، واتخذوا طريقة عبادتهم.[١] ولما سمع جنكزخان (١١٥٥–١٢٢٧)، بأديان الصين وحكمة احبارهم، ارسل وفودا يطلب اليهم القدوم اليه ويعدهم بالاكرام الكثير. وما ان وصل الحكماء الصينيون ارض المغول، حتى جلسوا للمناظرة مع السحرة "القاميين"، وتحدثوا من كتاب لهم يسمونه "نوما"، فتغلبوا عليهم وافحموهم، لأن السحرة خالون من كل علم. ويرى الملطي ان هؤلاء الحكماء افضل من علماء اهل الكتب والانبياء في تسامحهم ومحبتهم. فمع اكرام المغول لهم، لم يحتقروا خصومهم "القاميين" بل جعل كلا الفريقين يتكاثر وينفرد بما له، خلافا للامم اصحاب الكتب والانبياء اذ انهم كلما اجتمعوا، ثلب احدهم الآخر وحكم بأنه كافر مارق.[٢]

ويذكر بعضا من الملوك والملكات الذين مالوا الى النصرانية واحبوا شرائعها، فارتفع شأنهم بها، وفاقوا غيرهم من ابناء الملوك. ويقول: لما انتصر الخان على الخطا، توفي اخوه الصغير تولي قائد جيوشه، وكان من احبّ اخوته اليه، فحزن عليه كثيرا، وأمر ان تتولى زوجته سرتوقي باجي ولايته. وكانت سرتوقي نصرانية، ابنة اخي الملك يوحنا "اونك خان"، وامّ مونكا الذى صار فيما

(١) المصدر نفسه، ص٤١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٤١٣.

بعد ملكا ، وقوبلاى ، وهولاكو ، واريغ بوقا • ويرى انها فاقت الرجال العظام في ترتيب ولايتها ، وتهذيب بنيها • فشابهت هلانة الملكة ام الامبراطور قسطنطين بايمانها المسيحي القويم •[١]

واحب سرتاق بن باتو الديانة المسيحية ، واعتمد ، واتقن القراءة والكتابة ورقّي الى رتبة الشماسية • ويقول : ان كيوك خان ايضا كان مسيحيا قويم الإيمان فارتفع شأن النصارى في عهده ، وحفل معسكره بالاساقفة والكهنة والشمامسة • وجعل قداق النصراني حاجبا له ، وقيما على كافة شؤونه •[٢]

ويذكر ان دوقوز خاتون زوجة هولاكو كانت هي الاخرى مسيحية حقيقية عظّمت المسيح ، واكرمت النصارى في كل مكان حتى ان هولاكو نفسه مال الى النصرانية ، واعتمد على النصارى في اعماله الخاصة وخططه •[٣] ولأجله لحق النصارى حزن شديد لدى وفاته ووفاة زوجته دوقوز • ويصف الملطي هولاكو وزوجه "بالنراسين العظيمين المعززين للدين المسيحي".[٤]

ويقول ان صداقة حميمة كانت تربط المغول بالنصارى ، فاكرموهم ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨١ •

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥١٢ •

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٢١ •

واعتمدوا على خبرتهم في السياسة ، واخلاصهم • ففي عام (١٢٧٥) وافى اعلم الدين يعقوب التاجر النصراني الكبير من زيارة قوبلاى خان • وبينما كان في الطريق ، ادركته المنية بخرسان • وكان في صحبته الامير اشموط الايغورى • فمضى هذا بأبناء يعقوب الى خدمة اباقا ملك الملوك فاستقبله استقبالا حسنا ، ونصب مسعود واليا على الموصل واربيل ، وولى اشموط تدبير اموره •[1] ولما حقد فافا القارسي على الولاة النصارى ، وجعل يحرض الناس ضدهم ، غضب اباقا ، وامر بغلق رأسه عام (١٢٨٠) وتعليقه في الموصل ، وعاد فولى حكاما مسيحيين على الموصل واربيل كسابق عهدهم •[2]

ويذهب الى ان الملكة قوتاى خاتون الكبيرة سعت عام (١٢٧٩) الى اعادة بعض العادات المسيحية التي ابطلت فيما سبق • فاقبلت الى مدينة مراغة على الرغم من شدة البرد ، وامرت المسيحيين ان يخرجوا كعادتهم بالصلبان وهي معلقة في رؤوس الويتهم ورماحهم للاحتفال بعيد الدنح (الظهور) • "ولما طلعوا ، افتقدتهم النعمة الالهية ، واخمدت شدة البرد ، فاخضرّ العشب ، وانقلب الشتاء ربيعا مما ابهج المغول جدا برعي مواشيهم ، والنصارى بانتصار ايمانهم •"[3]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٣٥

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٥٣ •

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٩ ، ٥٤٠ •

ويقول ان اباقا ملك الملوك ذهب الى الكنيسة يوم عيد القيامة سنة (١٢٨٢) وشارك النصارى بهجتهم . وفي اليوم التالي اولم له رجل نصراني فارسي اسمه بهنام وليمة عظيمة جدا في داره حضرها كبار رجاله[1] . اما ارغون بن اباقا ، فقد اقام مسعود ابن قوطي النصراني ملكا على الموصل ونواحيها ، الامر الذى افعم قلوب المسيحيين بالفرح والمحبة .[2]

---

(١) المصدر نفسه ، ص٥٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٥٧ .

الفصـــل الرابـــع

تعليل اسباب الاتفاق والاختـــلاف

بين التاريخيـن

لا شك ان دراسة دقيقة لتارخي ابي الفرج الملطي ،تكشف عن اوجه اتفاق في ملامح بارزة بينهما ،كما تسجل كذلك تباينا محسوسا بيّنا.

واوجه الاتفاق بين التاريخين ،يمكن ان تلمح بسهولة ويسر في الدول الثمانية الاولى من الكتابين ،ابتداء بدولة الاولياء والآباء ،الى نهاية دولة ملوك اليونان المتنصرين . ويمكن ان يعزى هذا الاتفاق الى امرين اثنين: اولهمـا هو ان الكاتب يتخذ منطلقه في هذه الحقبة من الزمن ،وفي احداث الكتابيـن مما ورد في الكتب المقدسة ،وحوليات الاولين ،ـ كحوليات يوسيفوس المؤرخ ،مرورا بحوليات اليونان ،حتى تبلغ ميخائيل السرياني الذي لملم التواريخ الكنسية ، والدينية ،والسياسية في مصنف حولي واحد ،في غاية الترتيب والتبويب. فيكون قد اعتمد المصادر ذاتها في التاريخين ،وهذا موجب للاتفاق. واما الثاني: فارجح على الاكثر ،ان المؤرخ ،لم يعد كليا الى الحوليات ،وغيرها من المصادر الاولية الوارد ذكرها في مختصر تاريخ الدول ،بل رأى ان يختصر الوقت ،والجهد ،فرجـع الى مواده في تاريخ الازمنة السرياني ،والتقط منها مادة جاهزة تناسب الفكرة التي ارتآها من تصنيف تاريخه هذا ،واضعا اياها في اطار روايات التاريـخ

الديني الواردة في الكتب المقدسة ، مع تعديل طفيف هنا وهناك في تفسير خبر ، او استمداد موعظة ، او شرح لفظة مبهمة ، او تنبيه على حادث يهم قراءه مع ميل بيّن الى استخدام النصوص العربية المتداولة ، وفق طرائقها المعلومة

ويتفق التاريخان ايضا في تقسيم المادة الواردة فيهما . فقد قسم المؤرخ تاريخة السرياني ، وهو الكتاب الذى الفه اولا ، الى احد عشر بابا ، دعاها دولا . تحتوى كل دولة من هذه الدول اخبار حقبة تاريخية معينة ، تبتدئ بآدم ، وتنتهي بدولة المغول في الربع الاخير من القرن الثالث عشر . واتبع المؤرخ التقسيم ذاته في كتاب مختصر تاريخ الدول ، مع تعديل ضئيل في الابواب . فحصر احداثه في عشر دول بدل احدى عشرة دولة ، اذ ادمج دولة الملوك الماديين في دولة الفرس وجعل من الدولتين دولة واحدة ، أساق اخبار ملوكها الى ايام اندحار دارا بن دارا امام الجيوش اليونانية ، وانتهاء ملكهم .

وبالاضافة الى هذين الاتفاقين ، يمكن ان يسجل اتفاق ثالث . وهذا الاتفاق في الواقع ، نابع من اسلوب ابي الفرج في استخدام تقويمات مختلفة ، للتأريخ للحدث الواحد . فاستعمل التقويم الاسكندراني ، التقويم الميلادى ، والتقويم الهجرى بخاصة ، في الدولتين ، او البابين الآخيرين من كتابيه . مع تشابه آخر ملحوظ في اسقاط حلقات الاسناد المعروفة في الطرائق العربية ، والاستعاضة عنها بالاستشهاد ببعض علماء الكنيسة ، والمفسرين القدامى .

اما اوجه التباين بين التاريخين ، فهي كثيرة بالقياس الى اوجه الاتفاق ذلك ان اوجه الاتفاق تنحصر في قطاع ضيق من مادة الكتابين ، اذ لا تزيد على الثلث فقط ، بينما يقع الاختلاف في القطاع الثاني ، بما يقارب الثلثين واكثر ، في حقبة من اهم حقب تاريخ الشرق - تمتد من قيام الدولة العربية ، والى سقوطها بيد المغول عام (٦٥٦ هـ) بالاضافة الى قسم من اخبار دولة المغول تنتهي في تاريخ مختصر الدول في فترة ملك ارغون خان . وفيما يلي اوجه الاختلاف بين الكتابين :

١- تباين في الغاية والجمهور

ان مناقشة متأنية لخصائص التاريخين ، تظهر علاقة قريبة بين الغاية التي حفزت المؤرخ ، وبين الخصائص ككل . وهذه الغاية لا بد وان تفترض جمهورا معينا ، له صفاته وافكاره الاجتماعية ، ومناهجه المعاشية ، ومعتقداته الدينية ، واساليبه السياسية . ففي تاريخ الازمنة السرياني هذا الجمهور هو جمهور نصارى الشرق في الدرجة الاولى ، وجمهور كنيسته بالدرجة الثانية . وألف الكتاب كما يبدو ، بدافع ديني وقومي لا غبار عليهما . ويذكر انه اقدم على هذا العمل ، لأن احدا من ابناء بجدته ، لم يتحرك للكتابة في المواضيع التاريخية ، منذ وفاة البطريرك ميخائيل السرياني (١١٩٩ +) ، الذى جمع

شتات حوليات السريان وغيرهم من التواريخ اليونانية في مصنف ضخم • مما جعل فراغا في التواريخ التي تداولتها الامة السريانية (انظر المقدمة) • وعنده ،ان فترة الثمانين سنة التي انقضت بين وجوده ،ووجود آخر مؤرخ سرياني ،فترة جديرة بالاعتبار لكثرة ما حصل فيها من احداث اجتماعية ودينية ،وتقلبات سياسية وعسكرية • وهي بالتالي في غاية الاهمية من الناحية التاريخية • ويرى ان الاحداث التي لا تدون في كتاب ،وتنظم في تاريخ ،يأتي عليها الدهر ،فتخسر ، ويضيع جزء كبير من تراث الامة وتاريخها •

وليس هذا هو الدافع الوحيد الذى حرك ابا الفرج لتصنيف تاريخ الازمنة السرياني • فقد اورد في مقدمته دوافع اخرى شبيهة بدوافعه من تأليف مختصر تاريخ الدول العربي • فيذهب الى ان التذكير بمآتي الأجيال ،خيرها وشرها ، يقدم في الواقع فائدة غير قليلة للذين يعكفون على طلب الخير ،ويجتهدون في الابتعاد عن الشر• لأن تعداد الفضائل واعلانها ،يحث المرء على السعي في اثرها ،والتنديد بالمساوئ يشجع على اطّراحها • (انظر المقدمة) •

ويلتقي هذف تأليف مختصر تاريخ الدول جزئيا مع الهدف المذكور اعلاه ، لكنه يتباين عنه ايضا شديد التباين ، في الخطوط العريضة ،ذلك لأختلاف الغاية وتباين الجمهور• ففي تاريخ الدول ،يحدد ابو الفرج الغاية من جمع رواياته في الكتاب بقوله : " قصدت الاقتصار على ما اوتي في ذكره اقتصاص احدى فائدتي

الترغيب والترهيب في امور الحكام والحكماء خيرها وشرها".[١] فيوجز في هذه العبارة المكتنزة مجمل غايته من وضع الكتاب ، ألا وهي ترغيب الناس بفعل الخيره وتحريضهم لطلب الحق والعدل والجمال ، عن طريق رصد الفضائل والصالحات في تراجم الفلاسفة والملوك والامراء ، وترهيبهم بكوارث الزمان القاسيات التي اصابت الكثير من ابناء الدنيا ، فأضاعوا انفسهم ، وخسروا ما امتلكت ايمانهم .

ويرتأى اخوه الصفي ، في ذيل التاريخ الكنسي ، ان ابا الفرج صنف هذا الكتاب بطلب من العرب المسلمين ابان اقامته في مدينة مراغة (اذربيجان) .[٢] وبما ان ابا الفرج دون هذا التاريخ نزولا عند رغبة علماء العرب المسلمين ، فلا بد ان يجعل الهدف فيه موافقا للجمهور الجديد من قرائه ، وحتى يأتي الهدف مناسبا لهذا الجمهور ، عليه ان يحتذى حذو مؤرخي العرب في ربط هدف التاريخ بالقيم الاجتماعية والدينية النابعة من تراثهم القومي ، واساليب تفكيرهم . وقد المعنا الى هذه الناحية لدى مناقشتناالاصول ابي الفرج في كتابيه ، وتأثير انماط التواريخ العربية في طرائقه . ولأنه كتب وفق اساليب معينة ، وفي ظروف خاصة ، وباللغة العربية ، ارى انه وضع نفسه تحت مجهر مكبّر ، يحاسبها على كل كبيرة وصغيرة خشية ان ينزلق عن هدفه ، ويسقط فيما لا يوافق الغاية الاساسية من وضع هذا الكتاب ، فيتناقض بالتالي مع ميول جمهوره . لذا ، اجبره الموقف الجديد على اتخاذ جانب الحياد ، والاغضاء عن كل ما من شأنه ان

---

(١) انظر ترجمته .

(٢) انظر ترجمته .

يثير الشبهات حول احداث تاريخه ،فوقف من المواد الموجودة بين يديه موقف من يرتب الروايات بحذق وفن ،ليقدمها بشكل مقبول ،مجرد عن اية تأثيرات فلسفية ،او ميول قومية او مذهبية ،تخرجه عن نطاق الحياد الذى ضربه حول نفسه . فأسقط من مختصر تاريخ الدول الروايات التي تجعله ينحاز الى طرف معين ،فينقلب عرضة لنقد المسلمين ،وتجريح علمائهم ،فيفقد ثقة الولاة في بلد يخضع لسلطان المسلمين ،فيعرّض نفسه ،وبقية ابناء مذهبه لما قد لا تحمد عقباه .

٢– تباين في مادة الكتابين .

قلنا في معرض حديثنا عن الاتفاق بين الكتابين ان هناك اتفاقا جزئيا ،وخاصة في القسم الاول من الكتابين ولأسباب مختلفة . وذهبنا الى ان الاختلاف ينحصر في القطاع الثاني من الكتابين ،لا سيما في احداث الدولة العربية والمغولية . ومن دراستنا المقارنة لهذه المادة وجدنا ان الكاتب لا يلتزم بذات الاحداث في التاريخين في هذه الحقبة ،بل يكتب من زاوية معينة ،ووفق اهداف رسمها لنفسه منذ البداية .

(١) فلدى تطرقه في الدولة التاسعة الى شؤون العرب في مختصر تاريخ الدول ،نراه يبتدئ بحقبة الجاهلية ،ويفصل في احوال العرب الاجتماعية

والسياسية والدينية والعرقية . ويقسم العرب فرقتين : بائدة ، وباقية . ويذهب الى ان الفرقة البائدة كانت امما ضخمة ، لكنها انقرضت ، وذهبت اخبارها .

اما الفرقة الباقية ، فهي متفرعة من جذمين : قحطان ، وعدنان . يضمهما حالان : حال الجاهلية ، وحال الاسلام . ويرى ان سائر عرب الجاهلية بعد الملوك ، كانوا طبقتين : اهل مدر ، واهل وبر . ثم يومي الى ما انماز به العرب قبل الاسلام ، معددا علومهم التي اختصوا بها دون سائر الامم . ويتناول من ثم سيرة النبي ، منذ ولادته حتى بعثته(١) معتمدا ما قاله النسابون . ويفرد بعدها فصلا مطولا للحديث عن الفرق والمذاهب التي ظهرت في الاسلام(٢) ، مقدما بتفصيل موجز جامع ، ابرز الفروق بين هذه الفرق ، دون اظهار ميل خاص ، او تحيز لمذهب من المذاهب ، ذى لون معين ، او غاية مبطنة . ويدخل بعدها في تفاصيل الخلفاء على ذات الاسلوب .

ويبتدئ ابو الفرج تاريخه السرياني ، بطريقة مخالفة . فلا يقدّم اخبارا عن العرب في الجاهلية ، ولا يشير الى ضخامة ملكهم ، وتقسيم فرقهم ، بل يبتدئ بتحديد الدين الاسلامي ، دون الالتفات الى الحلقات السالفة من تاريخ العرب . وتجاهله للفترة السابقة لظهور الاسلام يعدّ في الواقع نقصا في المادة التاريخية من جهة ، ولونا من الوان التحيز ، اذ يسكت عن ذكر ما سلف من مجد ، وعز ،

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

وسلطان لأمة كانت لها دول ضخمة كما اشار ، وملوك في منعة من امرهم . وتحديده للدين الاسلامي [١] غير وارد في مختصر تاريخ الدول ، وهو بدوره متحيز . فيرى ان الدين الاسلامي مع ما فيه من حق الهي ، هو ناقص ، غير كامل . ونقصانه هذا متأت من الفكرة ان المسلمين وان تخلوا عن عبادة الاوثان ، وتمسكوا بعبادة الاله الواحد ، ظلوا في غسق الحياة ، لأنهم لم يؤمنوا بالسيد المسيح . [٢]

ويرى ان الاسلام ليس دينا موحى به من الله ، اى ان اصله ليس من السماء ، وحجته في هذا هي ان محمدا تعلم عبادة الاله الواحد من اليهود ابان خروجه بأموال خديجة للتجارة في فلسطين . [٣] والتعلم كما هو ظاهر ، غير الوحي الالهي . ويذهب الى ان انضمام العرب الى محمد في الحقبة المتأخرة من حياته ، كان وراءه دوافع مادية ، ونفسانية ، وشهوانية . فيزعم ان محمدا وعد من يؤمن برسالته جنات تجرى من تحتها انهار عسل وخمر ، مرصوفة باسرة مغطاة بالاستبرق ، تظللها اشجار وارفة ، ونكاح نساء يفقن الشمس جمالا . [٤] وهذه الوعود كما لا يخفى مشجعة ولا سيما لسكان البرارى الذين حرمتهم الطبيعة الكثير من مباهج الحياة الرخية . وثانيا ، اقناعهم ان من استشهد في سبيل

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٦ .

(٣) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

الدين،[١] ومات في ساحة الوغى ،ليس بمائت ،لأنه يحظى بحياة الجنة التي ليس للموت ومكان فيها. ويبدو الامر مغريا ،لا سيما وان معضلة الموت كانت من اشدّ المعضلات التي تجابه الانسان في وثنيته. وثالثا ،يرتأى المؤرخ ان الغزوات الاولى ، والتي خرج محمد على رأسها ،كان لها ضلع كبير في قبول العرب للدين ،ودفاعهم عنه ،ذلك لأنها عادت بالاسلاب والغنى[٢] المفاجيء والشهرة على من اشترك بها ،وعدت انتصارا من لدن الله . وعنده ،رابعا، ان محمدا بعد ان اشتدّ ساعده ،وتمكنت قبضته من الامة والانصار ،بطل عن استخدام الحجة في الاقناع، ولزم استعمال السيف.[٣]

وتعليل هذا التباين يمكن حصره في عدة اختلافات: هي المراجع، اللغة ،والدين . فتاريخ الازمنة مصنف بالسريانية ، وهي لغة بعض فرق النصرانية في حقبة القرن الثالث عشر. لا يقرأها العربي المسلم ،ولا الفارسي ،ولا المغولي، الا فيما ندر . وكانت عصرئذ قد انحسرت عن المدن الكبيرة الى الارياف واروقة الكنائس ،وبعض الاديرة ،ومدارس اللاهوت. وبعبارة اخرى ،صارت لغة الصلاة والطقوس الدينية. وطفق الكتاب يدونون بها ما لا يريدون كشفه لغير القارىء المسيحي لا سيما ما له علاقة مباشرة بنقض بعض المذاهب ،او الرّد على بعض الآراء المناهضة

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ،ص ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه ،ص ٩٨ .

للمسيحية، سواء كانت موجهة من المسلمين ، او غير المسلمين . او لتأليف قصص الاضطهادات الدينية ، او رسم صورة لأوضاع معينة في الكنيسة ، في حقبة زمنية محدودة وما هنالك من احداث.

وهكذا ، فلما صنف ابو الفرج كتابه بالسريانية ، سجل احداثه بحرية، وجرأة ، وصراحة من لا رقيب عليه يحصي حركاته وسكناته ، وبشكل لا يمكن ان يجهر به امام غير المسيحيين ، لأن فيه ما يثير جدلا عنيفا ، يقود الى امور لا تحمد عقباها . اما مختصر تاريخ الدول ، فقد صنّفه بالعربية، والعربية يومئذ يقرأها العرب وغير العرب من الشعوب الاسلامية، بالاضافة الى معظم الفرق المسيحية المعادية لفرقته . ولأجل هذا ، نراه يخلو خلوا تاما من اى ميل الى النقد او التجريح ، او التعرض لنقض بعض المبادئ الدينية والاجتماعية والسياسية، مع وجود مجال واسع للتعليق على بعضها ، ونقد البعض الآخر منها .

واما الدين ، فقد كان ابو الفرج نصراني النحلة ، ومن اصحاب المذاهب المتشددة . اسقفا عاما ، ومسؤولا عن الطرف الشرقي من الكنيسة السريانية الخاضعة لبطريركية انطاكية ، فكان الرجل الثاني بعد البطريرك ، يمتد مجال سلطانه الديني من بلاد ما بين النهرين الى اقصى بلاد الفرس شاملا ، آثور ، وبابل ، والعراق العجمي ، واجزاء من اذربيجان وغيرها . فكانت له في رئاسته ، ارتباطات روحية ، ومسؤوليات واسعة ، تجاه اصحاب المذاهب الاخرى من النصرانية ، تماما مثلما كان

له تجاه المسلمين والمغول في طول هذه البلاد وعرضها ٠ ومع كافة الالتزامات الاجتماعية والسياسية التي كانت له ، لم ينس مكانته الدينية ، وواجبه في الحفاظ على ما ناله ، مدافعا عمّا يراه مناقضا لمبادئه ، ومبادىء ابناء مذهبه ٠ وكتبه اللاهوتية خير دليل على هذه الحجّة (انظر كتاب منارة الاقداس ، وكتاب الاشعة) ٠ لذا ، دون في السريانية رأيه صراحة ، وشدّد على ما يريد ذكره ، وسكت عما لا يستطيع الدخول فيه في مختصر تاريخ الدول ٠ (٤٥)

وتقوم الاصول التي اعتمدها في تقميش كتبه سببا آخر من اسباب هذا التباين ٠ ففي تاريخه السرياني ، يكثر من الاعتماد على المراجع السريانية ، وكتب آباء الكنيسة ، واصحاب الحوليات اليونانية من النصارى ، وجلّ هذه الكتب ، بخاصة ما دون في الفترات الاخيرة دفاعية ٠ فتأتي مواده ورواياته متطابقة مع اصوله كل التطابق ، شديدة الصلة بكل ما يريد ان يثبته لقرائه ٠ بينما يتوكأ في مختصر تاريخ الدول — خلا القسم الاول منه — على المراجع العربية والفارسية بكثرة كما شرحنا ذلك في الفصل الاول من هذه الرسالة ٠

٢— ولدى سرده للوقائع التاريخية في كتاب تاريخ الازمنة السرياني ، يعرض باسلوب واضح كل ما اصاب النصارى عامة ، وابناء مذهبه بصورة خاصة ، منذ الفتوحات العربية الاولى ، حتى وفاته في اواخر القرن الثالث عشر (انظر الخصيصة الثانية من الفصل الثالث) ٠ وذكر المظالم التي لحقت بهم ، وما تعرضوا

له من نهب للاموال ، وسبي للنساء والبنات والاطفال ، وهدم للبيع ، ونقض للاديارة واجبار على دفع الجزية، او اعتناق الاسلام ، او ترك البلاد الى الاماكن الاخرى .

ويتباين مختصر تاريخ الدول في هذه النقطة ايضا . فلا يفصّل الكاتب في هذه الاخبار ، ولا يحاول نبش هذه الروايات ، اللّهم إلا اذا جاءت في خبر منقول عن مصدر عربي ، كتاريخ الحكماء للقفطي ، وطبقات الامم للاندلسي او غيره من المصادر التاريخية التي تورد بعض هذه الاخبار. وحتى اذا اوردها ، فهو لا يوردها بشكل يشتم منه اية رائحة البتة ، بل لمجرد الرواية التاريخية ، ومساوقة احداث الحقبة التي يتحدث عنها .

وتعلّل هذه الظاهرة في كتابيه بالاستناد الى الغاية من تصنيف التاريخين . فيشدد في تاريخ الازمنة على اظهار الجوانب الدراماتيكية بغية انهاض هم قرائه النصارى ، وتقديم دروس روحية مفعمة بالايمان والرجاء للاتعاظ بمآسي الايام ، كما بيّن ذلك في مقدمته . فان الاشارة الى هذه الاحوال يذكي في قلوب قارئيه فضيلة الايمان بالله ، ويدفعهم الى تجديد آمالهم بتجديد الشعور بيد الله تعمل من خلال تاريخ الامم والشعوب ، مستقطبة الاشياء الخيرة لصالح ابنائه ، وان كانت الصورة كما يبدو ، في اغلب الاوقات معتمة ، "لان كل الاشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله" . (رو ٨: ٢٨) .

هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى ، فأرى انه يحاول ان يعلل قلة عدد ابناء الكنيسة السريانية في المشرق . فقد اشار الى ما كان لهم من قوة ومنعة وشأن في بداية الدولة العربية[١] وما صاروا اليه في اواخر القرن الثالث عشر اذ تناقص عددهم وتهدمت كنائسهم ، وهاجر من كان لهم في بعض المناطق المنيعة ، كالرها ، وانطاكية ، وحلب ، وتكريت ، وغيرها من المدن المعروفة . ويظهر هذا الميل في الفصل الذى افرده لرثاء مدينة الرها ابان سقوطها بيد عماد الدين زنكي (١١٤٤م) وخراب كنائسها ، ومقتل الكثيرين من ابنائها ، واخذ ما تبقى ليباع في اسواق النخاسة .[٢]

وما يسجله في تاريخه السرياني ، لا يجد له مكانا في تاريخ مختصر الدول ، ذلك لأن فعله هذا يعدّ اتهاما سافرا للعرب والمغول بما صارت اليه حال النصارى خلال هذه الحقب من الزمن ـ وهم اصحاب سيادة وسلطان . ان عملا كهذا يحسب في منتهى الحماقة والخطل وخاصة بالقياس الى ما كان لأبي الفرج من بعد النظر ، وكثرة الخبرة في هذه الشؤون . لذا اغضى عنه في الاماكن التي يشكل تحديا ، واسقطه تماما ، واحتفظ ببعض الروايات التي لا تحمل تنديدا ، ولا تشكل خطرا ان هي نقلت كما جاءت في الاصول العربية والفارسية .

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٢) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٣٠٣ ـ ٣٤٣ .

ويذكر ابو الفرج في فقرات من فصول تاريخ الازمنة بعض من هجر النصرانية ،واعتنق الاسلام في الفترات المختلفة_ العربية منها والمغولية _ ويرى ان هذا الهجر للمسيحية لم يكن محبة بالدين الاسلامي ،ولا لأنه افضل من النصرانية ،بل كان وراء كل حادثة من هذا النوع اكثر من سبب واحد . ويحصي بين هذه الاسباب: الخوف من القتل ،والسبي ،واكتساب المجد الباطل ، والتمتع براحة وقتية ،واجتناء الارباح الخسيسة ،او الغيرة من الرؤساء ،ومحاولة الاساءة اليهم ،او بدافع النزوات الشهوانية ،او بداعي إلحاح خليفة او احد مقربيه .(انظر الخصيصة السادسة من الفصل الثالث) _

اما في مختصر تاريخ الدول ،فأرى انه يغضي عن هذا الامر ،ولا يعيره كبير اهتمامه . وان صادف ان ورد شيء من هذا القبيل ،يقدمه بصورة مواربة ، او يتركه محاطا بالغموض،لا سيما اذا كان المترجم له ذا مكانة مرموقة كما هي الحال في ترجمة يوحنا النحوي.(١)

ولتعليل ظاهرة هجر النصرانية في تاريخ الازمنة ، يمكن ان يقال: انها كانت في الاساس تشكل خطرا جسيما،بالقياس الى مختلف المذاهب النصرانية، وبخاصة ،مذهب المؤرخ . فقد ترك الكثرون المسيحية ابان عزة الدولة العربية ،

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص١٠٢ _ ١٠٣ .

واتخذوا الاسلام دينا لهم ، وبين هؤلاء رجال علم وادب ودين . وبما ان ابا الفرج كان مسؤولا تجاه فرقته ، بحكم وظيفته الاسقفية ، وتجاه كافة المسيحيين من جهة الدين ، جعل ينبه على هذه الاحداث في تاريخه السرياني ، ويبرز جوانبها المادية ، بغية تحصين النصارى ضد هذه الفكرة . ويذكر الى جانب الاسباب الدنيوية التي دفعت الكثيرين الى هجر المسيحية ، بعض العقوبات الآتية التي انزلها الله على التاركين . فيرى ان الموفق اسعد الطبيب الدمشقي المشهور بابن المطران ، اعتنق الاسلام لأجل امور دنيوية ، لكن بعد موته شوهدت زوجته وواحد من اعزّ اولاده يستعطيان في دمشق .[1]

اما اغضاؤه عن هذه الحوادث في تاريخ الدول ، فيعلل بأن قراءه في الغالب مسلمون ، واى اشارة ، او تنديد بهذه الامور ، يثير شغبا ، ويشعل حقدا ، فيصير سببا في التطاحن والتقاتل في الوقت الذى كان يطلب ان يزرع سلاما بين الاخوة .

٤ـ ويسهب في مختصر تاريخ الدول في شرح دقائق تاريخ العرب ، وبخاصة الخلفاء واهل الشأن . فيقدم صورة شاملة للاحداث ، بتسلسل دقيق محكم ، بينما يقصّر كثيرا في الاحاطة بشؤون الروم والفرنج ، اللّهم إلا متى كانت الاحداث

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص ٣٨ .

شديدة الصلة بدولة العرب ، او المغول - حتى ليكاد الدارس لرواياته ، يحس بالانقطاع ، وعدم التتابع في الاخبار التاريخية المتعلقة بالروم والفرنج . بينما يختلف الحال في تاريخ الازمنة كل الاختلاف. فتجده هناك يفرد مكانا واسعا للحديث عن الروم وعاداتهم ، وحروبهم ، واصلاحاتهم . وما ان يظهر الافرنج على المسرح ، حتى يوسع لهم مكانا . فيذكر اسباب خروجهم من اوطانهم ، وما تجشموه من صعاب في اختراق الجبال والوديان في دولة اليونان ، وبعض بلاد الاتراك . كما يصف حصار القسطنطينية ، وسقوط انطاكية ، والرها ، وبيت المقدس وعسقلان . ويتحدث عن انتصاراتهم الكثيرة ، وضربهم الجزية على الامراء المسلمين ، في سورية وفلسطين ، ومصر. ولا يغرب عن باله الاشارة الى رهبانهم ، واساقفتهم ، وما كان لهم من افعال خلال اقامتهم في الشرق . (انظر الخصيصة السابعة من الفصل الثالث) . وما يفعله مع هؤلاء ، يفعله مع المغول لدى اكتساحهم الشرق وسيطرتهم على بغداد .

فيبدو من هذا السرد المقصود ، ان الميل الديني وحالة الشعور بالنقص كان لهما ضلع كبيرة في الامر. فأمامه طائفة من النصارى ، قدموا الشرق في الوقت الذى كانت فيه النصرانية في حالة ضعيفة جدا . فرأى فيهم مثل البسالة ، والقوة والتضحية ، ولا سيما ان جزءا من جيشهم كان يضم الرهبان والقسس وبعض رجال الدين . ولأنه يدون احداثه بالسريانية ، فلا يجد غضاضة في ان يستفيض في شرح اخبارهم كما فعل الرهاوى المجهول وميخائيل السرياني في تاريخيهما[1] -.

---

(١) انظر تاريخ الرهاوى المجهول ، ص ٢٥٤ وتاريخ ميخائيل السرياني ١٥: ٥٨٥

وظاهر ان غايته كانت انهاض همم ابناء مذهبه واذكائها بذكر بطولات الفرنجة والروم والارمن والبلغار واخيرا المغول .

اما في مختصر تاريخ الدول ، فيظل على حياده ، وان ذكر شيئا عن الروم والفرنج والمغول ، فلا يخرج ذلك اطلاقا عن نطاق الرواية العربية ، وما يناسب ذلك من اخبار .

٥ـ ويحاول المؤرخ تخصيص فقرات متباينة الطول في مطالع فصول تاريخ الدول ، يوجز فيها ملامح الامة التي يريد الحديث عنها . فيذكر اهم ميزاتها ، في العلوم ، والفنون ، والصناعات والحروب ، ذاكرا مفارزتها لغيرها من أمم الارض مع اشارة سريعة الى مواطنها الاولى ، ولغاتها الاصيلة ، وما صارت اليه احوالها مع تقلبات الدهر . بينما يخلو تاريخه السرياني خلوا تاما من هذه الميزة اذ يفتتح فصوله ، كما يناسبه المقام . ففي الدولة الاولى ، يفتتحه بذكر خلق آدم ، وفي الدولة الثانية ، يتحدث عن يشوع بن نون قائد العبرانيين بعد موسى وقس على هذا النمط في كافة الدوله .

والقصد من هذا كما يبدو للدارس هو ان مختصر تاريخ الدول يظل في المناخ العربي ، لأنه يستمد اصوله وملامحه من المراجع والاصول العربية في الغالب . وهذه الظاهرة شديدة البروز في الكتب التي يعتمدها ، ألا وهي :

طبقات الامم لصاعد بن احمد الاندلسي ، وتاريخ الحكماء للقفطي ، وتاريخ الطبرى . وتختفي هذه الظاهرة في تاريخ الازمنة ايضا لذات السبب. فاكثاره من التوكؤ على الاصول السريانية ، والحوليات اليونانية ، دفعه الى اتخاذ طرائقهم في ترتيب مواده ، والمقدمة جزء بارز من التاريخ !

٦- ويتباين تاريخ الدول ايضا بكثرة التراجم التي اثبتها فيه ، مع فصول لذكر كتب الآداب والعلوم والفلسفة الى جانب المصنفات التاريخية والدينية والفقهية . ومعظم هذه التراجم ، والفقرات ، غير واردة في تاريخ الازمنة . والبعض الذى ورد ، انما ورد مندمجا في الروايات التاريخية ، اذ لا يحاول المؤرخ افراد فصول ملحقة في نهاية حلقة من حلقات تاريخه للحديث عن فيلسوف او طبيب كما فعل في مختصر تاريخ الدول .

ولتعليل هذه الظاهرة البارزة ، نرجح اولا ، ان هذه الميزة لها صلة وثيقة بالغاية من وضع مختصر تاريخ الدول . فقد قصد منذ البداية الى تقديم نماذج انسانية تتصف بالصلاح والطلاح على السواء ليرى قراءه ما تفعله الفضيلة ان احتذيت ، وما تسوق اليه الرذيلة ان طلبت . وأرى ثانيا ، انه افرد هذه الفقرات ليشير الى الخدمات الجلّى التي اسداها اصحاب التراجم عبر اعصر طويلة ، الى الانسانية . ولا يخفى ان فئة غير قليلة من هؤلاء الرجال

كانت من النصارى بشكل عام ،ومن السريان بشكل خاص. فيريد من وراء هذا التعداد للاطباء والفلاسفة ،بدون شك ،اقامة حجة تومئ الى الدور الحضارى الذى لعبه قومه السريان ،في نقل التراث اليوناني ،الى العرب المسلمين وغيرهم من شعوب الشرق. كما يمكن الافتراض ثالثا ،ان ابا الفرج بترصيعه مداخل مختصر تاريخ الدول ،وفصوله ،بهذه التراجم الوافرة ،كان يرمي - كما فعل في اكثر تصانيفه السريانية الى اظهار براعته في فن التأليف ،وعلو كعبه في مختلف الفروع العلمية والادبية المتداولة في عصره فجعل كتابه على اقتضابه ، شاملا كاملا ،يجمع بين التاريخ السياسي والتراجم واخبار الادب والفقه ،وما هنالك من امور يحتاجها القارئ المثقف في تلك الغضون . في الوقت الذى يظل في تاريخ الازمنة السرياني لا يخرج على نمط الحوليات في سرده التاريخي، مع اشارة عابرة الى السيرة الطارئة ،وخبر الشدة الداهم ،الموافق وقوعه في الحقبة التي تدور فيها الاحداث.

٧- والى جانب هذه الاختلافات البارزة،في مقدور الدارس الكشف بسهولة عن جوانب اخرى يمكن ان تحصى في قائمة الفروق بين التاريخين ،ألا وهي اسقاط حوادث بجملتها من احد التاريخين ،واثباتها في التاريخ الآخر ، وبالعكس. وهذه الاجزاء المحذوفة في الواقع ،هي ذات اهمية بالغة لأنها تكوّن الطرف الآخر من حياة الخلفاء والامراء - الطرف الذى يتناول الحياة الخاصة بما فيها من جوانب مخفية. وتشمل هذه الحوادث ايضا ،بعض تراجم

الاطباء والفلاسفة والحكماء • ومراسلات بين الملوك ، ومعاهدات ومواثيق بين الدول ، وفقرات من اخبار الشدة والمحن • فتراه على سبيل المثال ، يفرد في مختصر تاريخ الدول فقرة يترجم فيها لزرادشت[١] ، فيتحدث عن اصله ، وتعاليمه ، ويذكر حوادث مثيرة في سيرة الحكيم بقراط ، وفيليمون[٢] ، كما يكرس فصلا يتكلم فيه عن الدهرية[٣] ، واخر عن بناء سدّ يأجوج[٤] ، ويثبت قائمة باسماء الطوائف اليهودية ، واختلافاتها اللاهوتية[٥] ، وفقرة للحديث عن البدعة الآريوسية[٦] ، وينقل خطبة عمر بن الخطاب اثر انتقال الخلافة اليه[٧] • ويضيف الى بعض التراجم او ينقص منها كما يظهر ذلك في ترجمة معاوية بن يزيد[٨] ، وعبد الملك بن مروان[٩] ، وعمر بن عبد العزيز[١٠] ، وغيره • كما يقتبس رسالة السلطان احمد بن هولاكو[١١]

---

(١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ص ٤٩ •

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ •

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥ •

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨ •

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٨ •

(٦) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ص ٨٠

(٧) المصدر نفسه ص ١٠٠

(٨) المصدر نفسه ص ١١١

(٩) المصدر نفسه ص ١١٣

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١١٤ ، ١١٥ •

(١١) الملطي ، ابو الفرج ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٨٩ •

مع ردّ سيف الدين قلاوون ملك مصر.[1]

وهذه التراجم والفصول الناقصة المشار اليها ، ليست واردة في التاريخ السرياني . فقد اثبت امورا وحوادث اخرى تناسب ترتيب رواياته ، وهي بدورها غير مذكورة في مختصر تاريخ الدول.[2]

والسبب وراء هذا الحذف والاثبات يتناسب مع ترتيب الاحداث التاريخية في الكتابين ، وفق مخطط معين ، ولغرض مخصوص. فهو يسقط من تراجم الخلفاء والامراء الواردة في مختصر تاريخ الدول ، الجوانب التي تثير في وجهه متاعب جمة ، لأنه صنف الكتاب في الاصل للعرب. واى اساءة الى الخلفاء ، او الائمة ، او من بيدهم السلطان ، قد تؤدى الى عكس الغاية المنشودة من تصنيف تاريخه . وينطبق هذا كذلك على تاريخ الازمنة المدون بالسريانية . فقد اثبت فيه ما يوافق غايته ، ويخدم الفكرة التي ابتغى نقلها الى قرائه من خلال احداث هذا التاريخ . فذكر ما كان لا بدّ من ذكره ، وامتنع عن ايراد رواية احسّ انها لا تلائم جمهوره .

٨- وتقوم حوادث الشدة والخوارق والتنجيم في تاريخ الازمنة السرياني

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٩

(٢) الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ص: ١١٥،٢٥ ، ١٩٨ ، ٢٣٨ ، ٣٠٥ ، ٣٦٩ ، ٤٥١ ، ٥٢٠ .

دليلا آخر في سلسلة التباين بين الكاتبين • فهي هنا تشكل خصيصة بارزة بين خصائصه الاخرى• فتفسر احداثا غامضة ،وتعلن خفايا لا بد ان تأخذ مجراها في التاريخ حسب قصد الله ،او تعكس اعلانا لقصاص يأتي وفاقا لجريرة اقترفت بسابق قصد واصرار•

فلدى تعدى هرقل شريعة الله ،واقترانه بأبنة اخيه ، حدثت زلازل كثيرة ،وظهرت آية في السماء على شكل نشابة استمرت بادية للعيان ثلاثة ايام كاملة• ودلت دلالة واضحة على انتصار العرب•

وبعد اعمال الظلم التي ابداها قسطنطين(٦٧٨ م) تجاه أخويه وشريكيه في الملك ،ظهرت في السماء قوس كاملة في الهزيع الثالث من الليل والشمس غائرة تحت الارض• فانتشرت الفيران في سورية وفونيقي ،وافسدت الارض(١)

واما حاول يزيد بن عبد الملك القضاء على الصور والتماثيل التي في القصور والهياكل ،وماثله بذلك لاون ملك الروم (٧٢١ م) قلّت المياه في كل مكان ،وجفّت الينابيع ، وشحّت الغلال ،وظهرت اسراب الجراب ،واكتسحت كلما تبقى ، ثم هبط الوباء(٢) .

---

(١) الملطي ،ابو الفرج ،تاريخ الازمنة ،ص ١٠٩ ، ١١٠ •

(٢) المصدر نفسه ،ص١١٨

فارتباط اخبار الشدة والمحن والخوارق بالاحداث على هذا الشكل يفترض تخطيطا معينا من قبل المؤلف ،ويقوم بالتالي دليلا على اهتمامه الكبير بهذه النواحي من الاخبار. ويؤيد هذا الافتراض ،ما صرفه ابو الفرج من وقت في دراسة علمي الفلك والتنجيم ،وما قام به من تأليف وشرح في هذا المجال بالذات . فألف كتاب " الصعود العقلي " في شكل الرقيع والارض، ساردا فيه العلوم الفلكية ،وجمّله برسوم واشكال هندسية تومئ الى اتقانه هذا الفن . كما شرح كتاب المجسطي لبطليموس القلوذى في علم النجوم وحركات الافلاك .

ويرجح بالاضافة الى اهتمامه الزائد بهذه العلوم ،انه جعل هذه الحوادث المثيرة بمثابة ايضاحات غايتها الرئيسية تحضير قلوب قارئيه لفعل التوبة للعودة بهم الى احضان النعمة الالهية. (وقد المع الى ما يشبه هذه الغاية في مقدمة تاريخ الازمنة السرياني .) . اما الخوارق والآيات ،فقدجاءت شديدة الصلة بالله ،لتعلن قصده الازلي من خلال حلقات الاحداث الواردة في التواريخ . وقد يبدو ان ابا الفرج حاول التوفيق بين علم النجوم وما يترتب عليه من نتائج ، وبين عمل الله في الخليقة العاقلة . فرأى ان الكون كله في امرته ،لأن السموات تحدث بمجد الله ،والفلك يخبر بعمل يديه .

ويضاف الى قائمة الخلاف ما وجد من عدم التوافق في سنيّ اعمار

بعض الآباء والملوك والخلفاء . وقد وقفنا في التاريخين على اكثر من أربعين اختلافا من هذا النوع نثبت هنا بعضا منها[(١)] . وقد افترض بعض مؤرخي الادب ان هذا التباين ناجم عن التصحيح الذى اجراه المؤرخ في اخريات حياته على مختصر تاريخ الدول اذ انه آخر كتاب صنفه ،فجاء اكثر ضبطا للتواريخ ،وأدق ترتيبا للمواد[(٢)] . الا اننا نرجح ان هذه الاختلافات جاءت نتيجة اعتماد المؤلف على مصادر وكتب متنوعة ،فارسية وعربية على الاكثر في مختصر تاريخ الدول ، وسريانية ، ويونانية ،على الارجح في تاريخ الازمنة السرياني . ولأن هذه التواريخ استخدمت تقويمات متباينة من اسكندرانية وميلادية وهجرية ،تكون بعض فضلات السنين الناتجة عن التفاوت بين التقويم الشمسي والقمرى قد اضيفت الى الاعمار فنتج عنها ما نراه من اختلاف.

٣ـ تباين في طريقة تقديم الشروح والتفاسير:

ان تباين طريقة الشرح كما تلاحظ في تاريخ مختصر الدول ، لها صلة وطيدة بالغاية التي صنف لأجلها الكتاب ،وبالجمهور الذى كان في فكر المؤلف. وهذه الشروح والتفاسير هي في الدرجة الاولى ،توضيح

---

(١) قارن: التاريخ السرياني ص١١٤ ،مع مختصر تاريخ الدول العربي ص١١٣.
" " ١٢٢، " " " " " " ١٢٠.
" " ١٥٩، " " " " " " ١٤٦.

(٢) العزاوى ،عباس،التعريف بالمؤرخين ،ص ١٢٢ .

للمادة المنقولة من الكتاب المقدس ، والتي لها صبغة لاهوتية ، تتعلق بالاولياء والاسباط ، والانبياء ، وبعض معلمي الاديان الاخرى ، والسيد المسيح ، بالاضافة الى عبارات جاءت بالعبرانية والسريانية واليونانية، فيأخذ بتبسيط معانيها ، بالعربية ، عن طريق تقديم مرادفات وتفاسير لغوية ، مخافة ان يضيع القارئ غير المسيحي في متاهات الالفاظ الغريبة ، والاصطلاحات الفقهية والادبية • هذه الشروح هي احدى خصائص تاريخ الدول العربي ، وهي قليلة في تاريخ الازمنة السرياني ، ذلك لأن المؤرخ يفترض ان النصارى يعرفون اكثر هذه الامور معرفة اكيدة ، لذا ، فلا داعي للتبسط في شرحها •

أ — نماذج من الاصطلاحات العبرانية والسريانية، واليونانية

نجد هذه النماذج في الاقسام الاولى من تاريخ مختصر الدول ، خاصة في الحوادث التي تشير الى التوراة العبرانية ، او السريانية • فعندما يذكر نسل شيت بن آدم ، يتحدث عن بني " الوهيم "[١] • وهذه اللفظة غامضة جدا في العبرانية ، لأن نسبة الاولاد الى الله في هذه القرينة امر يدعو الى التفكير • فيرى ان اللفظة " الوهيم " العبرانية ، تعني " الاله " وان " بني الوهيم " كانوا اولاد الشيت • انما دعوا اولاد الله لأنهم اخلصوا له النية ، وخرجوا الى الجبال لعبادته • وهذه العبارة ، تشير الى تحبيذه النسك وجعله في رأس السبل المؤدية الى معرفة الله معرفة قريبة ، (بنوية) •

(١) انظر سفر التكوين ٦: ٢ •

اما في قصة حياة ملكيصادق ،فيذهب الى انه ابن سام بن نوح ٠ وانه كان يدعى "مليخ شليم" لبنائه اورشليم ٠ ويرى ان المدينة دعيت "مدينة السلام" فلذلك يكون معنى اسمه : "ملك السلام" او " ملك مدينة السلام"(١) ٠ بيد ان الامر ليس بهذه السهولة ٠ فالقصة الواردة في سفر التكوين(١٤: ١٧ـ ٢٠) لا تشير الى كون ملكيصادق بن سام ابن نوح ،بل تذكره في سيرة ابراهيم الخليل ،والحقبة الممتدة من سام الى ابراهيم ،حقبة طويلة ،لذا فلا يعقل ان يكون نسبه صحيحا٠

وفي ذكره لكلمة "قايين" (تك ٤: ١) يرى انها قد تكون منحدرة عن السريانية ٠ ودليله كما يمكن جمعه هو: ان بنات قايين اخترعن آلات الطرب والملاهي ،وباشرن الغناء٠(٢) والكلمة "القينة" بالكسر ،سريانية النجار وتعني اللحن٠ وترد بالعربية بالفتح ،وتعني المغنية ٠

ويقدم في ذكره اسماء بني يعقوب ،مرادفات عربية لكل لفظة عبرانية توضيحا لمعناها٠ فيرى ان معنى اسم روبيل " الغظيم لله"٠و شمعون ،" الطائع"٠ ويوسف " الزيادة" ودواليك٠(٣) ويبدو ان ابا الفرج شرح معاني الاسماء هنا

---

(١) ورد ذكر اورشليم في مكتشفات تل العمارنة(١٤٠٠ ق‌م) كواحدة من امهات مدن الكنعانيين ٠ ودعيت اورو ساليم٠ وقد ارتأى هاستنج انها تعني مدينة الاله سلام والامان ٠ (قاموس الكتاب المقدس،ص ٣٥٣ مجلد ٣) ٠

(٢) الفعل السرياني (قين) يعني معالجة الحديد ٠ ولفظة قينا يا تعني السابك او الصائغ٠ اما في العربية فان لفظة القين= الرحل ،الحداد ٠ والقينة= الامة وبعضهم قيدها بالمغنية٠ (المحيط) ٠

(٣) الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ص ١٣، ١٤ ٠

كما وردت في التوراة السريانية ،وحسب ضبط اليونان لها. فروبيل ضبط سرياني للكلمة رأوبين الواردة في التوراة العبرانية وهكذا ترجمت في النسخة العربية.[(١)] وتعني اللفظة في العبرانية : "هوذا آبن". وعلق محقق مختصر تاريخ الدول على هذه اللفظة بهامشه قائلا: وتأويله الرب نظر مذلتي . ورأى ان شرح ابي الفرج اقرب الى معنى الاسم الآرامي منه الى العبراني .
فلفظة "روبيل" مركبة من شقين : يعني شقها الاول "العظيم ،الكبير،المتجبر" ، والثاني اسم للاله ايل . وهذا موافق لماافترضه في اسم روبيل . اما الاسماء التي لها مرادفات عربية معروفة لدى المسلمين ،فيكتفي بوضعها مقابل الاسم الاصلي والاشارة اليها بقوله : فتدعو العرب هرمس ادريسا ، وشأوول طالوت ، وجلياذ جالوت . ويأتي الشيء ذاته في الالفاظ اليونانية. فيقول: ان اسفسيانوس بنى "قوقلس" اى منارة الاسكندرية . (مختصر الدول ص٦٩) . وان يوليانوس سمّي "بارابطيس" ،اى المارق. (مختصر الدول ص ٨١) . وان بطليموس لاغوس، يعني "ابن الارنب" (مختصر الدول ص ٨٥) . وبطليموس فيلاذلفوس،اى " محب اخيه " (مختصر الدول ص ٥٩) .

ب — نماذج عن القضايا الفقهية:

ويقدم في مختصر تاريخ الدول لدى مناقشته القضايا الفقهية ،اصطلاحات واردة في علم الكلام الاسلامي وعقائد المسلمين املا في تقريب المعاني ، وتجنب

---

(١) انظر سفر التكوين ٢٩: ٣٢

القضايا الجدلية. فبدل ان يستعمل (ابن الله)، اللفظة المتداولة في الاناجيل، وفي الاوساط المسيحية، والتي يستخدمها في تاريخه السرياني، في اشارته الى السيد المسيح، نراه يثبت العبارة " كلمة الله ". اما فيما يختص بالسير الكتابية، فنجده يقدم في مختصر تاريخ الدول القصة كما ترد في الكتاب المقدس مع بعض الشرح هنا وهنالك لتلائم قراءه، بينما يعتمد تفاسير الآباء الاولين وعلماء الكنيسة الكبار في تاريخ الازمنة السرياني. ويبدو ان وراء هذا الاختلاف غاية مزدوجة. وجهها الاول، هو ان الذين نشأوا في احضان الكنيسة قد تدربوا على معرفة الكتب المقدسة منذ نعومة اظفارهم، فليسوا بحاجة الى الرجوع الى القصة، بل بالاحرى يسعون وراء معرفة ما يقوله علماء الكنيسة في الحدث المستمد منها، فتنكشف لهم وجوه اخرى من اوجه المعنى المخفي في تلك القصة. والوجه الثاني، هو ان غير المسيحي يستفيد من القصة لأنه لأول مرة يتعرف على احداثها. وان كان قد وقف في كتبه على جزء منها، فبشكلها المطول هنا، يعطيه الفرصة لتكوين صورة كاملة لما بين يديه.

ج - نماذج لتحديد المذاهب اللاهوتية.

هذا، ويحاول اثناء تعرضه لبعض المذاهب الدينية في السير والتراجم، تقديم بعض وجهات النظر وبخاصة ما له علاقة بمذاهب السنّة المسيحية. فيشرح اوجه الاتفاق والاختلاف الواقعة فيها، ويرجح منها ما يستقيم عنده. فيكون بهذا الفعل قد عرض صورة واضحة المعالم لما يذهب اليه الفقه المسيحي،

نافيا ما ليس له اساس ثابت في الامانة المسيحية .

ففي ذكره مرقيون (١٦٠ م) [١](وهو احد اصحاب المذاهب المخالفة للنصرانية في القرون الاولى)، يرتأى انه قال بثالوث ،غير ان ثالوثه هذا يخالف مذاهب النصرانية.(م . هـ ص ٧١) . ويذهب الى ان بولس الشميشاطي (وكان بطريركا للكرسي الانطاكي ٢٦٠ـ ٢٦٨ م) [٢] تردى في ضلالة مناقضة للاجماع المسيحي اذ زعم ان جميع معلولات الله ارادية وليس له معلول ذاتي البتة، لذلك لم يلد ولم يولد . (مختصر الدول ص٧٦) ويذكر ان سابيليوس (وهو مبتدع ظهر في القرن الرابع) [٣] شدد في تعاليمه على فكرة ان الاقانيم الثلاثة في الله ،ليست اشخاصا ،بل هي الوجود والحكمة والحياة . (مختصر الدول ص ٧٥) . ويرى ان العبارة التي تحدد البدعة الاريوسية هي "ان كلمة الله مخلوقة ،مباينة بالجوهر لذات الله". (مختصر الدول ص٨٥) . وان من اشهر تعاليم النسطورية هي انها علمت (" بالاقنومين والوجهين" . وان اصحاب ديوسقوروس(بطريرك الاسكندرية القرن الخامس) [٤] ،آمنوا بالطبيعة الواحدة في المسيح ،في حين شدد مجمع خلقيدونيا (٤٥١ م) على الاعتقاد بطبيعتين واقنوم واحد (مختصر الدول ص ٨٦) .

---

(١) انظر قاموس الكنيسة المسيحية ،ص ٨٥٤.

(٢) رستم ،اسد ،كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ١، ١٢٠

(٣) موسهيم ،يوحنا ،تاريخ الكنيسة المسيحية ،ص ١١٩

(٤) طالع رستم ،كنيسة مدينة الله انطاكية ،ص٣٣٣ .

ز ـ نماذج لبعض الحجج اللاهوتيـــة :

ومع ان ابا الفرج لا يتحدث جهارا عن النصرانية في تاريخ مختصر الدول كما يتحدث عن الاسلام ، الا اننا نستطيع استخلاص بعض الحجج اللاهوتية غير المباشرة على صحة الديانة المسيحية من خلال سرده للروايات التاريخية . هذه الحجج مبنية في الغالب على حياة السيد المسيح منذ ولادته حتى قيامته . وتستند حججه على شهادتين : شهادة التاريخ ، وشهادة الكتب المنزلة . فيرى ان مولد السيد المسيح ليس واردا في الاناجيل وحدها ، بل هناك الادلة التاريخية القديمة التي ذكر فيها . فان زرادشت ، احد حكماء الفرس ، وموجد الديانة المجوسية نبه تابعيه الى ميلاد المسيح العجائبي ، قبل حلول هذا الميلاد بقرون عديدة . وامرهم بحمل القرابين والهدايا الثمينة اليه متى حان وقت مولده . ويذهب الى ان زرادشت لم يترك ابتاعه ومريديه يتخبطون في ظنون الانتظار غير المجدى ، بل اعطاهم علامة مزدوجة لا تحتمل الشك والتأويل ، وهي ان بكرا ستحبل بولد من غير ان يمسها رجل ، وان كوكبا عجيبا سيظهر في السماء ، له شكل غريب ، ينير اناء الليل واطراف النهار ، تظهر في وسطه صورة صبية عذراء . ومع ان هذه القصة ترتكز في بعض جوانبها على القصة الواردة في انجيل متى (٢: ١ـ٢) ، ارى انها تختلف عنها بما فيها من تفاصيل اسطورية .

ولا تقف مقدمات الحجة عند هذا الحد ، بل تضيف اكثر فأكثر ، لكي

تقدم الاحداث من البلد الذى ولد فيه المسيح • فينتقل الحديث من الحجة الخارجية ،الى الحجة الداخلية• فيذكر ان المجوس الذين قدموا اورشليم اثناء مولد المسيح وظهور الكوكب ،حسب اشارة زرادشت معلمهم ،اثاروا ضجة كبيرة في الاوساط السياسية والقومية في قلب عاصمة اليهود • لأجل ذلك انبرى فيلسوف معروف يومذاك ،وبعث برسالة مسهبة الى القيصر الروماني يخبر بما حدث في فلسطين في تلك الفترة ،كاشفا له ملابسات القضية كلها• وكان جواب القيصر للفيلسوف : ان هيرودس عاملنا على فلسطين قد اخبرنا بأمر الطفل الذى ولد في بيت لحم ،وفصّل في قصة المجوس (الحكماء) الذين جاءوا من اقصى الشرق للسجود لهذا الطفل• (مختصر الدول ص٤٩) •

وبالامكان ملاحقة خيوط هذه الحجة فيما تبقى من سيرة المسيح • فينتقل بصورة غير مباشرة الى سني بلوغه ،وابتداء كرازته• ويذهب الى ان خبرآياته خرج عن نطاق البلد الواحد ،فلسطين ،وذاع في الاقطار• ويثبت هذا البرهان من الحوليات التي بين يديه ، ولا سيما حوليات اوسابيوس القيصرى• فيرى ان اوسابيوس نقل في تاريخه صورة الرسالة التي تلقاها المسيح من الملك ابجر الكبير ،ملك مدينة الرها ،يدعوه الى زيارته ، ويشيد بآياته ،طالبا اليه ان يتحنن عليه ،ويشفي جسده من مرض وبيل • ويقرن هذه الرسالة بقصة المنديل الذى يرتأى اوسابيوس ان المسيح ارسله برفقة سفير ابجر وعليه صورته (انظر القيصرى ،ص ٥٩) •

ثم يتخلص الى حادثة الصلب والقيامة ، فيضاعف حجته لتكون بينة مزدوجة،على المسلمين من جهة ،وعلى اليهود من الجهة الاخرى . ولكي يقنع اليهود والمسلمين معا ،يستمد برهانه من التوراة والحوليات على اساس استخدام الحجة الحسابية في هذه المرة . فيورد آية من سفر دانيال النبي تقول : "سبعون اسبوعا تطمئن امتك ،ثم يأتي المسيح الملك ويقتل" (كذا) [(١)] . فيرى انه من آخر سنة عشرين لملك ارطحشست الطويل اليدين ،وهي السنة التي ارسل فيها نحميا الساقي الى اورشليم (انظر سفر نحميا ٢: ١_١٠) وجدد العهد بتقريب القرابين ،الى السنة التاسعة عشرة لطيباريوس قيصر ،تمت الاربعمائة والتسعون سنة التي اوصاها الله لدانيال . فصلب المسيح يوم الجمعة في الثالث والعشرين من آذار ، وكان فصح اليهود يوم السبت ،فأكل يسوع الفصح مع تلاميذه ليلة الجمعة . فيكون صعوده والحالة هذه يوم الخميس لثلاث خلون من ايار، والفنطيقوسطي ،العنصرة ،(يوم حلول الروح القدس) (انظر سفر اعمال الرسل ٢: ١_٥) يوم الاحد لثلث عشرة ليلة خلت من ايار (مختصر الدول ص٦٥_٦٧) . بيد انه يرى ان احبار اليهود تلاعبوا بهذا التاريخ بغية انكار حقيقة مجيء المسيح . ويبني دليله على الاختلال الحاصل في اعمار الاولياء الاوائل في التوراة العبرانية بالمقابلة مع ما جاء في الترجمة السبعينية ،ويقول : فبمقتضى التوراة السبعينية التي بيد الروم وسائر فرق النصارى ،خلا السريان [(٢)] ،يكون

---

(١) سفر دانيال (٩: ٢٠_٢٧) .

(٢) ان النسخة المتداولة عند السريان تسمى بشيطا ،اى النسخة البسيطة . وقد نقلت عن العبرانية في القرن الثاني للميلاد .

حساب السنين من بدء العالم الى مجيء المسيح خمسة آلاف سنة وخمسمائة وست وثمانون سنة بالتقريب. اما بمقتضى التوراة العبرانية التي بيد اليهود فتكون المدة اربعة آلاف ومائتان وعشر سنين بالتقريب. ويرى ان الفرق الحاصل بين الحسابين جاء عن اسقاط احبار اليهود حوالي الف وثلثمائة وخمس وسبعين سنة وذلك لأن البشارة بالمسيح قد تقدمت في التوراة والانبياء انه يبعث في اواخر الازمان ولم يكن لمن سلف من ربّاني اليهود حيلة في دفع مجيء المسيح غير ان يبدلوا اعمار الآدميين التي منها يوقف على تاريخ العالم . فنقصوا من عمر آدم الى او ولد شيث مائة سنة وزادوها في باقي عمره . وكذلك عملوا في اعمار باقي ولد آدم الى ابراهيم. فصار تاريخهم يدل على ان المسيح ظهر في الالف الخامس وهذا قريب من توسط سني العالم التي هي جميعها عندهم سبعة آلاف سنة . فقالوا : نحن بعد في توسط الزمان ، فلم يحن حين مجيء المسيح . اما التاريخ السبعيني فيدل على ان المسيح ظهر في الالف السادس فيكون قد حان حينه .(مختصر الدول ص٦٨) .

ويتحدث ابو الفرج في هذه المسألة وكأن التواريخ الواردة في التوراة بخصوص الآباء الاولين مقطوع بصحتها . لأن هذه الاعمار لا يمكن بأي شكل من الاشكال اعتبارها سني اعمار شخص واحد ، ولا سيما اعمار الرجال الذين سبقوا الطوفان. بل قد تشير الى تاريخ قبيلة معينة ، او جيل كامل . اما الاختلافات الظاهرة بين النسخة العبرانية والترجمة السبعينية فقد يمكن ان تعزى الى

اختلاف في قراءة التواريخ اذ انها كانت تدون بحساب الحروف ، وهذا الحساب معرض للالتباس لتشابه بعض الحروف في رسومها وخاصة وان هذه الحروف كانت غير منقطة فيما مضى من الزمان .

وبهذه الطريقة غير المباشرة ، قدم ابو الفرج بعض الالماعات الى النصرانية لفائدة قرائه من العرب وغيرهم دون ان يخرج عن حياده الذى اختطه لنفسه منذ الدولة الاولى وحتى الدولة الاخيرة .

الخلاصـــــــــة

وبعد دراسة مراجع ابي الفرج ، ومناقشة خصائص تاريخيه ، يلاحظ وجود تباين واتفاق صريحين بين الكتابين . ويضم هذا الاتفاق احداث حقب ما قبل الاسلام والمغول ، كما يشمل هندسة الكتاب وتبويبه . وترجح الدراسة ان سبب اتفاق المادة التاريخية قد يكون ناجما عن امرين: الاول ، اعتماد المؤرخ ذات المراجع للكتابين كليهما . وثانيا ، ادماجه مادة كتابه تاريخ الازمنة لهذه الحقبة في تاريخ مختصر الدول اختصارا للوقت ، وتوفيرا للجهد . اما الترتيب الشكلي ، فقد جاء مختصر الدول مطابقا لهندسة تاريخ الازمنة السرياني في ابوابه خلا بابا واحدا ، هو الباب المخصص للبحث عن ملوك

الماديين والفرس • فوقع تاريخ الازمنة بناء على هذا الترتيب في احد عشر بابا او دولة ، بينما اقتصر مختصر تاريخ الدول على عشرة ابواب اذ ادمج الدولتين في باب واحد •

اما التباين ، فقد وقع على الاكثر في مواد القسم التالي للكتابين ، اى دولة العرب المسلمين ، ودولة الهونيين • وهذا الجزء يضم معظم احداث التاريخين •

وظهر بعد مناقشة الاصول والخصائص ان هذا التباين جاء نتيجة لاختلاف الرواية ، والغاية ، والجمهور • واختلاف الرواية والغاية والجمهور بدوره متأت من موقف المؤرخ المذهبي والقومي والسياسي على حد سواء ، لأن هذه العوامل الثلاثة ، اجبرته على ترتيب مواد كتابيه على الشكل الذى تفرضه عليه الضرورة • ولأن كلا من هذين الكتابين صنف تحت ظرف خاص ، ومن وجهة نظر معينة ، تناسب اذواق قرائه الدينية والاجتماعية ، نرجح ان مختصر تاريخ الدول ليس ترجمة عن الاصل السرياني لأنه احتفظ ببعض مادة تاريخ الازمنة ، وملامحه ، بل هو كتاب مستقل بمادته ، وخطه الفني ، وطرائقه التاريخية ، والغاية من تأليفه ، وجمهور قرائه •

ثبت المراجع

١- ابونا ، البير ، ادب اللغة الارامية ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢- الاسيوى ، يوحنا ، التاريخ الكنسي ، اكسفرد ، ١٨٥٣ .

٣- الاندلسي ، ابو القاسم ، صاعد بن احمد بن صاعد ، طبقات الامم ، تحقيق الاب لويس شيخو ، بيروت ١٩١٢ .

٤- الاندلسي ، ابو داود ، سليمان بن حسان (ابن جلجل) طبقات الاطباء والحكماء ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٥- برصوم ، افرام ، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، ط ٢ . حلب ١٩٦٥ .

٦- توما ، يعقوب ، تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية ، جزءان ، بيروت ، ١٩٥٧ .

٧- الحموى ، شهاب الدين ، ابو عبد الله ، ياقوت ، معجم البلدان ، ١٠ اجزاء ، تحقيق محمد أمين الخانجي ، القاهرة ، ١٩٠٦ .

٨- خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، (حاجي) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استنبول ، ١٩٤٣ .

٩- رستم ، اسد ، الروم وصلاتهم بالعرب ، بيروت .

١٠- رستم ، اسد ، كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، ٣ اجزاء ، منشورات النور ، بيروت .

١١- الرهاوى المجهول ، الاخبار العالمية والكنيسية ، تحقيق شابو ، باريس .

١٢- الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ١٠ اجزاء ، ١٩٥٦ .

١٣ـ السوري ، ميخائيل ، التاريخ العام ، ت. شابو باريس ، ١٨٩٩ـ١٩١٠ .

١٤ـ شير ، ادى ، كلدو وآثور ، جزءان ، بيروت ، ١٩١٢ .

١٥ـ الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، بيروت ، لبنان .

١٦ـ طرازي ، فيليب ، عصر السريان الذهبي ، بيروت ، ١٩٤٦ .

١٧ـ العزاوي ، عباس ، التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان ، بغداد ، ١٩٥٧ .

١٨ـ فروخ ، عمر ، العرب والفلسفة اليونانية ، بيروت ، ١٩٦٠ .

١٩ـ القرداحي ، الكنز الثمين ، بيروت ، ١٨٧٥ .

٢٠ـ القفطي ، جمال الدين ، ابو الحسن ، تاريخ الحكماء ، ت. الدكتور يوليوس ليبرت ليبزيك ، ١٩٠٣ .

٢١ـ القيصري ، اوسابيوس ، تاريخ الكنيسة ، تعريب القس مرقس داود ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

٢٢ـ القرتميني ، الراهب ، تاريخ الازمنة ، ت الاب شابو .

٢٣ـ مركوليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، بيروت .

٢٤ـ المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ت . محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ، ١٩٦٤ .

٢٥ـ معلوف ، لويس ، المنجد في اللغة والآداب والعلوم ، بيروت ، ١٩٦٠ .

٢٦ـ الملطي ، ابو الفرج ، تاريخ الازمنة ، ط. باريس ، ١٨٩٠ .

٢٧_ الملطي ،ابو الفرج ،مختصر تاريخ الدول ،ت• الاب صالحاني ،بيروت، ١٩٥٨

٢٨_ الملطي ،ابو الفرج ،التاريخ الكنسي ،ت • ابيلوس ولامي ، ٣ اجزاء ،لوفان ، ١٨٧٢_١٨٧٧ •

الموســــــــوعـــــات

٢٩_ دائرة المعارف الاسلامية ،ترجمة محمد ثابت الفندى ،الشنتناوى ،خورشيد ، مصر ، ١٩٣٣•

٣٠_ دائرة معارف البستاني ،المجلد الثالث ، بيروت ١٩٥٦ •

٣١_ الموسوعة العربية الميسرة ،اشراف محمد شفيق غربال ،مصر ، ١٩٥٩ •

٣٢_ الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ترجمة فؤاد كامل ،والعشرى ،والصادق ،القاهرة ، ١٩٦٣ •

٣٣_قاموس الكتاب المقدس،تحرير ،بطرس عبد الملك ،جون طمسن ،ابراهيم مطر ، بيروت ، ١٩٦٤ •

The Encyclopaedia of Islam, New Ed. Vol.III, London, 1971. _٣٤

The Oxford Dic. of the Christian Church, ed. by F.L.Cross. Lond. Oxford University Press. 1957. _٣٥

Josephus, Jewish Antiquities, with English translation. H. st. J. Thackeray. Harvard University Press. 1967. _٣٦

٣٧ـ Josephus, Jewish War, with English translation. H. st.J. Thackeray. Harvard University Press. 1967.

٣٨ـ Segal, J. B.Edessa The Blessed City. Oxford Clarendon Press. 1970.

المجـــــــلات

٣٩ـ مجلة لسان المشرق ، السنة الثالثة ، ١٩٥٠ ، الموصل ، العراق .

٤٠ـ مجلة المشرق ، مجلد ٤٣ ، سنة ١٩٤٩ ، بيروت ، لبنان .